السعر
٢٥ ريالاً

أصول الثقافة الإسلامية

إعداد:

د. محمد بن أحمد الخريصي.
د. مهدي بن عبدالله قاري.
د. سعيد بن ناصر آل مقبل.
د. عابد بن عبدالله الثبيتي.

الإصدار الأول

قناة جامعة الطائف 1
مشترك 3.000

إعداد الملف :
شهد محمد - أحمد عابد

أصول الثقافة الإسلامية

إعداد :
د. محمد أحمد الخريص
د. مهدي بن عبدالله قاري
د. سعيد بن ناصر ال مقبل
د. عابد بن عبدالله الثبيتي

الإصدار الأول

جامعة الطائف 1
مرحبا بكم في قناة جامعة الطائف ((قناة جامعة الطائف 1))
روابط-4 PDF 1- تجميعات 2-معلومات 3-حلول + كتب
رابط القناة https://t.me/llxoz مهمه 5-للإعلانات...
Telegram

رابط القناة : https://t.me/taif_tu1

ⓒ سعيد آل مقبل ومهدي صديق و عابد الثبيتي و محمد الخريصي، ١٤٤١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل مقبل، سعيد بن ناصر
أصول الثقافة الإسلامية. / سعيد بن ناصر آل مقبل، مهدي بن عبدالله صديق، محمد بن أحمد الخريصي، الطائف، ١٤٤١هـ
٢٤٨ص، ١٧ × ٢٤ سم
ردمك: ١-٢٦٦٣-٠٣-٦٠٣-٩٧٨
١- الثقافة الإسلامية أ. صديق، مهدي بن عبدالله (مؤلف مشارك) ب. الخريصي، محمد بن أحمد (مؤلف مشارك)
ج. العنوان
ديوي ٢١٤ ١٤٤١/٣٠٨٦

محفوظة جميع الحقوق

رقم الإيداع: ١٤٤١/٣٠٨٦
ردمك: ١-٢٦٦٣-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

لا يسمح بإعادة نشر أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل من الأشكال وبأي وسيلة، سواء كانت آلية أو الكترونية، بما في ذلك التصوير والتسجيل، أو الإدخال في أي نظام حفظ معلومات أو استعادتها بدون الحصول على موافقة خطية من المؤلف.

أصول الثقافة الإسلامية

إعداد

د. محمد بن أحمد الخريصي

د. مهدي بن عبد الله قاري

د. سعيد بن ناصر آل مقبل

د. عابد بن عبد الله الثبيتي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ الله تعالى أرسل محمدًا ﷺ ليكون رحمة للعالمين منقذًا للبشرية بما أُرسل به من الدين الحق، آخذًا بها إلى الحياة الحقيقية المتضمنة للسعادة، والقائمة على الوسطية والعدل؛ لِتحيا على هذه البسيطة بكرامة، وقد ترك لنا محمدًا ﷺ إرثًا ربانيًّا فيه من الشمول والتكامل والواقعية ما يكفل تحقيق السعادة في الدارين...

وإنَّ المتحتم علينا أمة محمد ﷺ التمسك به وتمثله في حياتنا، فهو عقيدتنا وديننا وثقافتنا التي يجب أن نعتز بها؛ لما فيها من قيم عُليا تحتاجها البشرية في كل زمان، وكان لزامًا أن نوصلها إليهم بأخلاقنا الحميدة وسلوكنا المستقيم قبل خطابنا الصادق المعتدل، ليروا رأي العين عظمة هذا الدين عقيدة وشريعة، سلوكًا وأخلاقًا وثقافةً وفكرًا...

ومن هنا نبعت عناية المملكة العربية السعودية بتدريس الثقافة الإسلامية لجميع طلابها، ليكونوا خير من يمثلها في جميع المحافل...

وقد أولت جامعة الطائف ممثلة بقسم الثقافة الإسلامية هذا الأمر عناية كبيرة، فكوَّنت اللجان العلمية لإعداد توصيفات المقررات، فجعلت لكل مقرر أهدافًا جزئية تحقق بمجموعها أهداف السياسة العامة للتعليم في المملكة العربية السعودية، وكانت أهداف المقرر الأول ـ أصول الثقافة الإسلامية ـ على النحو الآتي:

١ ـ تكوين التصور الصحيح لدى الطلاب عن الإسلام: عقائد، وشرائع، على منهج الوسطية والاعتدال.

٢ ـ ترسيخ التميز المنهجي لدى الطلاب بما يتوافق مع الكتاب والسُّنَّة.

٣ ـ ترسيخ اليقين بصدق العقيدة وعصمة التشريع وصحة المنهج بالاستدلالات النقلية والعقلية على صحتها.

وقد كانت ثمرة ذلك الجهد هذا المقرر: أصول الثقافة الإسلامية، سائلين الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا نافعًا محققًا لأهدافه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

المؤلفون

القسم الأول

المدخل إلى الثقافة الإسلامية

١ ـ تعريف الثقافة الإسلامية ـ نشأتها ـ أهدافها ـ منهجها.

٢ ـ مصادرها، علاقتها بالعلوم الشرعية، موقفها من الثقافات الأخرى.

الأهداف التعليمية: يهدف هذا القسم إلى:

١ ـ أن يتكون لدى الطلاب التصور الصحيح عن الثقافة الإسلامية.

٢ ـ أن يحدد الطلاب العلاقة بين الثقافة الإسلامية وغيرها من العلوم الإسلامية.

٣ ـ أن يُبيّن الطلاب موقف الثقافة الإسلامية الصحيح من الثقافات الأخرى.

نواتج التعلم:

عزيزي الطالب: يرجى بعد دراستك لهذا القسم أن تكون قادرًا على أن:

١ ـ تُعرِّف الثقافة الإسلامية وتُبيِّن أهدافها ومنهجها.

٢ ـ تُبيّن نشأة علم الثقافة الإسلامية.

٣ ـ تُعدّد مصادر الثقافة الإسلامية الأصيلة.

٤ ـ تُحدّد العلاقة بين الثقافة الإسلامية وغيرها من العلوم الإسلامية.

٥ ـ تَذكر موقف الثقافة الإسلامية من الثقافات الأخرى.

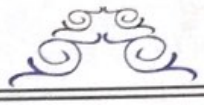

تمهيـــد

إنَّ من يتأمل الوحي كتابًا وسُنَّة يجد أنَّه يكوِّن تصورًا شموليًّا متكاملًا عن الإله والكون والحياة، وهذا الشمول يورث المسلم تصورًا صحيحًا عن جميع القضايا، فيدفعه إلى الاعتقاد الصحيح والعمل الخالص لله تعالى، ويقوده إلى إدراك ما يتميز به الإسلام من الوسطية والاعتدال، والقدرة على كشف مغالطات المخالفين.

وتكوين هذه التصورات الشاملة الصحيحة هو ما تسعى لبنائه الثقافة الإسلامية مستمدة ذلك من مصادرها الأصيلة التي سيأتي بيانها في هذا القسم.

كما أن ذلك التصور سيحدد العلاقة بين الثقافة الإسلامية وسائر العلوم الشرعية؛ بل حتى سيحدد موقفها من الثقافات الأخرى السائدة في العالم.

المدخل للثقافة الإسلامية

قبل الخوض في مباحث هذا الكتاب لا بد من بيان مجموعة من المقدمات الضرورية حول الثقافة الإسلامية، من حيث التعريف والأهداف والمصادر والخصائص ونحوها، وبيانها على النحو الآتي:

تعريف الثقافة الإسلامية:

يتكون مصطلح الثقافة الإسلامية من كلمتين: الثقافة، والإسلامية. وقبل بيان معناها مُركبًا يلزم بيان معنى كل لفظة على انفراد.

الثقافة في اللغة: الحذق والفطنة[١].

وفي الاصطلاح: العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها[٢].

الإسلامية: اسم من الفعل: أسلم، الرباعي، وهو بمعنى: انقاد. ودين الإسلام بإطلاقه العام: الدين الذي جاء به الأنبياء جميعًا من نوح إلى محمد عليهم الصلاة والسلام. ثم اشتهر إطلاقه على الدين الخاص الذي جاء به محمد ﷺ[٣].

وأمَّا **الثقافة الإسلامية** باعتبارها عَلَمًا على عِلْم معين فهي: **العلم بمنهاج الإسلام الشمولي في القيم، والنظم، والفكر، ونقد التراث الإنساني فيها**[٤].

شرح التعريف:

العلم: ضد الجهل، وهو إدراك الأمر على وجهه الصحيح بأدلته.

---

(١) ينظر: الصحاح (٥/ ٢٠)، والقاموس المحيط (ص١٠٢٧).

(٢) المعجم الوسيط (١/ ٩٨).

(٣) المصدر السابق (١/ ٤٤٦).

(٤) ينظر: ورقة عمل الدكتور: مفرح القوسي بعنوان: تعريف الثقافة الإسلامية، والتي قدمها لندوة: مقررات الثقافة الإسلامية بين واقعها والمتغيرات، التي نظمتها كلية التربية بجامعة الملك فيصل بالإحساء في المدة من ٢٧ ـ ٢٨ شوال ١٤٢٦هـ.

منهاج الإسلام: المنهاج: الطريق الواضح البيِّن الذي أنزله الله تعالى في كتابه، وبيَّنه النبي ﷺ في سُنَّته، وفهمه الصحابة بناءً على فهمهم للغة ومعاصرتهم تنزيل الوحي، وتتابع السلف الصالح عليه جيلًا بعد جيل إلى يومنا هذا.

الشمولي: أي: الشامل لجميع حاجات الناس الدينية والدنيوية.

القيم: جمع قيمة وهي كل ما تقوم به الحياة قيامًا صحيحًا من المعتقدات والأحكام والتصورات عن الله والكون والحياة.

النُّظم: جمع نظام، وهي في الإسلام: الأحكام الشرعية التي تبيِّن للإنسان منهج حياته وتعامله في مجتمعه؛ كأحكام الاقتصاد والسياسة والاجتماع والقضاء والأخلاق وسائر الآداب والأحكام المتعلقة بالمخالطة والمباشرة.

الفكر: عملية عقلية تقوم على ترتيب الأمور في الذهن ليتوصل بها إلى المطلوب.

وعمليات الفكر الإنساني على نوعين: إما إنتاج أفكار جديدة، أو نقد نتاج الأفكار وبيان مواطن الزلل فيها بناء على الأدلة العقلية والنقلية.

نشأة علم الثقافة الإسلامية:

إنَّ الله تعالى خاطب عباده بكلامه الذي أنزله على نبيه ﷺ، ومن تأمل القرآن الكريم وجد أنَّه يتسم بالنظرة الشمولية المتكاملة بين الإله والكون والحياة، وأنه يبيِّن الدين بهذا المنهج الشمولي في كثير من آياته، فعندما يتحدث القرآن عن أحكام الطلاق مثلًا فإنَّه يميل إلى الشمول بحيث لا يستغرق آياته بيان الأحكام الجزيئة فقط؛ بل يربط الطلاق بالاعتقاد والإيمان بالله وأسمائه وصفاته كقوله: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾ [البقرة: ٢٢٧]، وفي سورة الطلاق يُذَكِّر الناس بحدود الله ووجوب الوقوف عندها، وأهمية التقوى وأنَّ الله تعالى سيجعل للمتقين فرجًا ومخرجًا مما هم فيه، ورزقًا حسنًا ينتظرهم إذا هم راقبوه في إيقاع الطلاق على وفق مراده سبحانه.

وهذا الشمول في أسلوب القرآن هو أبرز سمات علم الثقافة الإسلامية، حيث تعالج القضايا الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية بهذا الشمول الذي يبرز محاسن الإسلام.

ومع توسع حاجات الناس لمعرفة الأحكام الجزيئة ظهرت العلوم الإسلامية الدقيقة كالعقيدة والفقه ونحوها، وبقي الطرح الشمولي موجودًا عند العلماء الربانيين الراسخين في العلم يظهر في بعض مؤلفاتهم دون تسميته باسم يخصه.

وفي بداية العصر الحديث دخلت بعض حواضر العالم الإسلامي وبلدانه تحت الاستعمار الأجنبي، وبدأت الأفكار والنظريات والقيم ونظم حياة المستعمر تدب في المجتمعات الإسلامية، وانتشرت الكتابات التي تعلي من شأنها وتحط من شأن الفكر الإسلامي، مما استلزم بيان عقيدة الإسلام وشرائعه بأسلوب سهل شامل يكوّن التصورات الصحيحة عنه ويجيب عن الشبهات المثارة حوله، فكان هذا العلم[١]:

أهداف الثقافة الإسلامية:

إنَّ للثقافة الإسلامية أهدافًا سامية منها:

١ ـ التعريف العام بالإسلام عقيدة وشريعة، بعبارات واضحة سهلة.

٢ ـ تكوين التصور الصحيح عن الاسلام وقضاياه بلا غلو ولا جفاء.

٣ ـ بيان تميز الإسلام بوسطيته واعتداله في جميع أحكامه، وترسيخ ذلك لدى المسلمين.

٤ ـ كشف الشُّبْهَ المثارة حول الإسلام، والرد عليها بالأدلة من النقل والعقل.

٥ ـ نقد الثقافات الأخرى في عقائدها ومناهجها، ومقاصدها ووسائلها، ومقارنتها بما جاء في الإسلام ليظهر سموه على غيره من الملل والنحل.

٦ ـ تقوية المفهوم الصحيح لحقيقة الانتماء والولاء للدين الإسلامي والمحافظة على الدولة والوطن.

٧ ـ دراسة واقع المسلمين العقدي والتشريعي، وتقديم الحلول المناسبة لإصلاح الخلل، وبذل الجهد في معالجة جوانب القصور ـ إن وجدت ـ.

منهج الثقافة الإسلامية:

يتلخص منهج علم الثقافة الإسلامية في ثلاث نقاط هي:

---

(١) ينظر: مقال نشأة علم الثقافة الإسلامية، د. محمد العلي، موقع الألوكة:
http://www.alukah.net/culture/0/19203/#ixzz4pG4CUr3Z

١ ـ **الشمول**: والمقصود به النظرة الشمولية للمواضيع باعتبارها وِحدة مترابطة، تمثل تكاملًا فيما بينها؛ فالنظرة للمجتمع مثلًا تكون مرتبطة بدينه ومعتقده وشريعته وأفكاره والأخطار المحيطة به وسبل المحافظة عليه، ودراسة التراث الإنساني تكون شاملة لديانته وتصوراته عن الإلٰه والكون والحياة وأثر ذلك على أفكاره وتشريعاته، وهكذا...

٢ ـ **التأصيل**: ويراد به الانطلاق في دراسة ونقد وتقييم الأحكام والتشريعات والتصورات وسائر الأفكار من الأصول الشرعية الإسلامية ـ الكتاب والسُّنَّة وما يتبعهما من المصادر ـ فهي الميزان الذي يوزن به كل ذلك؛ لقول الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

٣ ـ **النقد والمقارنة**: وهما قاعدتان مهمتان في التعامل مع التراث الإنساني كله، فبالنقد يمكن تمييز الحسن من القبيح والنافع من الضار، وتمييز ما يتوافق مع منهج الإسلام وما يخالفه، وبالمقارنة يظهر سمو الإسلام.

وبهذا المنهج يتميز علم الثقافة الإسلامية عن غيره[1].

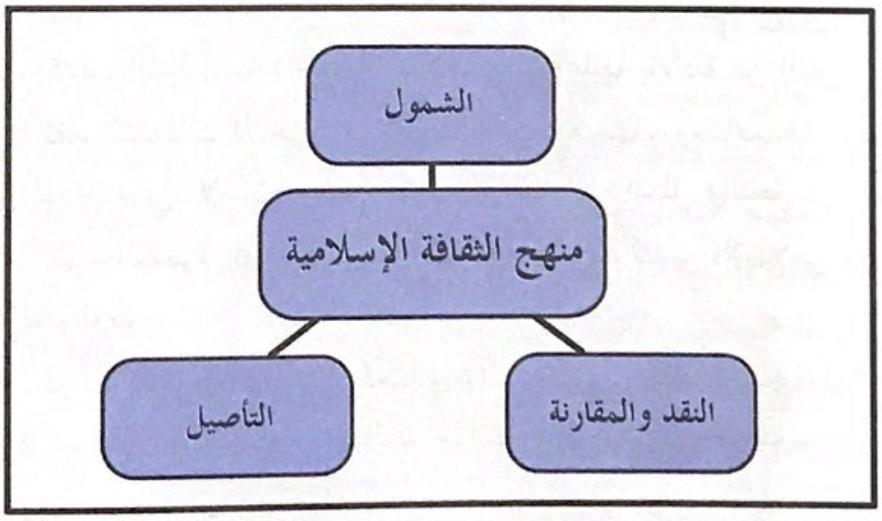

(١) ينظر: الثقافة الإسلامية تخصصًا ومادة وقسمًا علميًّا (ص٢١، ٢٢).

مصادر الثقافة الإسلامية:

إنَّ للثقافة الإسلامية مصادر تميزها عن غيرها من الثقافات الماضية والحاضرة، وهي كما يلي:

١ ـ القرآن الكريم:

القرآن الكريم أصل الأحكام الشرعية، وإليه ترجع بقية الأدلة، وقد كان الصحابة ﷺ إذا عرضت لهم مسألة دينية أو دنيوية نظروا لحكمها في كتاب الله، فإن لم يجدوا نظروا في سُنَّة رسول الله ﷺ، فإن لم يجدوا جمعوا الناس واستشاروهم، فإن اجتمع رأيهم على أمر لم يخالفوه.

فالقرآن الكريم هو الذي ميَّز أمة الإسلام عن سائر الأمم، وكوَّن للمسلمين شخصية متميزة عن سائر الشخصيات: فهم متميزون في عقيدتهم التي يوحدون الله ﷻ فيها، وفي أحكامهم التي يتعبدون الله تعالى بها، وفي أخلاقهم وسلوكهم التي هي جزء من دينهم الذي يدينون به لربهم ﷻ.

٢ ـ السُّنَّة النبوية:

السُّنَّة النبوية هي الوحي الثاني الذي أوتيه النبي ﷺ حيث قال: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»(١).

وقد أمر الله بطاعة رسوله ﷺ مع الأمر بطاعته سبحانه فقال: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة: ٩٢].

وجعل الله تعالى اتِّباع المؤمنين للنبي ﷺ سبيلًا لمحبة الله تعالى لهم فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]، وحَذَّر الله تعالى من مخالفته فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣].

فما دامت السُّنَّة بهذه المنزلة فهي جديرة أن تكون مصدرًا أصيلًا من مصادر الثقافة الإسلامية.

٣ ـ الإجماع:

وهو: اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺ بعد موته على حكم شرعي. وإنما

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٦٠٤)، وهو حديث صحيح.

اكتسب الإجماع هذه القطعية لأنَّ الله تعالى منع اجتماع كلمة أهل العلم من أمة محمد ﷺ إلا على حقٍّ يريده ويرضاه، كما قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ، وَيَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ**»(١). فالمسائل التي انعقد الإجماع عليها من علماء الأمة اكتسبت قطعية الحكم، وصارت ثابتة يمكن الأخذ بها والاعتماد عليها عند بيان الإسلام والدفاع عنه؛ كالإجماع على أنَّ دين الأنبياء واحد لا يختلف وإنما الاختلاف في الشرائع العملية، والإجماع على جمع القرآن، وكتابة المصحف، ونحوها من الإجماعات المُؤَثِّرة في مسيرة الثقافة الإسلامية(٢).

٤ ـ علم العقيدة:

إنَّ العقيدة الإسلامية هي الأساس الفكري الذي تقوم عليه الثقافة الإسلامية في بناء التصورات عن الإسلام كله، وهي أول ما يتميز به الإسلام عن غيره من الديانات، لصحتها وثبات مصدرها، وقوة الأدلة عليها.

وبالعقيدة الإسلامية الصحيحة يمكن دراسة الأديان الأخرى، وبها أيضًا يمكن دراسة الفِرَق والمذاهب التي خرجت عن جادتها، سواء كان ذلك في أصولها أو فروعها، أو تصوراتها عن الله وعن الكون والحياة. فإذا تم تقييم ذلك أمكننا محاورتهم لبيان الحق ومجادلتهم بالتي هي أحسن، ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

٥ ـ علم الفقه الإسلامي:

الأحكام الشرعية هي المخزون العلمي الكبير الذي يميز الإسلام، فالعالَم مليء بالتشريعات المنظمة لحياة الناس، وكلها من وضع البشر بناء على ما اكتسبوه من التجارب عبر الزمن، وقد يوجد بها بقايا من آثار الديانات السماوية إلا أنَّها قد امتدت إليها يد التحريف والتبديل، وهنا يأتي دور الفقه الإسلامي ليقدم للبشرية أنموذجًا ربانيًّا للتشريعات المنظمة لحياة الناس بتجانس تام وتوازن دقيق بين مصالح جميع الأطراف المتعاقدة.

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣٩٥٠)، وصححه الألباني.

(٢) لم نذكر القياس مصدرًا من مصادر الثقافة الإسلامية؛ لأنَّه وسيلة للاجتهاد وأداة لاستنباط الأحكام الشرعية، وهذا عمل الفقيه وليس عمل المختص في الثقافة الإسلامية.

٦ ـ السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي:

إنَّ سيرة النبي ﷺ وأحداث حياته هي التطبيق العملي لما جاء به من النور والهدى والحق من ربه ﷻ، وما أشكل فهمه من نصوص الوحي فإننا نجد تطبيقه عمليًّا في سيرته ﷺ ومواقفه؛ لذا فهي جديرة بالقراءة والفقه والفهم والمُدَارسة؛ لتُكوِّن لدى المسلم إرثًا ثقافيًّا شرعيًّا صحيحًا.

ويتبع ذلك سير السلف الصالح المتبعين للنبي ﷺ قولًا وعملًا واعتقادًا من أهل القرون المفضلة، الذين قال فيهم النبي ﷺ لما سئل: أيُّ الناس خير؟ قال: «**قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَبْدُرُ ـ** تسبق **ـ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَتَبْدُرُ يَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**»[(١)]. قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان المقصود بهذه القرون الثلاثة: «الصحيح أنَّ قرنه ﷺ: الصحابة، والثاني: التابعون، والثالث: تابعوهم»[(٢)].

فسِيَر السلف الصالح أقوالًا وأفعالًا لها قيمة كبيرة في بناء الثقافة الإسلامية، وذلك لأنَّهم عاصروا النبي ﷺ، وشهدوا التنزيل، ولم تزل أحكام الإسلام ومفاهيمه في عصورهم غضة طريَّة صافية لم تخالطها الثقافات ولم تغيرها علوم الأمم الأخرى ومناهجها، بالإضافة إلى ما حباهم الله به من رِقَّة القلوب، وصِدْق الاتباع، وإدراك للسان العرب الذي نزل به الوحي. ومَن جاء بعدهم من التابعين أدرك من فضلهم وصفاء منهجهم شيئًا، ووَرَد معهم موردهم، وسلك مسلكهم في الدين والفهم.

وهنا يحسن التنبيه إلى أنَّه لا ينبغي أخذ روايات السِيرة النبوية وما يُنقل من سِيَر السلف الصالح بمعزل عن الأصلين السابقين: الكتاب والسُّنَّة؛ بل لا بد من محاكمة روايات السِيَر إلى الثابت في الكتاب والسُّنَّة؛ فإن وافقته فهي حق؛ وإن خالفته فلا قيمة لها ولا مُعوَّل عليها.

وخلاصة القول: إنَّ إدراك تاريخ الإسلام من النشأة بمكة، مرورًا بالتمكين في المدينة، إلى ما بعدها من عصور ودول؛ مخزون كبير من المعارف والعلوم والتجارب والأحداث والمواقف ـ حتى الخاطئة منها ـ مفيدة في معرفة الصواب الذي ينبغي فعله.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٣٣).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ٨٥).

٧ ـ علوم اللغة العربية:

لغة العرب هي اللسان الذي نزل به الوحي من الله تعالى ونطق به النبي ﷺ قال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف: ٢]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ [الشورى: ٧]، ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ۝١٢﴾ [الأحقاف: ١٢].

ولمَّا كان المصدران الرئيسان: الكتاب والسُّنَّة قد نزلا بلغة العرب، فلا سبيل لفهمهما حق الفهم إلا بإتقان اللسان العربي، لذا صارت علوم اللغة: نحوها، وبلاغتها وآدابها المنظومة والمنثورة أحد العلوم التي يقوم عليها علم الثقافة الإسلامية.

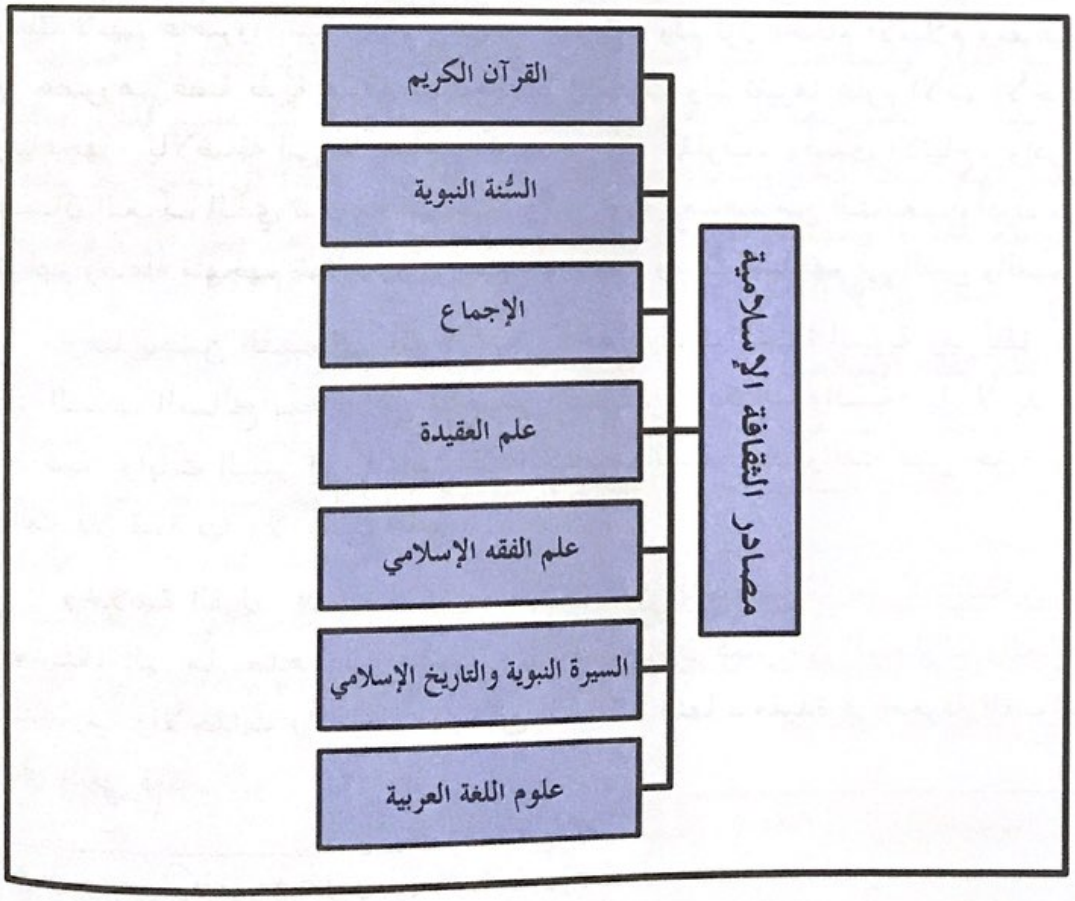

علاقة الثقافة الإسلامية بالعلوم الشرعية الأخرى:

تقوم الثقافة الإسلامية على إدراك معاني الكتاب والسُّنَّة على فهم السلف الصالح، ومعرفة الأصول من كل علم من العلوم الشرعية الفرعية الدقيقة، فهي تأخذ من كل علم من علوم الشريعة أصوله، أمَّا جزئيات مسائله فهي شأن العلم المختص.

أيضًا فإنَّ الثقافة الإسلامية تُعنى بتكوين التصورات الصحيحة عن الدين، في حين أنَّ علوم الشرعية الأخرى تبحث في جزئيات المسائل، وجميعها تشترك في المصادر الأصلية للدين، ثم يضيف كل علم منها مصادر أُخر تتناسب مع اختصاصه.

موقف الثقافة الإسلامية من الثقافات الأخرى:

إنَّ الثقافة في أي أمة من الأمم لها أربعة جوانب تتفاعل فيما بينها وتترابط، فلا يمكن أن يُعزل جانب منها عن البقية عزلًا كليًّا؛ بل لا بد من التأثر بها؛ ولكن يقع التفاوت في مدى التأثر والتأثير قوة وضعفًا.

والثقافة الإسلامية لن تعيش بمعزل عن الثقافات الأخرى للأمم التي تعيش معها على أرض واحدة، ولها معها تداخل وتقاطع في المصالح الدنيوية والمشتركات الإنسانية؛ ولكنها تستطيع التعامل معها تعاملًا متوازنًا، وسَنُبيِّن مكونات الثقافات وكيفية التعامل مع كل مُكوّن منها فيما يلي:

١ ـ جانب المعتقدات والقيم:

إنَّ الثقافة الإسلامية لها من صحة العقيدة وجودة القيم وسمو الإيمان ما جعلها شامة بين الأمم؛ لأنَّ عقيدتها مأخوذة من وحي معصوم، فهي بهذا لا تحتاج إلى ما عند الأمم من العقائد والقيم.

ومما يبيِّن هذا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قرأ على النبي ﷺ صحيفة أصابها من بعض أهل الكتاب ـ اليهود أو النصارى ـ غضب ﷺ وقال: «**أَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ أَلَم آتِ بهَا بَيْضَاءَ نقِيَّةً؟ لَو كَانَ أَخِي مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَه إِلَّا اتِّباعِي**» وفي لفظ: «**أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي**

نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»[١].

٢ ـ جانب النظم الأخلاق والعادات:

من المعلوم أن لكل أمة نُظمها وعاداتها وأخلاقها، وهي متأثرة بعقيدتها، فالنظم الاجتماعية والاقتصادية... وعادات الطعام والشراب والملبس والمسكن، والأخلاق كلها متأثرة تأثرًا كبيرًا بالعقيدة، فمثلًا: النظام الاجتماعي في الإسلام قائم على القيام بالواجبات وأداء الحقوق رغبة في الأجر وتجنبًا للعقوبة التي رتبها الله على الإخلال بذلك سواء كانت دنيوية أو أخروية. والضيافة في الإسلام من الدين، ومع هذا لا يجوز تقديم المحرمات كالخمور ولحوم الميتة والخنزير للضيوف، وهذا بسبب ارتباط العادات بالاعتقاد.

بل تعدى الأمر العادات في الطعام واللباس إلى بناء المساكن تأثرًا بالاعتقاد؛ فالمهندس المسلم حينما يصمم منزلًا يجعل في اعتباره قيم الإسلام التي تحافظ على ستر العورة، وتخصيص أماكن للضيوف من الرجال وأخرى للنساء، وهذا نابع عن اعتقادهم أن ذلك من أخلاق الإسلام وآدابه، حتى في المساجد التي يأتي إليها الناس للعبادة، وأمَّا عادة غيرهم فهي خلاف ذلك؛ لأنَّهم لا يجدون حرجًا في العلاقات المحرمة بين الرجال والنساء واتخاذ الأصدقاء والأخدان؛ لذا فبيوتهم يكشف بعضها على بعض، وهذا النوع من العادات الخاصة بهم لا يجوز للمسلمين أخذه منهم.

وأمَّا عاداتهم التي ليس لها ارتباط ظاهر باعتقادهم؛ ولكنها من خصائصهم التي لا يشاركهم فيها المسلمون، كبعض أنواع الألبسة العارية ونحوها من سمتهم الظاهر؛ فلا يجوز التشبه بهم فيها، لما فيها من الاختصاص بهم، فقد ثبت عن ابن عمر رضي الله عنه أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[٢].

٣ ـ جانب الفكر والنظر:

ينقسم النتاج الفكري في الثقافات الأخرى إلى قسمين:

الأول: ما كان متأثرًا بعقيدة منحرفة أو تصورات باطلة، أو كان مخالفًا للثابت

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (١٥١٥٦)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل برقم (١٥٨٩).

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٤٠٣١)، وقال الألباني: حسن صحيح.

من عقيدة المسلمين؛ كنظرية التطور والارتقاء، والنظريات التي تقدس الطبيعة وتجعلها خالقة موجدة، ومهلكة مفنية، فهذا القسم يحرم على المسلمين قبوله والتسليم به.

الثاني: ما كان نتيجة للتجربة أو التأمل والتفكير ولم يعارض الثابت من عقيدة المسلمين؛ كبعض المناهج البحثية، والنظريات التي تحاول تفسير تصرفات وانفعالات النفس البشرية، والعلوم الطبية والفلكية ونحوها مما لا يناقض المعلوم الثابت في ديننا فلا حرج من الإفادة منه؛ لأنَّه من المشترك الإنساني الذي لا يختص بقوم دون قوم.

٤ ـ جانب الإنتاج والتطور الدنيوي:

الإنتاج الصناعي والتقني عند الأمم الأخرى كثير، ولا حرج ـ من حيث الأصل ـ من الإفادة مما تنتجه الثقافات الأخرى من تقنية وأجهزة ووسائل مواصلات وبرامج تواصل بين الناس، مع الحذر مما لا يجوز تصنيعه كالأسلحة المدمرة التي تقتل كل ذي روح من غير تمييز بين مذنب وبريء، إذ لا يجوز في ثقافتنا القتل العام ولا الإهلاك للحرث والنسل، وكذلك الحذر من استعمال تلك المنتجات فيما لا يجوز استعمالها فيه؛ كنشر الفواحش والإشاعات والكذب ونحوها.

ومن هنا نعلم أن موقف الثقافة الإسلامية من الثقافات الأخرى موقف إيجابي يتفاعل معها فيما فيه نفع للبشرية ولا يخالف أصول ديننا وثوابت عقيدتنا وشريعتنا، أمَّا إن خالفها أو كان مما يضر بالناس فإنا لا نقبل به، فضلًا عن أن نشارك فيه.

ثم إنَّه يجب على المسلمين أن يكونوا مبادرين إلى تقديم ثقافتهم الإسلامية للعالم، حتى يُسهموا في توجيه الفكر والتأثير في العلوم، وطرح الحلول للمشكلات التي تعصف بالعالم على تنوعها: من نفسية، وسياسية، واقتصادية، وأخلاقية... لتسهم في إنقاذ البشرية من الانكباب على المادة والغفلة عن الروح، مما جعل البشرية في العالم تعيش أزمات نفسية، وانحرافات أخلاقية، وجرائم شهوانية، وانحلالًا خُلقيًّا، وفشو الأمراض المهلكة، وكثرة حالات الانتحار هربًا من الواقع الروحي البئيس.

إنَّ العالم اليوم لا ينقصه تطور تقني ولا تقدم تكنولوجي؛ إنما ينقصه إيمان يُعمِّر القلوب الخاوية بعقيدة صحيحة صافية، تقوده إلى سعادته التي يلهث بحثًا عنها

وما وجدها، ولن يجدها ما دام في غيه وبعده وانحرافه واتباعه لشهواته، وليس ذلك إلا في الثقافة الإسلامية.

ومن تأمل الواقع وجد أن الثقافة الإسلامية مؤثرة في الثقافات الأخرى مع ضعف المسلمين اليوم، وعدم امتثال كثير منهم لمبادئها وقيمها. ومن ذلك: أنَّ المنصفين من مفكري الغرب يقرون بأنَّ ما تعيشه أوروبا اليوم من تطور إنَّما كانت بدايته علوم المسلمين في الأندلس قبل سقوطها، ثم طوروها وفتح الله عليهم فيها؛ حتى وصلوا إلى هذا التقدم الدنيوي المشهود للعيان؛ أما في أمور الآخرة فهم بحاجة إلى من يقودهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم وسعادتهم، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم: ٧].

وفي علم الألسن نجد أنَّ اللغة العربية أثَّرت في كثير من لغات العالم الحية، فدخلت كلمات من العربية في تلك اللغات، وصارت تستعمل استعمال الكلمات الأصلية فيها.

وفي علم الاقتصاد كان للثقافة الإسلامية في الثقافات الأخرى ما نادى به جمع من علماء الاقتصاد في العالم، وفي أمريكا على وجه الخصوص بعد الانهيار المالي الكبير لأعظم بنوك أمريكا قبل أعوام مما حدا بهم إلى المطالبة بالأخذ بالنظام المصرفي الإسلامي وإحلاله محل النظام الربوي القائم في الغرب[1].

---

(١) ينظر: محاضرات في الثقافة الإسلامية (ص٩ ـ ٢٦).

المراجع الإثرائية:

ـ للمزيد طالع كتاب الثقافة الإسلامية تخصصًا ومادة.

■ المصطلحات والمفاهيم الواردة في هذا القسم:

١ ـ **القيم** هي: كل ما تقوم به الحياة قيامًا صحيحًا من المعتقدات والأحكام والتصورات.

٢ ـ **الفكر** هو: عملية عقلية تقوم على ترتيب الأمور في الذهن ليتوصل بها إلى المطلوب.

٣ ـ **الاستعمار** هو: السيطرة التي تمارسها دولة من الدول أو جماعة من الناس على شعب من الشعوب والتحكم بمصيره واستغلال خيراته لصالح المستعمر.

■ النشاط:

ـ ناقش مع زملائك بحضور أستاذ المقرر علاقة الثقافة الإسلامية بالعلوم الشرعية الأخرى.

■ التقويم:

أولًا: أجب عن الأسئلة التالية:

١ ـ عرِّف الثقافة اصطلاحًا.

٢ ـ بيِّن بإيجاز كيف نشأ علم الثقافة الإسلامية.

٣ ـ عدِّد خمسًا من أهداف الثقافة الإسلامية.

ثانيًا: اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:

١ ـ من معاني الثقافة في اللغة: أ ـ العلم. ب ـ الفن. ج ـ الحذق والفطنة.

٢ ـ ليس من مصادر الثقافة الإسلامية: أ ـ التاريخ الإسلامي. ب ـ علوم اللغة العربية. ج ـ الأدب الجاهلي.

٣ ـ الفكر هو: عملية عقلية تقوم على ترتيب الأمور في الذهن ليتوصل بها إلى المطلوب: أ ـ صواب. ب ـ خطأ.

القسم الثاني

أصول الإيمان وما يتعلق بها

الوحدة الأولى: الإسلام دين الفطرة، خصائص الإسلام.

الوحدة الثانية: الإيمان بالله تعالى.

الوحدة الثالثة: الإيمان بالملائكة، الإيمان بالكتب، الإيمان بالرسل.

الوحدة الرابعة: الإيمان باليوم الآخر، الإيمان القدر.

الوحدة الأولى

الإسلام: الدين الحق

- الدين، وحاجة البشرية إليه.
- خصائص الإسلام.

■ الأهداف التعليمية:

تهدف هذه الوحدة إلى:

١ ـ أن يتعرف الطالب على مدى حاجة البشرية للدين الصحيح.

٢ ـ أن يتكون لدى الطالب يقينًا بصحة أصول العقيدة.

٣ ـ أن يقف الطالب على مزايا الإسلام وخصائصه.

■ نواتج التعلم:

عزيزي الطالب: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادرًا على أن:

١ ـ تُوضح مدى حاجة البشرية إلى التدَيُّن.

٢ ـ تَشرح معنى كلمة: الإسلام هو دين الفطرة.

٣ ـ تَذكر مظاهر الفطرة.

٤ ـ تُبيِّن خصائص الإسلام ومزاياه التي ينفرد بها عن غيره.

تمهيـــد

جعل الله تعالى الدين هو الغاية من خلق الإنس والجن، وجعله مؤثرًا في حياتهم، حيث يقودهم إلى صلاح دنياهم وآخرتهم.

وإنَّ الله تعالى خلق البشرية مؤمنة به موحدة له، فكانت على الدين الحق حتى اجتالتهم الشياطين فأضلتهم عن التوحيد، وأوقعتهم في الشرك، فبعث الله الرسل هُداة لهم إلى الدين الصحيح، وليُبينوا لهم ما شرعه لهم ربهم.

وقد تميزت الشريعة الإسلامية بمنهج رباني عالمي واقعي له قدسيته، مستقل عن بقية التشريعات الأخرى، ولا علاقة له بالنظم والقوانين البشرية الأرضية.

حاجة البشرية للدين

تعريف الدين:

الدين في اللغة: التعبد، والذل والخضوع، والجزاء والمحاسبة، والسيرة والحال[١].

والدين في الاصطلاح العام: كل ما يعتقده الإنسان من الأمور الغيبية ويستقر بين جوانحه، ويخضع له في سلوكه وتصرفاته. ويُطلق في الخصوص على الدين الذي أرسل به محمد ﷺ وهو الإسلام.

لمحة عن تاريخ الدين:

خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيده وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته، فلمَّا عصى ربَّه بالأكل من الشجرة التي حرَّمها عليه اقتضت حكمته إنزاله إلى الأرض؛ ليتحقق فيه معنى الابتلاء، فنزل آدم وزوجه إلى الأرض وهما مؤمنان بالله تعالى، وكانا يسوسان ذريتهما بالإيمان بالله وتوحيده، ويأمرانهم بامتثال ما يَبلغهم عن ربهم من أوامر ونواهٍ، إذ كان الله تعالى يوحي إلى آدم عليه السلام ما يريد، فكانا يُنشئان المجتمع الإنساني الذي يمثلانه هما وذريتهما على الإيمان بالله وتوحيده وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، واستمرت ذريته على الإيمان بالله والتوحيد جيلًا بعد جيل؛ لم يدخل إليه الشرك، وما عرفوا الخُرافة والتعلق بغير الله، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين»[٢]. وهذا تفسيره لقول الله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ

---

(١) المصباح المنير (١/ ٢٠٥)، المعجم الوسيط (١/ ٣٠٧).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٤٠٠٩)، وهو صحيح على شرط البخاري.

فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة: ٢١٣].

ومن هذا يتبين أنَّ البشرية كانت على التوحيد الخالص والإيمان الصادق بالله تعالى منذ نشأتها، حتى طرأ عليها الشرك فانحرفت عن جادة الحق إلى الضلال[1].

حاجة البشرية للدين:

إنَّ الإنسان بطبعه يسعى إلى ما يحفظ حياته من الطعام والشراب، وما يحفظ نسله ونوعه من الزواج، وما يحقق متعة جسده من المسكن والمركب وغيرها، وهذا أمر مجبول عليه من أصل خلقته، إلا أنَّ هذه ليست هي الغاية من خلقه ولا هي سرُّ سعادته وطمأنينته الدنيوية والأخروية؛ بل إنَّ الغاية من خلقه: الدين والعبادة، فلا تتحقق الراحة التامة والسعادة الدائمة إلا به، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

وما دام أنَّ الله تعالى جعل الدين هو الغاية من خلق الثقلين: الإنس والجن، فلا بد أنَّه قد جعله مؤثرا في حياتهم؛ فالإنسان هو المستفيد الأول من تدينه؛ أمَّا الله تعالى فغني عن عباده لا يحتاج إليهم في صغير أو كبير، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

ومما يدل على حاجة الإنسان للدين مايلي:

١ ـ أنَّ في تدينه موافقة لفطرته التي فطره الله عليها حين الميثاق الأول، فلا تتم سعادته إلا بموافقته لها، قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتَ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ونص القرآن الكريم على أنَّ دين الإسلام هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فقال الله تعالى: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠]. فإن غفل الإنسان عن فطرته تنكَّب الصراط

(١) هذا إبطال لنظرية تطوُّر الدين التي قال بها بعض المفكرين الغربيين، والتي يكذبها صريح القرآن في خلق آدم على التوحيد، وبقاء ذريته قرونًا طويلة على الإيمان والتوحيد، ولم يزل الله تعالى يتعهد البشرية بإرسال الرسل؛ لأجل بقائهم عليه إلى قيام الساعة.

ووَلَغ في الخطايا والآثام؛ إلا أنَّه سرعان ما يعود إليها متى ادلهمَّ عليه الخطب ووقع في الشدائد؛ قال الله عن المشركين حال ركوبهم البحر: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥].

٢ ـ تلبية حاجة الإنسان إلى أن يأوي إلى ركن شديد، يتصف بالكمالات كلها، حيٍّ قويٍّ قادر، يسمعه إذا دعا، ويجيبه إذا طلب، وينصره إذا استنصر، ويدافع عنه، ويظهر ذلك جليًّا حين يشعر الإنسان بالضعف والنقص أمام الظواهر الكونية الغالبة الكبرى كالزلازل والبراكين وهَيجَان البحار وهبوب العواصف، فتتأكد له حاجته وفقره لقوي غالب قادر، ولا يتحقق ذلك كله إلا في الله تعالى؛ لذا كان التدين الحق لمصلحة الإنسان وحاجته ولا حاجة لله تعالى في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

٣ ـ تلبية حاجة الإنسان لمعرفة الحق من الباطل، والصواب من الخطأ، والنافع من الضار، وبعض الناس قد يعرفون بعض هذا بفطرهم، أو بالاستدلال إليه بعقولهم، والبعض الآخر بالتجربة، ولكن لا سبيل لمعرفته معرفة حقيقية صحيحة كاملة إلا بتعريف الرسل وبيانهم وهدايتهم لهم، فهو الذي يميز بين الأفعال التي تنفع والتي تضر، وهو عدل الله في خلقه، ونوره بين عباده، فلا يمكن للناس أن يعيشوا بلا شرع يُمَيزون به بين ما ينبغي فعله وما يجب عليهم تركه[(١)].

٤ ـ الدين الحق يجيب الإنسان عن الأسئلة الملحة التي تطرأ عليه: من أنا؟ ولماذا أتيت؟ وما المطلوب مني؟ وإلى أين سأذهب؟[(٢)]، فيأتيه بالجواب عن كل ذلك، فعن مبدأ خلقه يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا

---

(١) ينظر: التدمرية (ص٢١٣، ٢١٤)، ومفتاح دار السعادة (٢/ ٣٨٣).

(٢) من نماذج التيه عن جواب الأسئلة الملحة ما عبَّر عنه الشاعر الحائر إيليا أبو ماضي في قصيدته الطلاسم بقوله:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت
ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت
وسأبقى ماشيًا إن شت هذا أم أبيت
كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟
لـــــــــــــت أدري!.

ينظر: ديوان أبو ماضي (ص٨٩).

﴿ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٦].

وعن الغاية منه يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٨]، ونفى سبحانه العبث في إيجاد البشرية فقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥ ـ ١١٦].

وعن مصير الإنسان وعاقبته يقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام: ٦١ ـ ٦٢].

٥ ـ أنَّ الدين الحق يُفسِّر للإنسان الغاية من خلق الكون وتسخيره له، فالكون بكل ما فيه مسخر لمصلحة الإنسان؛ يركب بحره، ويستظل بسحابه، ويبني وهاده، ويزرع سهوله، ويرعى مواشيه في جباله وهضابه، حتى الشمس والقمر يَحسب بهما أيَّامه وأعوامه، فكل ما في الكون نافع له في حياته، وإنما عليه شكر المتفضل به، والقيام بحقه، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٢ ـ ٣٤].

٦ ـ الدين يلبي مطالب الروح والجسد جميعًا، بخلاف الضلال والإلحاد، فكلما توغل فيهما الإنسان أيقن تمام اليقين أنها لا تمنحه أمنًا، ولا تروي له ظمأً، وألّا مهرب منها إلا إلى الدين الصحيح، يقول محمد فريد وجدي: «يستحيل أن تتلاشى فكرة التدين؛ لأنَّها أرقى ميول النفس وأكرم عواطفها، ناهيك بميل يرفع رأس الإنسان؛ بل إنَّ هذا الميل سيزداد، ففطرة التدين ستلاحق الإنسان ما دام ذا عقل يعقل به الجمال والقبح، وستزداد فيه هذه الفطرة على نسبة علوِّ مداركه ونمو معارفه»[1].

(١) كتاب الدين، عبد الله دراز (ص٨٧).

خصائص الإسلام

تعريف الخصائص:

الخصائص: جمع خصيصة، وهي تتضمن معنى الانفراد[١] قال الراغب: «التخصيص والاختصاص والخصوصية والتخصص: تفرُّد بعض الشيء بما لا يشاركه فيه الجملة، وذلك خلاف العموم». اهـ.[٢]

وخصائص الإسلام هي: الميزات والصفات التي ينفرد بها دين الإسلام عن غيره من الديانات والمناهج الأخرى.

فإنَّ النظم القائمة في العالم اليوم ـ عدا الإسلام ـ لا تخرج عن أحد أصناف ثلاثة:

الأول: نظام ديني إلهي لكنَّه محرَّف، فهو إلهيٌّ في الأصل وله كتاب سماوي من عند الله تعالى؛ ولكن دخله التحريف والتبديل، والحذف والزيادة، فاختلط فيه كلام الله تعالى بكلام البشر وأهوائهم؛ كاليهودية والنصرانية.

الثاني: نظام ديني بشري، ديني باعتبار ما يتضمن من طقوس تعبدٍ وتألهٍ يؤديها الإنسان لمألوه أو لعدد من الآلهة؛ من بشر وحجر ومال وهوى وشهوة وغير ذلك، وبشري؛ لأنَّه من صنع البشر، فليس له أصل من عند الله تعالى، ومن أمثلته: البوذية، وعبادة الشيطان، وعبادة الأصنام، وغيرها. فلا يكون فيها صلاح حال للإنسان ولا تنظيم حياته؛ وإنما طقوس غامضة أو مرعبة.

الثالث: نظام مدني بشري خالص، فهو مدني لأنَّه نظام حياة دنيوية؛ يُعنى بتنظيم حياة الإنسان الدنيوية وتحقيق مصالحه وفق ضوابط وقيود دنيوية، وبشري لأنَّ مصدره البشر، أفرادًا أو جماعات، فهو نتاج تفكير الإنسان واجتهاده وتنظيره، ومن

---

(١) ينظر: لسان العرب (٧/ ٢٥).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (ص٢٨٤).

أمثلة ذلك: العلمانية، والاشتراكية، والرأسمالية، والوجودية، وغيرها كثير.

هذه هي المناهج القائمة بين يدي البشر على وجه الأرض، ويبقى الإسلام وحده بصفائه ونقائه وسموه وكماله من بين سائر المناهج والأديان هو القادر على البقاء؛ لأنَّه يمتلك خصائص تؤهله لذلك، ويكفي وعد الله العليم الخبير القوي القادر حيث يقول تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٢ ـ ٣٣].

وهذه حقيقة ظاهرة تَنَبَّه لها بعض رِجالات الغرب، ونطقت بها ألسنتهم، والحق ما شهدت به الأعداء. يقول الكاتب الإنجليزي هيلير بيلوك: «لا يساورني أدنى شك في أنَّ الحضارة التي ترتبط أجزاؤها برباط متين، وتتماسك أطرافها تماسكًا قويًّا، وتحمل في طياتها عقيدة مثل الإسلام، لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب؛ بل ستكون أيضًا خطرًا على أعدائها»[(١)].

وفيما يلي ذكر لأبرز خصائص الإسلام[(٢)]:

الأولى: الربانية:

الربانية تعني أنَّ مصدر عقائد الإسلام وتشريعاته وأخلاقه من الله تعالى وحده، فهو التشريع الوحيد في عالم اليوم الذي يصدر من كلام الله تعالى المصون عن التحريف والتزييف والتبديل، والمعصوم من الخلل والزلل، والمبرأ من الحيف والظلم، قال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود: ١].

وإنَّ كونها من عند الله؛ يعني: أنَّها قائمة على أساس من عقيدة وشريعة؛ لأنَّ الإسلام جاء للحياة كلِّها، فهو عقيدة وشريعة، ودين ودولة، وهذا يجعل حياة المسلم وحدة مترابطة منسجمة لا تتعارض ولا تتناقض؛ فالعقيدة تحكم باطنه، والشريعة تحكم ظاهره ومجتمعه.

أمَّا القوانين والتشريعات الإنسانية الأخرى فمصدرها عقل الإنسان وتجاربه وخبرات أسلافه، وخليط متناثر من بقايا الديانات الوضعية أو المحرفة، يقول

---

(١) الأصولية في العالم العربي (ص١٥٨).

(٢) خصائص الإسلام كثيرة ولكن اخترنا منها ما يتناسب مع شمول الثقافة الإسلامية.

شيشرون الروماني: «القانون الوضعي من خلق الإنسان». في حين أنَّ الله تعالى يقول عن الآلهة والمعبودات والقوانين التي صنعوها وعبدوها وتحاكموا إليها: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت: ١٧]، وقال منكرًا تشريعاتهم التي يتحاكمون إليها: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [الشورى: ٢١][1].

ومن ثمرات معرفة هذه الخصيصة ما يلي:

١ ـ أنَّها تبين الحقائق الكبرى التي لا يستطيع الإنسان معرفتها إلا بالوحي المعصوم؛ كمعرفة الخالق ﷻ، وصفاته وأمره ونهيه، وعن مبدأ خلق الإنسان، وغاية وجوده، ومصيره، وعاقبة أمره...

٢ ـ أنَّها توضح أنَّ الدين الإسلامي ليس بديلًا عن العلم والحضارة ولا عدوًّا لهما؛ فالإسلام يَحثُّ على العلم ويدعو له؛ لأنَّ الدين والعلم من الله تعالى، فهو الذي شرع الدين وخلق الخلق وهيأهم للعلم وفتح لهم أبواب العلوم الدنيوية ويسرها لهم.

وإنَّ من الخطأ الكبير أن نضع كل ما يتصل بالدين الصحيح في كفة والإبداع الإنساني في عالم المادة في كفة أخرى ثم نطلب من الإنسانية أن تختار: إمَّا الحضارة والعلم، وإمَّا الدِّين؛ لأنَّ هذا الأسلوب فيه تضليل وتشويه لكلٍ من العلم والدين على حدٍّ سواء؛ فالإسلام هو الذي حثَّ على الإبداع العلمي ووجَّهة الوجهة الصحيحة، وعلى أُسس المسلمين العلمية التجريبية قامت حضارة الغرب الحديثة كما يعترف بذلك المنصفون من المفكرين الغربيين.

الثانية: العالمية:

إنَّ الرسالات السماوية السابقة كلها كانت خاصة بأقوام مَنْ أُرسلوا بها، فكل رسول كان يخص بدعوته جماعةً معينة دون غيرها، إلا أنَّ بين هذه الرسالات جميعًا قدرًا مشتركًا هو تصحيح عقيدة التوحيد أولًا، ثم معالجة الأمراض الخُلقية

(١) ينظر: خصاص الشريعة (ص٣٥، ٣٦).

والاجتماعية في تلك المجتمعات الخاصة ثانيًا. ومن ثمَّ وضع نظام يضبط العلاقات فيما بينهم.

وليس هناك دين من الأديان له صفة العالمية إلا الإسلام، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١]. وقال جلَّ شأنه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٥٢﴾ [القلم: ٥٢]. وقال ﷺ: «**إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَكْمَلَهُ، إِلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ**»[(١)]؛ فالإسلام وحده هو الذي جاءت هدايته عامة للناس كلهم.

وإنَّ وحدة الناس تحت نظام واحد تزول معه كل أنواع التفرقة والتمييز، ويتمتع فيه الجميع بمستوى واحد من الحقوق ويلتزمون فيه بقدر مشترك من الواجبات، مقصد لا يوجد إلا في الإسلام، وفي الإسلام فحسب.

ولقد سعت البشرية منذ القدم إلى يومنا هذا لإيجاد نظام واحد تلتزم به البشرية، فقد نادى فلاسفة اليونان والرومان إلى القانون الطبيعي[(٢)] قبل أكثر من ألفي عام، وفي أول القرن العشرين طالَب القانونيون في مؤتمرهم الأول بباريس باستخلاص قانون عالمي مشترك من قوانين الشعوب المتحضرة كي تستمد منه القوانين الوطنية لهذه الشعوب أحكامها، وتستهدي بمبادئه في تطبيقاتها، ونظريتهم هذه تقوم على معادلة مفادها: إنَّ وِحدة الشرائع تكفل وِحدة المصالح وتقوم عليها دعائم الأمن والسلام.

وفي العصر الحديث خرجت إلى حيز التنفيذ فكرة النظام العالمي الجديد (العولمة) والذي كان من أبرز أوصافه: العصر الجديد، وحقبة الحرية، وزمن السلام لكل الشعوب، وهو يهدف إلى صياغة نظام مُوَحَّد تلتزم به كل دول العالم.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٥٣٥)، ومسلم برقم (٢٢٨٦).

(٢) يعرفون القانون الطبيعي بقولهم: «هو السنن التي ألهمتها الطبيعة لجميع الكائنات الحية، ويمثلون لها باتحاد الذكر بالأنثى الذي اصطلحت البشرية على تسميته بالزواج. بمعنى تحريم العلاقة خارج هذا القانون الطبيعي... وهكذا في سائر القوانين الطبيعية». ينظر: مدونة جوستينيان، الكتاب الأول، الباب الثاني، فقرة (٢٢١).

وحتى تصل القوانين والتشريعات إلى العالمية وتكون موضع ترحيب من كل أمم الأرض على اختلاف عقائدهم وتصوراتهم ومناهجهم ودياناتهم يجب أن تقوم على دعامتَين رئيستين: وحدة المصدر، وحيادية المحاسبة. ولا تتحقق هاتان الدعامتان إلا في الشريعة الإسلامية، إذ إنَّ مصدرها من الرب الخالق للكون كلِّه؛ فالالتزام بأحكامه عبادة، والمخالفة لها خطيئة تستوجب عقوبة دنيوية أو أخروية أو كلتيهما؛ والمحاسبة على ذلك ثوابًا وعقابًا تتمتع بأعلى درجات الإنصاف والحيادية؛ لأنَّ المجازي لعباده والمؤاخذ لهم هو الله تعالى؛ الذي لا تربطه مع خلقه إلا رابطة الذل والخضوع له سبحانه والتزام شريعته والخضوع لسلطانه ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

فالإسلام وحده هو الجدير بتوفير أعلى درجات العدالة للبشر بصرف النظر عن عقائدهم وألوانهم ومواطنهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام: ١٥٢].

فما شَرَعه الإسلام من أجل تحقيق وحدة البشرية، ونفيه للعصبية، ودفع الظلم عن المظلومين وإزالة الفساد من الأرض، وضمان العدالة للجميع، كل هذه الخصائص هي التي تهيِّئه أن يكون نظامًا عالميًّا.

الثالثة: الواقعية:

لقد جاء الإسلام بحقائق واقعية ملائمة لطبيعة الإنسان على الأرض، لا خيالية يصعب إدراكها، ولا أوهام غيبية يستحيل تحقيقها ولا التعايش معها، وهذا مطَّرد في كل ما جاء به الإسلام من عقائد وأحكام وأخلاق، فمثلًا: جاء الإسلام بصورة واقعية عن الإلٰه الذي يدعو الناس للإيمان به وعبادته والخضوع لسلطانه، مؤيدًا ذلك بأدلة من الشرع والعقل، وأيضًا بأدلة حسية واقعية يشاهدها الإنسان حتى يجزم بوجوده دون أدنى شك.

أمَّا الإلٰه في غير الإسلام فيكتنفه كثير من الغموض، فمثلًا: إلٰه اليهود إلٰه شَغوف بإراقة الدماء، غيور يحب شعبه فقط، ويحقد على كل الشعوب الأخرى، لذا أطلقوا على أنفسهم لقبًا يُعبِّر عن ذلك فقالوا: شعب الله المختار.

وأمَّا عند النصارى فالإله مكوَّن من ثلاثة أقانيم: الأب، والابن، وروح القدس، وهذه الثلاثة ممتزجة مع بعضها لتكوِّن الإله الذي يعبدونه، مع اختلاف طبيعة كل منها بين لاهوتية وناسوتية، وهذا غير واقعي، فيستحيل تصوره والتصديق به يقينًا.

ومن واقعية الإسلام أيضًا أنَّ الرسل الذين أُمر الناس بالإيمان بهم وتصديقهم واتباعهم وطاعتهم بشر من جنس البشر لا ملائكة ولا أبناء للإله، وذلك ليكونوا مثلهم في المشاعر والأفكار مما يستدعي قبول دعوتهم واتباعهم وتقديم مرادهم على مراد كل أحد، إذ من البدهي أن يكون الرسول من جنس المرسَل إليهم ليكون أنموذجًا يحتذى به في امتثال ما يأمرهم به والكف عما ينهاهم عنه؛ وإلا شقَّ على الناس القبول والامتثال، ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ [الإسراء: ٩٤ ـ ٩٥].

كذلك حين ذكر الإسلام عالم الغيبيات أعطاهم من الأخبار والآثار الدالة على ذلك ما يزيد يقينهم بها، وحين شرع الأحكام راعى فيها فطرة الإنسان وأنَّه مخلوق ضعيف، فلم يُكلفه بما يستحيل معه امتثاله؛ بل قرن الأوامر بالاستطاعة فقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن ١٦] وقال النبي ﷺ: «**إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ، فَأْتَمِرُوا مَا اسْتَطَعْتُمْ**»(١).

وهكذا فإنَّ الإسلام لا يُغفل حقيقة الواقع المعاش بخلاف غيره من الأديان والمذاهب التي غرقت في عالم المثل والخيال أو في عالم الماديات البحتة أو في عالم الرهبانيات والروحانيات مما كان سببًا في عدم ثباتها على حال واحد، فعزف الكثير من الناس عنها إلى الدخول في الإسلام لتحقيق ذاتيتهم وإنسانيتهم.

الرابعة: القدسية:

إنَّه لما كانت نصوص الشريعة وأحكامها تعارض شهوات بعض الناس كان تلقيهم لها مصحوبًا بنوع من التردد والتقاعس والتثاقل والحرج الذي يجدونه في

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨)، ومسلم برقم (١٣٣٧).

صدورهم. . . وهذا المزلق الخطير لا يستغرب حين يصدر ممن ليس لهم حظ في الإسلام فقد قال الله عنهم: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾﴾ [النساء: ٨٩]. ولكن الغريب أن ينزلق في هذا بعض المسلمين ممن فرحوا بما عندهم من العلم الدنيوي فأخذوا يزنون النصوص الشرعية بميزان عقولهم، فما وافق عقولهم قبلوه وما لم يوافقها أولوه وحرفوه بما يوافق الهوى، والواجب على من علم أنَّ هذه الشريعة من عند الله الذي هو إلهه وخالقة ومعبوده الذي بيده أمر الدنيا، وإليه مآبه في الآخرة أن يكون لها في نفسه شأنًا عظيمًا، واحترامًا كبيرًا، فيحرص على تطبيقها بصدق وإخلاص، ويحذر من مخالفتها ولو كان خاليًا لا يطلع عليه أحد، ليقينه أنَّ الله العليم الخبير مطَّلع عليه ويراه.

وإنَّ السمع والطاعة والقبول والإذعان لنصوص الشرع هو سبيل أهل الحق والعدل والإيمان، والإعراض عن الوحي أو معارضته أو المجادلة فيه فهو سبيل المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [النور: ٤٧].

ولقد كان المسلم يقع في الفاحشة في لحظة ضعف، ثم يأتي إلى الحاكم ويعترف بجرمه، وهو يعلم أنَّ عقوبته الرجم حتى الموت، ولكنَّ خشية الله التي ملأت قلبه دفعته إلى تزكية نفسه وتطهيرها بطلب إقامة الحد عليه؛ ولو كان في ذلك إزهاق نفسه، ومن أصدق الأمثلة على ذلك خبر ماعز والغامدية رضي الله عنهما في زمن النبي ﷺ.

وكان الشخص منهم يجد المال العظيم، ولا يراه أحد من البشر عند أخذه، ومع هذا يأتي به ويؤديه إلى المكلَّف باستلامه لا يبخس منه شيئًا؛ لأنَّه يعلم أنَّ الله حرَّم هذا، والله عالم به وهو محاسب له.

وإنَّ لتعظيم الشريعة دلالات وعلامات من أبرزها:

١ ـ عدم التردد في امتثالها أو طلب الخيرة فيها؛ بل التسليم الكامل المطلق والمبادرة للامتثال كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

٢ ـ عدم الحرج عند سماع أوامرها ونواهيها، ويتأكد التسليم لها والرضا بها حين تطبيقها وامتثالها، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، فدلَّت الآية على وجوب الانقياد لحكم الله ظاهرًا وباطنًا برحابة صدر وطمأنينة نفس[١].

ولقد ضرب أصحاب النبي ﷺ أروع الأمثلة وأصدقها في المبادرة لامتثال أمر الله ورسوله، وتعظيم نصوص الشرع، وقد ورد عنهم في ذلك كثير من الأخبار، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقطع النفقة التي كان يعطيها لرجل من قرابته من فقراء المهاجرين؛ لأنَّه تكلم في الإفك وردَّد ما كان يقوله المنافقون في عائشة رضي الله عنها، وقال: «**والله لا أنفعه بنافعة أبدًا**». فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢]، قال أبو بكر رضي الله عنه: «بَلَى واللهِ إنِّي لَأُحِبُّ أنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إلى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتي كانَ يُنْفِقُ عليه، وقالَ: واللهِ لا أنْزِعُهَا منه أبَدًا»[٢].

وورد أيضًا في تعظيم عمر الفاروق رضي الله عنه لفعل النبي ﷺ وأمره ونهيه أنَّه قلع ميزابًا للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه كان على ممر الناس وطريقهم، فقال له العباس: «أشهد أنَّ رسول الله ﷺ هو الذي وضعه في مكانه». فتراجع عمر، وأقسم على العباس ليصعدنَّ على ظهره ويضع الميزاب في موضعه[٣].

الخامسة: الاستقلال:

إنَّ الشريعة الإسلامية نظام مستقل، لا علاقة له بالنظم القانونية والتشريعية البشرية، لا حين يلتقي معها ولا حين يفترق عنها، ولا عبرة بالاتفاق أو الاختلاف في الجزئيات والعرضيات؛ إنَّما المعول عليه هو النظرة الأساسية، فهي نظام مستقل منفرد بين النظم والشرائع.

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٥١).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٧٥٠).
(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٩٦).

وقد سنَّ الإسلام مفهوم الاستقلالية في كافة مجالات الحياة تأكيدًا منه على أنَّ الأمة المستقلة أمة عزيزية منيعة، لها مصادرها ولها مناهجها الخاصة، وإنَّ الأمة التي لا تعي هذا المفهوم مِصداقًا وتطبيقًا هي أمة ذليلة تعج فيها الأخطاء والتناقضات، ومن تأكيد الإسلام للاستقلالية أن جعل ارتباط المسلمين بالله وحده فقال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران: ٢٨]. ومنه تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة ليعطي الإسلام استقلاليته الخاصة به، فقد كان اليهود يقولون: انظروا إلى محمد، إنَّه يصلي إلى قبلتنا - بيت المقدس - ويدين بغير ديننا، وكان الرد من الله تعالى بقوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [البقرة: ١٤٤].

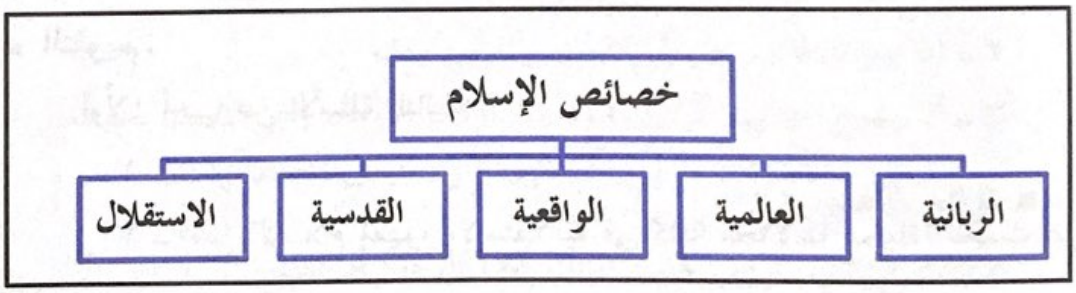

■ المراجع الإثرائية:

ـ للمزيد طالع كتاب خصاص الإسلام، للدكتور إسماعيل علي محمد.

■ المصطلحات والمفاهيم الواردة في هذه الوحدة:

١ ـ **الحضارة**: نظام اجتماعي يُعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي.

٢ ـ **العولمة**: جعل الشيء عالمي أو جعل الشيء دولي الانتشار في مداه أو تطبيقه. وهي أيضًا العملية التي تقوم من خلالها المؤسسات، سواء التجارية، والتي تكون من خلالها العولمة عملية اقتصادية في المقام الأول، ثم سياسية، ويتبع ذلك الجوانب الاجتماعية والثقافية وهكذا.

■ النشاط:

ـ اكتب مقالًا توضح فيه تاريخ الدين، ثم قم بعرض ما كتبته على أستاذ المقرر.

■ التقويم:

أولًا: أجب عن الأسئلة التالية:

١ ـ أذكر لمحة تاريخية عن الدين.

٢ ـ «سنَّ الإسلام مفهوم الاستقلالية في كافة مجالات الحياة» تحدث عن ذلك بإيجاز.

٣ ـ عَدِّد أربعًا من خصائص الإسلام.

ثانيًا: اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:

١ ـ الخصائص: جمع خصيصة، وهي تتضمن معنى: أ ـ الانحياز. ب ـ الانفراد. ج ـ التنصيص.

٢ ـ الدين في اللغة يعني: أ ـ التعبد. ب ـ الخضوع. ج ـ أ + ب.

٣ ـ ليس هناك دين من الأديان له صفة العالمية إلا الإسلام: أ ـ صواب. ب ـ خطأ.

الوحدة الثانية

الإيمان وأركانه

أولًا: الإيمان بالغيب ومنزلته في الاعتقاد.

ثانيًا: حقيقية الإيمان وآثاره وأركانه.

ثالثًا: الركن الأول: الإيمان بالله تعالى.

■ **الأهداف التعليمية:**

تهدف هذه الوحدة إلى:

١ ـ أن يعرف الطالب معنى الإيمان بالغيب، وأثره في العقيدة.

٢ ـ أن يبين الطالب حقيقية الإيمان وآثاره وأركانه.

٣ ـ أن يشرح الطالب الركن الأول من أركان الإيمان وهو الإيمان بالله تعالى.

■ **نواتج التعلم:**

عزيزي الطالب: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

١ ـ تُبيّن معنى الإيمان بالغيب، وأثره في العقيدة.

٢ ـ تُعرِّف حقيقية الإيمان وآثاره وأركانه.

٣ ـ تُعدِّد الأمور التي يسلتزمها الإيمان بالله.

٤ ـ تَشرح الركن الأول من أركان الإيمان وهو الإيمان بالله تعالى.

أثر الإيمان بالغيب:

إنَّ الإيمان بالغيب له تأثير قوي على الإنسان، فكل قضايا الإيمان مبنية على الإيمان بالغيب، وأعلى ذلك وأجلَّها الإيمان بالله تعالى، علام الغيوب، وهو الذي يجعل الإنسان يخشى ربه في سِرِّه وجهره، ويُسره وعُسره، وإقباله وإدباره، وفي حركته وسكونه، فيعمل على تصحيح مسار حياته بما يرضيه تعالى.

ومن ثمرات الإيمان بالغيب أيضًا: توسيع الإنسان حدود محيطه المادي الضيق المحسوس فيدرك أنَّ الكون أكبر وأوسع من هذا الحيز الضيق الذي يعيش فيه.

ومنها: تحرير فكر الإنسان من الاشتغال بأسئلة وقضايا تتجاوز إمكاناته ووسائله المادية المحدودة.

ومنها: الحماية من الوقوع في شَرَك الخرافات والشعوذة والدجل، فيُكذِّب دعواهم في قدراتهم الخارقة لمعرفة الغيب والمستقبل.

أولًا: الإيمان بالغيب

تعريف الغيب:

الغيب لغة: كل ما غاب عن الإنسان فلا يدركه حسه، يقال: غاب الشيء إذا استتر واحتجب[1]، فما غاب عن حواسنا، وخرج عن دائرتها وحدودها فهو غيب بالنسبة إلينا.

اصطلاحًا: هو ما استأثر الله بعلمه ولم يُطلع عليه أحدًا من خلقه إلا مَنْ ارتضى من رسول، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧].

وقد وصف الله تعالى المؤمنين والمتقين بأنهم من الذين يؤمنون بالغيب، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [البقرة: ١ ـ ٣]. والله ﷻ لا يخفى عليه شيء؛ فالأشياء كلُّها حاضرة لديه، والماضي والحال والمستقبل عنده سواسية، ومهما بلغت منزلة المخلوق وعظمته وقوته، ومهما امتلك من الوسائل والأساليب والصناعات فإنَّه لا يستطيع معرفة الغيب، إذ علم الغيب المطلق من خصائص الرب ﷻ.

معنى الإيمان بالغيب:

هو التصديق الجازم بكل المغيبات التي أخبرنا الله ورسوله ﷺ عنها دون تردد أو شك، مثل: الإيمان بالملائكة، ويوم القيامة والبعث والنشور، والحساب والجنة والنار. قال الله تعالى في أول صفة لعباده المتقين: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [البقرة: ١ ـ ٣].

---

(١) ينظر: لسان العرب (١/ ٦٥٤).

أثر الإيمان بالغيب:

إنَّ الإيمان بالغيب له تأثير قوي على الإنسان، فكل قضايا الإيمان مبنية على الإيمان بالغيب، وأعلى ذلك وأجلَّها الإيمان بالله تعالى، علام الغيوب، وهو الذي يجعل الإنسان يخشى ربه في سِرِّه وجهره، ويُسره وعُسره، وإقباله وإدباره، وفي حركته وسكونه، فيعمل على تصحيح مسار حياته بما يرضيه تعالى.

ومن ثمرات الإيمان بالغيب أيضًا: توسيع الإنسان حدود محيطه المادي الضيق المحسوس فيدرك أنَّ الكون أكبر وأوسع من هذا الحيز الضيق الذي يعيش فيه.

ومنها: تحرير فكر الإنسان من الاشتغال بأسئلة وقضايا تتجاوز إمكاناته ووسائله المادية المحدودة.

ومنها: الحماية من الوقوع في شَرَك الخرافات والشعوذة والدجل، فيُكذِّب دعواهم في قدراتهم الخارقة لمعرفة الغيب والمستقبل.

ثانيًا: الإيمان حقيقته

أولًا: معنى الإيمان:

الإيمان هو: اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[(١)].

والإيمان بالله ﷻ أكرم صلة بين العبد وربه، وذلك أنَّ الإنسان أشرف مخلوقات الله، وأشرف ما في الإنسان قلبه، وأشرف ما يقع في القلب الإيمان، قال النبي ﷺ: «**أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ**»[(٢)].

ومن ثم كانت الهداية إلى الإيمان وامتلاء القلب به أجلَّ نعمة أنعم الله بها على الإنسان، وأفضل منحة له على الإطلاق، قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات: ١٧].

وأنَّ العقيدة الصحيحة الواضحة هي أساس بناء الإنسان؛ لأنَّها تقوم على أساس إصلاح الإنسان من داخله بإصلاح قلبه أولًا ليصلح في سائر أموره.

ولهذا يجب على المسلمين تعلم العقيدة الصحيحة ودراستها، وتنقيتها من كل دخيل عليها، ومن ثمَّ تحويلها إلى واقع عملي ملموس، لا مجرد ثقافة نظرية لا أثر لها في حياة معتقديها.

قواعد في الإيمان:

١ ـ الإيمان قول وعمل، قول القلب بالتصديق، وقول اللسان بالشهادة

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٥، ٥٠٦).

(٢) أخرجه البخاري حديث (٥٢)، ومسلم حديث (١٥٩٩).

بالتوحيد، والعمل بالقلب كالإخلاص والتوكل والمحبة...، وعمل الجوارح بسائر العبادات والقرب؛ كالصلاة والصيام والبِر والصلة وغيرها[١].

٢ ـ الإيمان يزيد وينقص، قال الله تعالى في زيادة إيمان المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢]. وكل ما قَبِل الزيادة فهو عرضة للنقصان، ومما يدل على ذلك ما رواه حنظلة الأسيدي قال: «لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة. قال: سبحان الله، ما تقول؟! قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرا. قال أبو بكر: فوالله إنَّا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله، نكون عندك تذكِّرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرًا. فقال رسول الله ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً** ـ ثلاث مرات ـ»»[٢].

٣ ـ فعل الكبائر من الذنوب والإصرار على الصغائر يسلب الفاعل وصف الإيمان الكامل ويوصف بالفسق؛ لأنَّ الفسق هو فعل الكبيرة أو الإصرار على الصغيرة.

٤ ـ لا يحكم لمعين بنار ولا جنة إلا من شهد له النص بذلك؛ كالمبشرين بالجنة من الصحابة، ومن وَرَد النص بأنهم من أهل النار كفرعون وهامان وقارون وأبو لهب وأبي بن خلف وغيرهم.

٥ ـ إذا ظهرت أفعال الإسلام على قوم عاملناهم على حسب ظاهرهم ولا نتعرض لنياتهم؛ بل نكل سرائرهم إلى الله تعالى.

---

(١) العمل جزء من الإيمان؛ لأنَّ الله تعالى أطلق على بعض الأعمال إيمانًا فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٥٠).

٦ ـ التكفير والتبديع يقع على الأفعال، أمَّا الفاعل المعين فلا يقع عليه إلا بعد توفر الشروط وانتفاء الموانع؛ لأنَّه ليس كل من وقع في الكفر أو البدعة وقع وصف الكفر والبدعة عليه.

٧ ـ المنزلة والمكانة في الدنيا والآخرة تكون بناء على الإيمان، قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [السجدة: ١٨ ـ ٢٠]، فلن يجعل الله تعالى المؤمنين في أحوالهم ومنزلتهم عنده كالفساق أبدًا.

٨ ـ الإيمان شعب متعددة يكمل باجتماعها، وقد يزول عند زوال بعضها وينقص عن زوال البعض الآخر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ ـ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ ـ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»**[1].

(١) المصدر السابق برقم (٣٥).

ثالثًا: أركان الإيمان

ثبت في الصحيح أنَّ جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[1]. فبيَّن أنَّ للإيمان ستة أركان لا يصح إيمان عبد إلا باستكمالها، وهي على ما يلي:

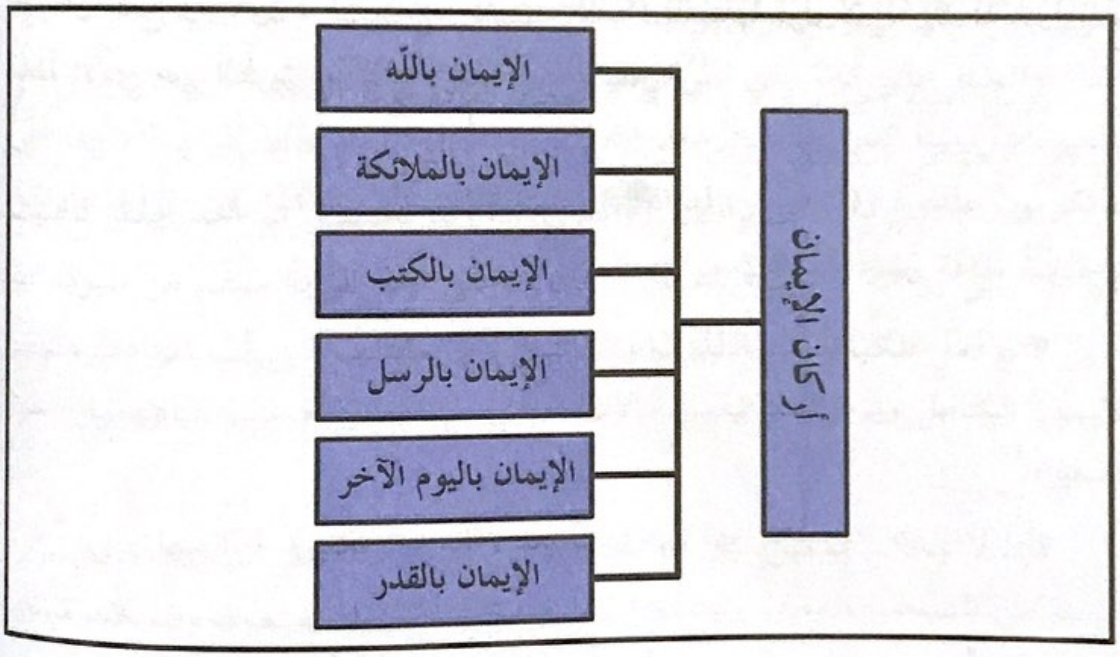

(١) المصدر نفسه برقم (٨).

الركن الأول

الإيمان بالله ﷻ

معنى الإيمان بالله:

الإيمان بالله تعالى هو: الاعتقاد الجازم والتصديق الكامل بوجوده تعالى وأنَّه واحد لا شريك له في ذاته وأسمائه وصفاته، المنفرد بالربوبية، المستحق وحده للعبادة والإلهية.

وعليه فإنَّ الإيمان بالله تعالى يشمل الإيمان بأربعة أمور: الإقرار بوجوده تعالى، وتوحيده في ربوبيته، وألوهيته، وذاته وأسمائه وصفاته.

ولا يتم الإيمان بالله تعالى إلا بتحقيق هذه الأمور الأربعة جميعًا. وفيما يلي بيانها:

أولًا: الإقرار بوجود الله والأدلة على ذلك:

إنَّ وجود الله ﷻ أمر فطري تشهد به الآيات الشرعية والكونية، ويقرُّ به العقل السليم، ولا يصح إيمان أحد ولا تقبل منه عبادة حتى يجزم بوجوده ابتداء، ثم يتبع ذلك توحيده فيما هو من خصائصه، فمَنْ لم يؤمن بوجوده لن يوحده في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ولن يخلص له في قصده وطلبه وعباداته وقرباته.

وإنَّ دعوى الملحدين - في القديم والحديث - بأنَّ الكون أزلي وُجد بالصدفة

ولا دليل على وجود خالق له وموجد إنما هي مجرد دعوى دفعهم إليها عدم رغبتهم التسليم بوجود الله ولو مؤقتًا؛ حتى يتحققوا منه، ولو فعلوا ذلك لوجدوا البراهين الكثيرة على وجوده تعالى، إذ بثَّ سبحانه دلائل وجوده في كل شيء في الكون، ومن يتأمل في الكون يتجدد له مع كل تأمل برهان جديد يؤكد وجود الخالق العظيم، وهذه الدلائل يستوعبها كل طالب للحق. وسنورد بعض تلك الأدلة على وجه الإيجاز:

الأول: دليل الخلق والإيجاد:

إنَّ خلق الكون وما فيه من كائنات وخلق الإنسان وما أُودع فيه من الحواس والقدرات لدليل على أنَّ هذا لم يكن إلا بفعل فاعل خالق قادر على ذلك؛ وليس ثَمَّ إلا الله الذي يقدر على الخلق، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور: ٣٥ ـ ٣٦]. وقال الله تعالى في الحديث القدسي: «**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي؟ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**»[(١)]. والمعنى: فليخلقوا ذرة فيها روح تتصرف بنفسها كهذه الذرة التي هي خلق الله تعالى، وليخلقوا حبة حنطة أو شعير فيها طعم تؤكل، وتزرع وتنبت، ويوجد فيها ما يوجد في حبة الحنطة والشعير ونحوهما من الحب الذي يخلقه الله تعالى وهذا أمر تعجيز[(٢)].

بل إنَّ كل حادث له محدِث وكل مخلوق لا بد له من خالق مُوجد، وهذا معلوم لكل عاقل، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «معلوم بضرورة العقل أنَّ المحدَث لا بد له من مُحدِث، وأنَّه يمتنع تسلسل المحدثات بأن يكون للمحدَثِ محدِث، وللمحدِث محدِث، إلى غير غاية. وهذا يسمى تسلسل المؤثرات والعلل والفاعلية، وهو ممتنع باتفاق العقلاء»[(٣)]. ولم يوجد على مرِّ تاريخ البشرية ولن يوجد إلى قيام الساعة من يزعم أنَّه هو الذي أوجد الكون والمخلوقات؛ فدلَّ ذلك على وجود الله عَزَّ وَجَلَّ ضرورة.

الثاني: دليل إتقان الخلق:

إنَّ خلق المخلوقات كلها على أعلى درجة من الإتقان بلا خلل ولا اضطراب فيها دليل على وجود خالق لها، ولم يقل أحد على مرِّ التاريخ أنه الذي خلقها،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٥٥٩)، ومسلم برقم (٢١١١).
(٢) ينظر: التعليق على صحيح مسلم (٣/ ١٦٧١).
(٣) مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٤٥).

إلا الله تعالى، فهو خالق كل شيء، وقد ألمح ﷻ لذلك فقال: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل: ٨٨]، وقال: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة: ٧]، ويقول ابن القيم رحمه الله: «إذا تأمَّلت العالَم وجدته كالبيت المبني المُعد، فيه جميع عباده، فالسماء سقفه، والأرض بساطه، والنجوم زينته، والشمس سراجه ومصالح سكانه، والليل سكنهم والنهار معاشهم، والمطر سقياهم، والنبات غذاؤهم ودواؤهم وفاكهتهم، والحيوان خدمهم ومنه قوتهم ولباسهم، والجواهر كنوزهم وذخائرهم، كل شيء منها لما يصلح له، فضروب النبات لجميع حاجاتهم، وصنوف الحيوانات معدة لجميع مصالحهم، وذلك أدلُّ دليل على وحدانية خالقه وقدرته، فلم يكن لون السماء أزرق اتفاقًا؛ بل لحكمة باهرة، فإنَّ هذا اللون أشد الألوان موافقة للبصر، حتى إنَّ في وصف الأطباء لمن أصابه ما أضر ببصره أو كُلِم بصره إدمانَ النظر إلى الخضرة وما قرب منها إلى السواد، فجعل أحكم الحاكمين أديم السماء بهذا اللون ليمسك الأبصار الراجعة فلا ينكأ فيها، فهذا الذي أدركه الناس بعد الفكر والتجربة قد وُجد مفروغًا منه في الخلقة.

ولم يكن طلوع الشمس وغروبها على هذا النظام لغير علة ولا حكمة مطلوبة؛ فكم من حكمة ومصلحة في ذلك: من إقامة الليل والسكن فيه، والنهار والمعاش فيه، فلو جعل الله عليهم الليل سرمدًا لتعطَّلت مصالحهم وأكثر معايشهم. والحكمة في طلوعها أظهر من أن تنكر، ولكن تأمل الحكمة في غروبها إذ لولا ذلك لم يكن للناس هدوء ولا قرار ولا راحة، وكان الكد الدائم يهلك أبدانهم ويسرع فسادها، وكان ما على الأرض يُحرق بدوام شروق الشمس، من حيوان ونبات، فصار النور والظلمة على تضادهما متعاونين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم وقوامه ونظامه.

وكذلك الحكمة في ارتفاع الشمس وانحطاطها لإقامة هذه الأزمنة الأربعة وما في ذلك من الحكمة، فإنَّ في الشتاء تفور الحرارة في الشجر والنبات فيتولد من ذلك مواد الثمار وتكيف الهواء، فتنشأ منه السحاب ويحدث المطر الذي به حياة الأرض والحيوان، وتشتد أفعال الحيوان وتقوى الأفعال الطبيعية. وفي الربيع تتحرك الطبائع وتظهر المواد الكامنة في الشتاء، وفي الصيف يسخن الهواء فتنضج الثمار ويتحلل فضول الأبدان ويجف وجه الأرض فيتهيأ للبناء وغيره. وفي الخريف يصفو الهواء

ويتعدَّل فيذهب بسَوْرة حرِّ الصيف وسمومه، إلى أضعاف أضعاف ذلك من الحِكَم، وكذلك الحكمة في تنقل الشمس؛ فإنها لو كانت واقفة في موضع واحد لفاتت مصالح العالم، ولما وصل شعاعها إلى كثير من الجهات؛ لأن الجبال والجدران يحجبانها عنها، فاقتضت الحكمة الباهرة أن جعلت تطلع أول النهار من المشرق وتشرق على ما قابلها من وجه الغرب، ثم لا تزال تغشى وجهًا بعد وجه حتى تنتهي إلى الغرب فتشرق على ما استتر عنها أول النهار، فتأخذ جميع الجهات منها قسطًا من النفع، وكذلك الحكمة الباهرة في انتهاء مقدار الليل والنهار إلى هذا الحد، فلو زاد مقدار أحدهما زيادة عظيمة لتعطلت المصالح والمنافع وفسد النظام، وكذلك الحكمة في ابتداء القمر دقيقًا ثم أخذه في الزيادة حتى يكمل ثم يأخذ في النقصان حتى يعود إلى حالته الأولى، فكم في ذلك من حكمة ومصلحة ومنفعة للخلق، فإنَّهم بذلك يعرفون الشهور والسنين والآجال وأشهر الحج والتاريخ ومقادير الأعمار ومدد الإجارات وغيرها، وهذا وإن كان يحصل بالشمس إلا أنَّ معرفته بالقمر وزيادته ونقصانه أمر يشترك فيه الناس كلهم، وكذلك الحكمة في إنارة القمر والكواكب في ظلمة الليل فإنَّه مع الحاجة إلى الليل وظلمته لهدوء الحيوان وبرد الهواء عليه وعلى النبات لم يُجعل ظلامًا محضًا لا ضياء فيه فلا يمكن فيه سفر ولا عمل، وربما احتاج الناس إلى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في النهار ولشدة الحر فيتمكنون في ضوء القمر من أعمال كثيرة، وجعل نوره باردًا ليقاوم حرارة نور الشمس فيبرد سمومه، فيعتدل الأمر ويكسر كيفية كل منهما كيفية الآخر ويزيل ضررها. وكذلك الحكمة في خلق النجوم فإنَّ فيها من الهداية في البَر والبحر والاستدلال على الأوقات وزينة السماء وغير ذلك ما لم يكن حاصلًا بمجرد الاتفاق»[١].

ويقول إدوارد لوثركيسيل - وكان رئيسًا لقسم الأحياء بجامعة سان فرانسيسكو وأخصائيًّا في علم الحيوان والحشرات -: «كلما استرسلتُ في دراستي للطبيعة والكون ازداد اقتناعي وقوي إيماني... فالعمليات والظواهر التي تهتم العلوم بدراستها ليست إلا مظاهر بينات على وجود الخالق المبدع لهذا الكون»[٢].

---

(١) شفاء العليل (٣٣٤، ٣٣٥).

(٢) العقيدة الإسلامية، لسعد الدين (ص٨٩).

الثالث: دليل الحس والمشاهدة في النفس والآفاق:

دعا القرآن الكريم الناس إلى النظر في الكون وما فيه من إنسان وحيوان ونبات وجماد وبحار وأنهار وأفلاك، وكل ما يقع تحت الحس البشري، فقال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢٠ ـ ٢١]، ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت: ٢٠]. ولفت الأنظار إلى إدراك الآيات الكونية وما فيها من دلائل على موجدها فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾ [الملك: ٣]. وقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ ۖ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية: ١٧ ـ ٢١] وقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق: ٥ ـ ١١].

قال الشاعر:

فيا عَجَبًا كَيْفَ يعْصي الإلَهَ ... أَمْ كَيْفَ يَجحدُهُ الجاحِدُ
وفي كُلِّ شيءٍ لهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ
وَللَّهُ في كُلِّ تَحرِيكَةٍ ... وَتَسْكِينَةٍ أَبَدًا شَاهِدُ

وسئل أعرابي: بم عرفت ربك؟ فقال: البعرة تدل على البعير، وآثار الخُطا تدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج كيف لا تدل على العلي الكبير.

وقد أشارت الرسل إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠][1].

الرابع: دليل الهداية العامة:

المراد بالهداية العامة: دلالة الخلق لما فيه قوام حياتهم. قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه: ٥٠]، وقال: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ

(١) ينظر: إيثار الحق على الخلق (١/ ٥٢، ٥٣).

﴿٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣﴾ [الأعلى: ١ ـ ٣]. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الهداية العامة التي هي قرينة الخلق في الدلالة على الرب تبارك وتعالى وأسمائه وصفاته وتوحيده»(١).

وقال في بيان صور من تلك الهِدايات للخلائق: «أي أعطى كل شيء صورته التي لا يشتبه فيها بغيره، وأعطى كل عضو شكله وهيئته، وأعطى كل موجود خلقه المختص به ثم هداه إلى ما خلقه له من الأعمال، وهذه هداية الحيوان المتحرك بإرادته إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، وهداية الجمال المسخر لما خلق له، فله هداية تليق به، كما أنَّ لكل نوع من الحيوان هداية تليق به وإن اختلفت أنواعها وصورها.

وكذلك كل عضو له هداية تليق به: فهدى الرِجلين للمشي، واليدين للبطش والعمل، واللسان للكلام، والأذن للاستماع، والعين لكشف المرئيات، وكل عضو لما خلق له.

وهدى الزوجين من كل حيوان إلى الازدواج والتناسل وتربية الولد، وهدى الولد إلى التقام الثدي عند وضعه وطلبه، ومراتب هدايته سبحانه لا يحصيها إلا هو فتبارك الله رب العالمين. وهدى النحل أن تتخذ من الجبال بيوتًا ومن الشجر ومن الأبنية ثم تسلك سُبُل ربها مذللة لها لا تستعصي عليها، ثم تأوي إلى بيوتها، وهداها إلى طاعة يعسوبها واتِّباعه والائتمام به أين توجه بها، ثم هداها إلى بناء البيوت العجيبة الصنعة المحكمة البناء»(٢).

وقال عن وجه آخر من الهداية: «إنَّ الله سبحانه هَدَى البهائم والطير أن يُعرِّف بعضها بعضًا مرادها بأصواتها، كما يُشاهَد في أجناس الحيوان والطيور؛ فالديك يُصوِّت فيعرف الدجاج مراده، والفرس يصهل فيعرف الخيل مراده، والكلب ينبح فتعرف الكلاب مراده، والهر تموء فتعرف أولادها مرادها، والدجاجة تعرف أفراخُها مرادها بصوتها، وهذا من تمام عناية الخالق سبحانه بخلقه وهدايته العامة»(٣).

وهذه الهداية دليل على الرب سبحانه وطريق للإيمان به وبرسله الذين أرسلهم لإكمال الهداية الخاصة للبشرية؛ لتقوم الحجة عليهم، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «من تأمل بعض هدايته المبثوثة في العالم شهد له بأنَّه الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب

(١) شفاء العليل (ص٧٨).
(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٢٧١، ٢٧٢).
(٣) الصواعق المرسلة (٢/ ٦٤٤).

والشهادة العزيز الحكيم، وانتقل من معرفة هذه الهداية إلى إثبات النبوة بأيسر نظر وأول وهلة وأحسن طريق وأخصرها وأبعدها من كل شبهة؛ فإنَّه لم يهمل هذه الحيوانات سدى ولم يتركها معطلة؛ بل هداها إلى هذه الهداية التي تعجز عقول العقلاء عنها، كيف يليق به أن يترك النوع الإنساني الذي هو خلاصة الوجود الذي كرمه وفضله على كثير من خلقه مهملًا وسدى معطلًا لا يهديه إلى أقصى كمالاته وأفضل غاياته؛ بل يتركه معطلًا لا يأمره ولا ينهاه ولا يثيبه ولا يعاقبه، وهل هذا إلا مناف لحكمته، ونسبته له مما لا يليق بجلاله»[(١)].

الخامس: دليل الشرع:

إنَّ جميع الكتب السماوية تنطق بوجود الله تعالى، وقد اعتمدت نقل الأخبار الإلهية إلى الناس وتبلغيهم الأحكام والتكاليف عن طريق الرسل عليهم السلام، والأنبياء والرسل قد حفظهم الله وعصمهم من الزلل فيما يبلغون، واصطفاهم لأجل أداء مهمة البلاغ وإقامة الحجة على الناس، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٣ ـ ٤٤].

وقد عرَّف الله ذاته بأسمائه وصفاته لعباده في كتابه الكريم في كثير من الآيات فقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

كانت هذه بعض الأدلة التي أوردناها على وجود الله تعالى ولم نقصد الاستقصاء، ولعل فيما ذكر كفاية[(٢)].

ثانيًا: توحيد الربوبية:

هو الاعتقاد الجازم بأنَّ الله ﷻ وحده هو الربُّ المالك الآمر، الذي ربى العالمين بنعمه[(٣)].

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٧١، ٢٧٢).

(٢) من الأدلة على وجود الله دليل التناسق والتكامل بين المخلوقات، ودليل إجابة الدعاء، ودليل آيات الأنبياء، ودليل العقل... وغيرها.

(٣) ينظر: العقيدة الميسرة (ص١٥).

والربوبية تدور حول ثلاثة أفعال لله تعالى لا يشاركه فيها أحد:

أولًا: الخلق، فالله تعالى خالق كل شيء، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢].

ولقد لفت الله تعالى أنظار المشركين إلى هذا الدليل العقلي فقال: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ١٧]؛ فالذي يخلق هو الذي يستحق أن يعبد ويوحد، أما العاجز فلا يستحق العبادة.

ثانيًا: الملك، فالله تعالى مالك كل شيء، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾ [آل عمران: ١٨٩]، فلا شريك له في ملكه كما أنه لا شريك له في خلقه، قال ﷻ: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء: ١١١].

وجمع الله بين الخلق والملك في آيات منها قوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾ [الزمر: ٦].

ثالثًا: الأمر، فالأمر كله لله كما قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، والخلق والأمر كلاهما من أفعاله التي اختص بها: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤]، فالخلق: خلق الكون وما فيه، والأمر: الأمر والنهي في خلقه بما ينظم حياتهم ويصلح أحوالهم الدينية والدنيوية.

فبهذه الأمور الثلاثة: الخلق والملك والأمر ينتظم معنى الربوبية[١]، ويندرج ضمنها جميع أفعال الرب تبارك وتعالى[٢].

ومما ينبغي أن يُعلم أنَّ الإيمان بالربوبية وحدها لا يكفي للبراءة من الشرك،

---

(١) ينظر: شرح عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة للشيخ محمد بن عثيمين (ص٤٩).

(٢) أفعال الرب تبارك وتعالى متعلقة بهذه الثلاثة، فيقال مثلًا: إنَّ رِزق الخلق على الله لأنَّهم خلقه، وهم في ملكه وتحت تصرفه، ولهذا أمرهم بالعمل بأسباب الرزق الحلال ونهاهم عن طرق الحرام. وفي الإحياء والإماتة يقال: إنَّه الذي أوجدهم من العدم ونُفخت الأرواح فيهم بأمره، وهم واقعون في ملكه وتحت سلطانه، وإذا أراد إهلاكهم أمر المَلك بقبض أرواحهم... إلخ.

وإلا فإنَّ مشركي العرب وغيرهم من الأمم كانوا يقرون إقرارًا مجملًا بالخلق والملك والرزق والتدبير لله تعالى، وإن وقع فيه نوع خلل عندهم ولم ينفعهم ذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١].

وإنَّ لصحة توحيد الربوبية أهمية خاصة في تأسيس توحيد الألوهية عليه؛ فلا يثبت توحيد الألوهية إلا على قاعدة واضحة صحيحة من الإيمان بربوبية الله تعالى دون شريك، فإن رسخ يقينه بانفراد الله تعالى بصفات الربوبية توجه إليه بالعبادة والدعاء، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

ثالثًا: توحيد الألوهية:

وهو اعتقاد تفرده تعالى باستحقاق العبادة قولًا وفعلًا وقصدًا، والبراءة من كل معبود سواه. ويستلزم تعلق القلب بالرب خوفًا ورجاء ورهبة، وهو مضمون كلمة لا إله إلا الله التي جاء بها الرسل والأنبياء جميعًا، والكفر بكل طاغوت صارف عن عبادة الله تعالى وطاعته وطاعة رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

وتوحيد الألوهية هو الغاية التي خلق الله العالمين لأجلها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]. وهو حق الله على عباده، ففي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ ﷻ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»[1]. وهو سبب النجاة في الآخرة يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٨٥٦)، ومسلم برقم (٣٠).

حرص النبي ﷺ على صحة الاعتقاد وسلامة التوحيد:

دعا النبي ﷺ إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالربوبية والإلهية والأسماء والصفات، ثم ما زال يحذِّر من كل طريق مفضية إلى القدح في التوحيد أو التأثير في نقائه وصفائه، ومن ذلك:

* **التحذير من الشرك بالله أو عبادة غيره**، فعن عبد الله بن مسعود أنَّه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»(١) ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: ١٦].

* **التحذير من الرياء في الأعمال**، قال ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرِّيَاءُ**»(٢).

* **النهي عن التعبد لله في أماكن كان أو مازال يعبد فيها غير الله**، فعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلًا ببوانة، فأتى النبي ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلًا ببوانة. فقال النبي ﷺ: «**هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟**» قالوا: لا. قال: «**هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟**» قالوا: لا، قال رسول الله ﷺ: «**أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ**»(٣). فرغم وجوب الوفاء بالنذر إلا أنه ﷺ استفصل عن مكان النحر، هل فيه ما يناقض التوحيد، أو ينقصه، أو يخاف منه أن يخالط قلب الناذر شيء مما كان عليه أهل الجاهلية، أو يظن من يراه أنه قصد ذلك المعبود من غير الله، أو فيه إحياء لمآثر الجاهلية وأعيادها. فلما أمِنَ من كل ذلك أمره بالوفاء.

* النهي عن المبالغة في مدحه ﷺ إغلاقًا لباب الغلو فيه بما ليس بمشروع، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ**»(٤).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٤٧٧)، ومسلم برقم (٨٦).
(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٣٦٣٠)، وهو حديث حسن.
(٣) أخرجه أبو داود برقم (٣٣١٣)، وصححه الألباني.
(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٤٤٥).

* **النهي عن إشراك غير الله مع الله لفظا بحرف العطف**: الواو، والأمر باستبدالها بحرف (ثم) التي تفيد الترتيب[(١)]، وذلك فيما كان من اختصاصه سبحانه، فعن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ**»[(٢)]، وعن مطرف قال: قال أبي: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا. فقال: «**السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**». قلنا: وأفضلنا فضلًا وأعظمنا طولًا. فقال: «**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ[(٣)] الشَّيْطَانُ**»[(٤)].

فهذه النصوص وأمثالها تبين أن تصحيح العقيدة والمحافظة على سلامة التوحيد وصيانته عن كل قادح فيه من الأقوال أو الأعمال من أهم ما ينبغي على المسلم العناية به.

ومما يندرج في توحيد الألوهية ما يلي:

١ ـ إفراده ﷻ بالقصد بالعبادات، فلا يشرك معه غيره.

٢ ـ إفراده تعالى بدعاء المسألة ودعاء العبادة؛ كالاستعانة، والاستغاثة، والتوكل، والمحبة، والخوف، والرجاء... إلخ.

٣ ـ إفراده بالتعظيم المطلق، فهو حق خاص له، وأمارته: الحلف به، والنذر له، ولهذا حرَّم الله الغلو بكل أنواعه وصوره؛ كالغلو في الصالحين، والأموات، والقبور والأضرحة... إلخ.

٤ ـ أنَّ من توحيد الله الوقوف عند الأسباب التي شرعها الله أو أذن فيها، وعدم اعتبار شيء سببًا إلا إذا اعتبره الشرع؛ كأسباب الشفاء، والبركة، والتوسل.

٥ ـ الحذر من مضاهاة غير الله بما اختص الله به؛ كالخلق وعلم الغيب

---

(١) لا يجوز التشريك مع الله غيره بالواو إذا كان الفعل مما اختص الله تعالى به كالمشيئة والإرادة والنصرة، ويجوز التشريك معه بالواو فيما كان من الأمور الشرعية، كالطاعة والعلم، فيقال: طاعة الله ورسوله، الله أعلم ورسوله. ينظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٥٤٢)، وشرح رياض الصالحين (١/ ٤٨٣).

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٢٣٢٦٥)، وهو صحيح.

(٣) أي: لا يتخذنكم الشيطان جَرِيًّا، والجَرِيُّ: الأجير أو الوكيل، فكأنكم تنطقون عَن الشَّيْطَان. ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٣٣١)، وغريب الحديث للخطابي (٣/ ٢٦٤).

(٤) أخرجه داود برقم (٤٨٠٦)، وصححه الألباني.

ونحوها، لذا حرَّم التصوير وتوعَّد المصورين، وحرَّم السحر والكهانة والعرافة، ونهى عن التعبد له في مكان يعبد فيه غيره... إلخ.

٦ ـ من توحيده سبحانه الرضا بقدره، والتسليم لأمره.

رابعًا: توحيد الأسماء والصفات:

والمقصود به: الاعتقاد الجازم بأنَّه تعالى واحد في ذاته وأسمائه وصفاته. فله الأسماء الحسنى[١] والصفات العلى[٢]، فهو متصف بجميع صفات الكمال ومُنَزه عن جميع صفات النقص، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم: ٢٧].

ومن لوازم الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات أن يُثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

وكذلك نفي ما نفاه الله ﷻ عن نفسه وما نفاه عنه رسول الله ﷺ من الصفات مع إثبات كمال ضدِّها؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ﴾ [النساء: ٤٠]، فنفى عن نفسه الظلم؛ فينفى عنه ويثبت كمال عدله تعالى. وهكذا في سائر صفات النفي.

وأخيرًا: فإنَّ من أبرز لوازم الإيمان بالله تعالى أمران: القيام بحقه في إخلاص العبادة له دون سواه، والتسليم لسلطانه في تشريع نظام الحياة، وهذا ما سنبينه فيما يلي:

أولًا: حق العبادة:

سأل النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال: **«يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ؟»**، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **«فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ**

---

(١) الحسنى: اسم تفضيل بمعنى كاملة الحسن.

(٢) العلى: اسم تفضيل من العلو، وصفات الله تعالى أعلى ما يكون من الصفات وأكملها.

بِهِ شَيْئًا»[١]. قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» المراد بالعبادة: عمل الطاعات واجتناب المعاصي. وعطف عليها عدم الشرك لأنَّه تمام التوحيد، والحكمة في عطفه على العبادة أنَّ بعض الكفرة كانوا يدَّعون أنهم يعبدون الله ولكنهم كانوا يعبدون آلهة أخرى، فاشترط نفي ذلك»[٢].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «العبادة هي الغاية التي خلق الله لها العباد، وبها أرسل الرسل وأنزل الكتب، وهي اسم يجمع كمال الذل ونهايته وكمال الحب لله ونهايته؛ فالحب الخلي عن ذل، والذل الخلي عن حب لا يكون عبادة؛ وإنما العبادة ما يجمع كمال الأمرين، ولهذا كانت العبادة لا تصلح إلا لله، وهي وإن كانت منفعتها للعبد والله غني عنها، فهي له من جهة محبته لها ورضاه بها؛ ولهذا كان الله أشد فرحًا بتوبة العبد من الفاقد لراحلته عليها طعامه وشرابه في أرض دوية مهلكة إذا نام آيسًا منها ثم استيقظ فوجدها؛ فالله أشد فرحًا بتوبة عبده من هذا براحلته»[٣].

فالعبادة حق لله تعالى وحده، لا يجوز صرف شيء منها لغيره، ومع هذا فإنَّ قيام الإنسان بها يورثه سعادة وطمأنينة في الدنيا وفوزًا وحبورًا في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

الثاني: حق التشريع:

التشريع: سنَّ القوانين والأنظمة الضابطة لحياة الناس[٤].

إنَّ مما يتفق عليه العقلاء أنَّ كل مالكٍ له حقُّ التصرف في ملكه بما يشاء، ومَنْ ينازعه ذلك بغير إذنه يكون معتديًا يستحق العقوبة والتأديب.

والله تعالى خلق الكون كلَّه ـ علويه وسفليه ـ، وله وحده أنْ يُبيِّن لخلقه ما يعتقدونه، ويشرع لهم ما يُنظِّم حياتهم أفرادًا وأُسرَ ومجتمعات على وفق مراده؛ لأنَّ الخلق والأمر مقترنان؛ فمن خلق استحق أن يأمر وينهى ذلك المخلوق، قال تعالى:

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٨٥٦)، ومسلم برقم (٣٠).
(٢) فتح الباري (١١/ ٣٣٩).
(٣) أمراض القلوب وشفاؤها (ص٤٤) بتصرف يسير.
(٤) ينظر: المعجم الوسيط (ص٤٧٩).

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤]. قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ﴾» له الخلق؛ لأنَّه خلقهم، وله الأمر، يأمر في خلقه بما يشاء»[(١)].

وثَمَّ ملحظ مهم يؤكد استحقاق الله تعالى بالتشريع دون غيره، ألَا وهو علمه سبحانه بتركيب الخلق وشهواتهم وما يصلحهم وما يفسدهم، وما ينفعهم وما يضرهم، وهو القادر على أن يُشَرِّع ما يقيم حياتهم وسائر شؤونهم الدينية والدنيوية دون أدنى مخاطرة أو انحراف، وبلا غلو ولا جفاء، فله وحده حقُّ التشريع وسنِّ الأحكام، ولا يملك هذا الحق المطلق أحد سواه؛ لأنَّه تعالى مالك الملك وربُّ الأرباب، والخلق مربوبون له وحده لا لغيره، ومن زعم لنفسه هذا الحق من دونه تعالى فقد نازع الله في سلطانه، وصار طاغوتًا من الطواغيت، وإمامًا من أئمة الضلال.

وقد شدَّد سبحانه النكير على من اتَّخذوا تشريعًا غير ما شرع لهم من الدين وأوجب، فقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [الشورى: ٢١]. قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: هم لا يتبعون ما شرَّع الله لك من الدين القويم؛ بل يتبعون ما شرَّع لهم شياطينهم من الجن والإنس، من تحريم ما حرَّموا عليهم من البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحامي[(٢)]، وتحليل الميته والدم والقمار إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم، من التحليل والتحريم والعبادات الباطلة والأقوال الفاسدة»[(٣)].

وإنَّ المقصود أن لا يسُنَّ البشر أنظمة وقوانين تخالف دين الله وما شرعه لعباده، كأنُ تتضمن إذنًا بما حرَّم الله أو منعًا ما أحل لعباده، وإلا كانوا مشرعين

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ٢٣٦).

(٢) هي أنواع من البهائم كان المشركون يتركون الانتفاع بها تقربًا لأصنامهم ويزعمون أنَّها لله؛ فالبَحيرة: التي تُقطع أذنها إذا ولدت عددًا من البطون، والسائبة: التي تُترك للأصنام، والوصيلة: التي تتصل ولادتها بأنثى بعد أنثى، والحامي: الذكر من الإبل إذا وُلد من صلبه عدد من الإبل. ينظر: التفسير الميسر (ص١٢٤).

(٣) تفسير أبن كثير (١/ ٥٣٣).

ينازعونه سبحانه في حقِّه[١]، إذ لا يقتصر التدين على الإيمان والعبادة فيما بين العبد وربه فقط؛ بل يشمل أيضًا الالتزام بالأحكام الشرعية والخضوع لها في جميع الأمور؛ لأنَّ الإسلام دين عقيدة وحياة.

(١) هذا هو الضابط في القوانين والأنظمة التي تدعو الحاجة إلى سنِّها، وهو ألّا تخالف الكتاب والسُّنَّة وما أجمعت عليه الأمة، فإن وُجد قانون يخالف ذلك لزم تعديله بما يتوافق معها؛ ليسلم الناس من خطورة تحكيم غير شريعة الله.

المراجع الإثرائية:

- للمزيد طالع كتاب الإيمان بالله للدكتور محمد بن إبراهيم الحمد.

■ المصطلحات والمفاهيم الواردة في هذه الوحدة:

١ - **الضَّيْعَةُ هي**: العمل النافع المُرْبِحُ؛ كالتجارة والصناعة وغيرهما من الحِرَف، وقد تطلق على الرِّبح نفسه.

٢ - **التبديع هو**: اتهام الشخص بالبِدعَة ونسبته إليها.

■ النشاط:

- قم بمشاركة زملائك بالبحث عن دليل على وجود الله لم يذكر في هذه الوحدة.

■ التقويم:

أولًا: أجب عن الأسئلة التالية:

١ - اكتب مقالًا مختصرًا عن أثر الإيمان بالغيب في حياة المسلم.

٢ - تحدث بإيجاز عن توحيد الألوهية.

٣ - عدِّد أركان الإيمان.

ثانيًا: اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:

١ - الإيمان: **أ** - قول فقط. **ب** - عمل فقط. **ج** - قول وعمل.

٢ - التكفير والتبديع يقع على: **أ** - الأفعال فقط. **ب** - الفاعل فقط. **ج** - الفاعل والفعل جميعًا.

٣ - لا يُحكَم لمعين بنار ولا جنة إلا من شهد له النص بذلك: **أ** - صواب. **ب** - خطأ.

٤ - الإيمان بالغيب؛ يعني: التصديق الجازم بكل المغيبات والمشاهدات: **أ** - صواب. **ب** - خطأ.

الوحدة الثالثة

الركن الثاني: الإيمان بالملائكة.

الركن الثالث: الإيمان بالكتب.

الركن الرابع: الإيمان بالرسل.

■ الأهداف التعليمية:

تهدف هذه الوحدة إلى:

١ ـ أن يُبيِّن الطالب صفات الملائكة.

٢ ـ أن يَذكُر الطالب أسماء خمسة من الملائكة وأعمالهم.

٣ ـ أن يوضح الطالب معنى الإيمان بالكتب.

٤ ـ أن يشرح الطالب حاجة البشرية لإرسال الرسل.

■ نواتج التعلم:

عزيزي الطالب: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

١ ـ تُعرف الإيمان بالملائكة.

٢ ـ تُبيِّن صفات الملائكة، وتَذْكُر نماذج ممن ذُكِرَت أسماؤهم وأعمالهم.

٣ ـ تُعرف الإيمان بالكتب، وتُعدِّد الكتب المنزلة.

٤ ـ تُعرف الإيمان بالرسل، وتُبيِّن مدى حاجة البشرية لإرسال الرسل.

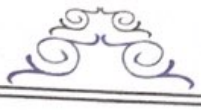

تمهيـــد

سوف نبين في هذه الوحدة معنى ثلاثة أركان من أركان الإيمان، وهي: الإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، مع بيان ما يتعلق بها من المسائل العقدية، وما ينبغي اعتقاده فيها، ومن ذلك: أسماء الملائكة الذين ذُكِروا في الكتاب والسُّنَّة، وأعمالهم، وأسماء الكتب المُنَزلة، وأسماء الرسل الكرام، وبيان الأدلة على صِدْق نبوة نبينا محمد ﷺ.

الركن الثاني

الإيمان بالملائكة

الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان، حسب ترتيب النبي ﷺ حين قال لجبريل عليه السلام: «**الْإِيمَان: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(١). والإيمان بالملائكة يستلزم الاعتقاد الجازم بأربعة أمور: الإيمان بوجودهم إجمالًا، والإيمان بأسماء وأعمال من ذكر اسمه وعمله منهم، والإيمان بصفاتهم، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فإنكارهم وجحد وجودهم كفر بإجماع المسلمين، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

ومما ورد في القرآن الكريم والسُّنَّة الشريفة مما يتعلق بالملائكة ما يلي:

أولًا: من صفات الملائكة:

١ ـ أنهم مخلوقون من نور، وأنهم أُولوا أجنحة وخلقة عظيمة قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر: ١]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خُلِقَتِ المَلائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وخُلِقَ الجانُّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ، وخُلِقَ آدمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**»(٢).

٢ ـ لهم قدرة على التشكُّل والتمثُّل بصور البشر، قال تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٦).

دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [مريم: ١٧]، وفي الحديث: «بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد». ثم أخبرهم النبي ﷺ بعد خروجه أنَّه جبريل عليه السلام.

٣ ـ أنهم مفطورون على العبادة ومعصومون عن المعصية، قال تعالى في وصفهم: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

ثانيًا: نماذج ممن ذُكِرَت أسماؤهم وأعمالهم التي كلفوا بها:

١ ـ جبريل عليه السلام المُوَكل بالوحي، ينزل به من عند الله على من يشاء من أنبيائه ورسله، وهو أفضل الملائكة؛ لأنَّ الله تعالى خصَّه بالوحي، وشرف العمل يدل على شرف العامل.

٢ ـ ميكائيل عليه السلام، المُوَكل بالمطر والنبات.

٣ ـ إسرافيل عليه السلام، المُوَكل بالنفخ في الصور حين الصعق والنشور[(١)].

٤ ـ ملك الموت، المُوَكل بقبض الأرواح، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: ١١].

٥ ـ ملك الجبال المُوَكل بها، كما جاء في الحديث الصحيح حين رجع النبي ﷺ من الطائف، بعد أن دعاهم فآذوه فلم يفق إلا في قرن الثعالب، فأتاه جبريل عليه السلام وسلم عليه، وقال: هذا ملك الجبال؛ يعني: مُرْهُ بما شئت. ويقول: إن شئت أطبقت الأخشبين عليهم. فقال النبي ﷺ مع هذه الشدة العظيمة: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»[(٢)].

٦ ـ مالك: خازن النار، لقوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٧].

٧ ـ الحفظة، وهم مُوكلون بحفظ بني آدم، قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [الرعد: ١١].

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢/ ٦٩٧)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٦٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٢٣١)، ومسلم برقم (١٧٩٥).

٨ ـ حملة العرش، وهم المُوكلون بحمل عرش الرحمٰن سبحانه، قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة: ١٧].

٩ ـ الكرام الكاتبين: وهم المُوكلون بكتابة أعمال بني آدم، كما قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧، ١٨].

هؤلاء بعض من وَرَد ذكرهم في الكتاب والسُّنَّة وأمَّا غيرهم ممن لم يُذكر فخلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، ومما يدل على كثرتهم ما أخبر به النبي ﷺ من أنَّ البيت المعمور يدخله ـ وفي رواية: يصلي فيه ـ كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه[١]. وقال ﷺ أيضًا: «**إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لله**»[٢].

وإن الإيمان بالملائكة يثمر آثارًا حسنة على المؤمن منها:

١ ـ استشعار عظمة الله تعالى وقوته حين خلق هذا العالم النوراني، وما أودع فيه من عظم الخلق وقوة البأس وزكاة النفوس.

٢ ـ اطمئنان المؤمن وزيادة إيمانه حين يعلم أنّه ليس الوحيد الذي يعبد الله تعالى، وإنما يشاركه في العبادة خلق لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

٣ ـ الإقبال على التديّن بحماس وصدق ورغبة في زيادة الحسنات ونقص السيئات لإيمانه بالكرام الكاتبين الذين كلّفوا بتدوين كل ما يصدر عن الإنسان من قول أو عمل.

٤ ـ قوة القلب والشجاعة في الحق فلا يخاف من شيء لإيمانه بأن الله تعالى أوكل بحفظه الملائكة فلا يخلص له شيء إلّا بإذن الله.

(١) أخرجه مسلم برقم (١٦٢).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٣١٢).

الركن الثالث

الإيمان بالكتب

مما لا يخفى أن العقل البشري له حدوده وإدراكاته التي ينتهي إليها، ومجالاته التي يصول فيها ويجول، وأن سمعه وبصره وقدرته وعمره كذلك محدود، فليس عجبًا أن لا يبصر الإنسان فوق طاقته، وأن لا يدرك العقل ما وراء حدوده.

ولهذا العجز والقصور أنزل الله تعالى كتبًا وصحفًا على رسله تضم مجموعة من أحكام الله تعالى وأوامره ونواهيه، ومواعظه وإرشاداته إلى عباده، يتذكرونها ويفهمون معانيها بعقولهم وقلوبهم، فيهتدون بهديها، وإذا تغلبت عليهم شهواتهم كانت زاجرة لهم عنِ الإقدام على المعاصي.

وهذه الكتب حُجَّة ومحجة، حجة وبينه تقوم على العباد، فلا عذر لأحد بعدها، ومحجة وطريق يسلكه العاملون.

ويتضمن الإيمان بالكتب مايلي:

١ ـ الاعتقاد الجازم بأنَّ الله تعالى أنزل كتبًا متعددة إلى رسله، وقص خبر عدد منها في كتابة العزيز، وأنَّ هذه الكتب حملت لكل قوم نزلت فيهم شريعة ومنهاجًا، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة: ٤٨].

٢ ـ الاعتقاد الجازم بأنَّها كلام الله تعالى، تكلم بها على الحقيقة؛ فأوحى بها إلى الملك لفظًا ومعنًى، والملك نقلها للأنبياء كما سمعها.

٣ ـ الاعتقاد الجازم بما ذُكر في الكتاب والسُّنَّة من الكتب السماوية، حيث ورد في القرآن الكريم ذكر ستة كتب وصحف أنزلها الله تعالى على أنبيائه، فصحف إبراهيم عليه السلام، وصحف موسى عليه السلام، التي قال الله عنها: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى: ١٨ ـ ١٩].

ثم التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام وهي أعظم كتب بني إسرائيل، لكن اليهود عَدَوْا عليها فحرَّفوها؛ فلم يبق منها اليوم إلا نسخ محرفة، إذ إنَّ التوراة الحقيقية فيها ذكر الرسول ﷺ وأوصافه ووجوب الإيمان به، وكل هذا جَحَده اليهود وأنكروه.

والإنجيل، الذي أنزله الله على عيسي عليه السلام، وهو مصدق للتوراة ومتمم لها.

والزبور، الذي آتاه الله تعالى داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء: ١٦٣].

٤ ـ الاعتقاد الجازم بوقوع التحريف والتبديل في تلك الكتب السماوية السابقة، كما قال الله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥].

٥ ـ الاعتقاد الجازم بأنَّ القرآن كلام رب العالمين، وكتاب الرحمٰن الرحيم، الذي أنزله الله على خاتم المرسلين نبينا محمد ﷺ، وهو أشرف الكتب وأشملها وأتقنها وأقومها، وقد تكفَّل الله عز وجل بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]. وهذا القرآن الكريم هو الخاتم لكتب الله والمهيمن عليها جميعًا، وسيأتي حديث خاص عن ثبوته والإيمان به.

فجميع الكتب الإلهية المنزلة من عند الله يجب الإيمان بها، وهو ركن من أركان الإيمان؛ فالمُنْكِر إجمالًا أو تفصيلًا لواحد من الكتب الستة المذكورة في كتاب الله تعالى مكذب بصريح القرآن وصحيح السُّنَّة.

الإيمان بالقرآن الكريم:

القرآن كلام الله تعالى ووحيه الذي أوحاه على نبيه هداية للناس وحجة عليهم، وسيكون الحديث عنه من جانبين:

أولًا: أدلة صدق القرآن الكريم[1]:

كون القرآن كلام الله حقًّا فهذا مما لا شك ولا ريب فيه، وإنَّ الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة على ذلك كثيرة جدًّا، منها:

---

(١) للاستزادة في هذا الباب ينظر: تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين للدكتور: منقذ السقار، وكتاب: النبأ العظيم للدكتور محمد دراز، وينظر: الباب الخامس من كتاب إظهار الحق للعلّامة الدهلوي وغيرها.

١ ـ أن الله تعالى تحدَّى الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فعجزوا، ثم تحدَّاهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا، ثم تحدَّاهم أن يأتوا بمثل سورة منه فلم يستطيعوا، على الرغم من أنَّ الذين تحدَّاهم كانوا أبلغ الخلق وأفصحهم، والقرآن إنما نزل بلغتهم، ومع ذلك فقد أعلنوا عجزهم التام، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

وهذا التحدي الذي تحدى الله تعالى به كفَّار قريش باقٍ إلى قيام الساعة، فلم يستطع أحد من الخَلق على مرِّ التاريخ أن يأتي بشيء من مثله، أو حتى قريب منه بوجه من الوجوه، ولو كان القرآن كلام بشر لاستطاع بلغاء البشر أن يأتوا بمثله أو قريب منه.

٢ ـ أنَّ الله ﷻ تكفَّل بحفظ كتابه عن التحريف والتبديل والزيادة والنقصان، فقال عزَّ من قائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، ومنذ أن نزل القرآن على قلب نبينا محمد ﷺ قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام والناس يتناقلونه جيلًا بعد جيل دون أن يختلفوا في حرف واحد منه، ولو حاول أي شخص أن يغيِّر فيه أدنى تغيير فإنَّه يُفْتَضح مباشرة؛ وفي هذا دليل على أنه من عند الله تعالى.

٣ ـ أنَّ البشر مهما أُوتوا من العلم والفهم وقوة الإدراك، فلا بد أن يقع منهم فيما يؤلفون الخطأ والسهو والنسيان والتناقض، ولم ينجُ من ذلك أيُّ كتاب وضعه بشر، أمَّا كتاب الله تعالى فإنَّه من أوله إلى آخره ليس فيه أيُّ نوع من الاختلاف أو الخطأ أو التناقض؛ مما يدل على أنَّه ليس من كلام البشر وإنَّما كلام رب البشر ﷻ، قال عزَّ من قائل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]

٤ ـ بلوغ القرآن الغاية في البلاغة من أوَّله إلى آخره بلا تفاوت، حتى في ذكره للأحكام والحدود؛ مما يدلُّ على أنَّه ليس بكلام البشر.

٥ ـ الإعجاز الباهر الذي اشتمل عليه القرآن في أمر التشريع، حيث العدل التام، فلا تجد قانونًا من وضع البشر بهذا الإحكام وهذه العناية والرعاية، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

٦ ـ إخبار القرآن بأمور غيبية لا يمكن للعقل أن يستقلَّ بإدراكها، ثم أتى العلم

الحديث بإثباتها على الوجه الذي حكاه القرآن؛ كمراحل نمو الجنين في رحم الأم، وأحوال البحار والإخبار بأنَّ قيعانها مظلمة، وغير ذلك؛ مما جعل كثيرًا من العلماء من غير المسلمين يُسَلِّمون أنَّ الحقائق التي حكاها القرآن لا يمكن لبشر إدراكها من غير تجارب معملية وقدرات تقنية عالية، بالرغم من أنَّ القرآن قد جاء بها في وقت كانت الأمم فيه بدائية وليس عندها إلا أوَّليات المعرفة.

٧ ـ ما حكاه القرآن عن أخبار الأمم الماضية وتفاصيل ما حصل لهم مما لم يمكن الوقوف عليه لولا ذِكره في القرآن، وكذلك ما ذكره القرآن عن أمور مستقبلية غيبية ثم تتحققت كما ذكر؛ مما يدل على أنَّه كلام رب الناس؛ كإخباره بانتصار الروم على الفرس في بضع سنين، فوقع الأمر كما أخبر.

٨ ـ ما اشتملت عليه بعض آيات القرآن من معاتبة الله تعالى للنبي ﷺ، وهو ما قد يكون فيه نوع إحراج له، فلو كان هذا القرآن من عند رسول الله لما احتاج إلى ذكر هذه الآيات، ومن ذلك قول الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ في حادثة طلاق زيد بن حارثة لزوجه زينب بنت جحش، وأمر الله له بالزواج منها بعد زيد لإبطال عادة التبني التي كان عليها العرب: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْـهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب: ٣٧].

ثانيًا: ما يتضمنه الإيمان بالقرآن الكريم(١):

ويتحقَّق الإيمان بالقُرآن العظيم بأمور؛ منها:

١ ـ الاعتقاد بأنَّه كلام الله تعالى حُروفه ومَعانيه، تكلَّم الله به حقيقةً، وأنَّه مُنزَّل على محمد ﷺ، وأنَّه غير مخلوق.

٢ ـ تلاوته على أحسن وجْه يُستطاع، وتدبُّره وفهمه والعمل به والدعوة إلى الله تعالى على هُداه، وكما بيَّن نبيُّه ﷺ، واعتقاد أنَّه بيان الله تعالى لعباده وهُدًى ورحمة.

٣ ـ اعتقاد عُموم دَعوته وشُمول شَريعته التي جاء بها لجميع الثَّقلين، منذ نزَل

(١) بتصرف من مقال منشور للشيخ: عبد الله القصير في موقع الألوكة.

وإلى أنْ يرفَعَه الله تعالى إليه آخِر الدَّهر، فلا يسَعْ أحدًا من الجنِّ والإنس إلَّا الإيمان به وبما اشتَمَل عليه، وأنْ يَعبُدوا الله بشريعته؛ قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١].

٤ ـ اعتقاد نسخِه لجميع الكتب السابقة، فلا يجوزُ لأهْل الكتاب ولا لغيرهم أنْ يعبُدوا الله بغيره بعد نُزوله، فلا دِينَ إلا ما جاء به، ولا شريعة إلا ما شرع الله فيه، فالحلال ما أحلَّه، والحرام ما حرَّمَه، والهدى ما دعا إليه، والضلال ما خالَفه وضادَّه.

ولن يأتي بعدَه كتابٌ ينسَخُه، فلا تُبطل أحكامه، ولا تتبدَّل شريعته، ولا يُترك العمل به حتى يأتي الله بأمره فيرفعه إليه كما بدَأ منه.

٥ ـ أنَّ القُرآن هو آخِر الكتب نزولًا، فهو خاتمها، والشاهِد عليها، والحاكم عليها؛ قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ المائدة: ٤٨].

٦ ـ أنَّه أعظَمُ آيات الأنبياء والمُرسَلين ـ عليهم من ربهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ كما ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ**»[1].

٧ ـ اعتقاد أنَّ النبي ﷺ قد بيَّن القُرآن بأقواله وأفعاله وتقريراته وأحواله، وإنكاره على مَن خالَف شيئًا من القُرآن في حياته؛ قال تعالى: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤﴾ [النحل: ٤٤]. فلم يَمُتْ ﷺ إلا وقد بيَّن كلَّ ما تحتاج إليه الأمَّة من القُرآن بَيانًا قامَتْ به الحجَّة، وحصَل به التبليغ.

حكم قراءة الكتب المقدسة التي بأيدي أهل الكتاب:

إنَّ القرآن الكريم أغنى أهل الإسلام عن كل ما في أيدي أهل الكتاب؛ وبيَّن أنَّها قد امتدت إليها يد التغيير والتبديل والتحريف؛ فلا يوثق بما فيها، فعن جابر بن

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٦٩٦)، ومسلم برقم (١٥٢).

عبد الله ﷺ، أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبي ﷺ. فغضب ﷺ وقال: «**أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ** ـ أي: متحيرون فيها ـ، **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**»[1].

وعليه فلا تجوز قراءتها إلا لمقصد شرعي صحيح؛ كالرَّد عليهم وبيان تناقضها والخلل الذي فيها، شريطة أن يكون القارئ لها متمكنًا من الحق عالمًا بالشريعة، حتى لا يضلَّ بسببها.

(١) سبق تخريجه.

الركن الرابع

الإيمان بالرسل

اقتضت حكمة الله جلَّت قدرته وعلت عظمته في إصلاح ما يقع في الأرض من فساد، وما يقع فيه الناس من ضلال نتيجة انحرافهم عن مسالك الهدى والخير أن يبعث في كل أمة رسولًا، يعلمهم الكتاب والحكمة، ويدعوهم إلى عبادة الله تعالى وحده، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

فلو تُرك الناس وشأنهم لاضطرب عليهم الأمر في معرفة الخير والشر، وصعُب التمييز بين الحسن والقبيح، والفضيلة والرذيلة تمييزًا صحيحًا في كل حالاته، لذلك فإنَّ العقل البشري محتاج لمعين يرشده إلى ما هو خير له في الحياتين، وهذا المعين يجب أن يكون من جنس البشر يمتثل ويطبق ما يأمرهم به وينهاهم عنه؛ فإنَّ هذا أدعى لقبول أوامره نواهيه، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأنعام: ٨ ـ ٩].

والإيمان بالرسل جميعًا أصل من أصول الإيمان، ومن لم يؤمن بالرسل أو ببعضهم فقد خاب وخسر، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

الصلة بين الإيمان بالله والإيمان بالرسل والرسالات:

إنَّ مَنْ كَفر بالرسل أو ببعضهم وهو يزعم أنَّه يؤمن بالله فهو عند الله كافر لا ينفعه إيمانه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ

سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١]. فقد نصت الآية على كُفْرِ من زعم الإيمان بالله وكَفَر بالرسل، يقول القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى هذه الآية: «نص الله سبحانه على أنَّ التفريق بين الله ورسله كفر، وإنما كان كفرًا لأنَّ الله فرض على الناس أن يعبدوه بما شرعه على ألسنة الرسل، فإذا جَحِدوا الرسل رَدُّوا عليهم شرائعهم ولم يقبلوها منهم، فكانوا ممتنعين من التزام العبودية التي أُمروا بالتزامها، فكان كجحد الصانع سبحانه، وجحد الصانع كفر؛ لما فيه من ترك التزام الطاعة والعبودية، وكذلك التفريق بين الله ورسله»[(١)].

وإنَّ الإيمان بالرسل يتضمن:

١ ـ الإيمان بحاجة البشرية لإرسالهم؛ لأنَّه لا طريق إلى معرفة الرب عَزَّ وَجَلَّ، ومعرفة أمره ونهيه وثوابه وعقابه إلا عن طريقهم.

٢ ـ الإيمان بأنَّ النبوة والرسالة اختيار واصطفاء من الله تعالى، لا يمكن لأحد أن يكتسبها، لقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الحج: ٧٥] وقد خصَّها الله بالرجال دون النساء كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ [يوسف: ١٠٩].

٣ ـ الإيمان بأن الرسالات عمّت كل أمة من الأمم، لتقوم عليهم الحُجَّة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

٤ ـ الإيمان بمَنْ وَرَد ذكرهم وخبرهم في القرآن الكريم أو السُّنَّة الصحيحة وهم خمسة وعشرون رسولًا ونبيًّا[(٢)]، وأنَّ لله رسلًا لم يخبر الله بهم نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

---

(١) تفسير القرطبي (٦/ ٥).

(٢) ذكر الله تعالى ثمانية عشر نبيًّا في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٣ ـ ٨٦].
قال الناظم:

في «تلك حجتنا» منهم ثمانية	من بعد عشر ويبقى سبعة وهمو
إدريس هود شعيب صالح وكذا	ذو الكفل آدم بالمختار قد خُتموا

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

٥ ـ الإيمان بأنَّ الله تعالى أيَّد كل نبي بالدلائل على صدقه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]. وقال ﷺ: «**مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ**»(١)

٦ ـ الإيمان بما خصهم الله به من الوحي، وما منحهم الله من العصمة في تحمُّل الوحي وتبليغه. وأنَّهم لايعلمون الغيب وليس لهم شيء من خصائص الربوبية؛ بل هم عباد مخلصون لله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨].

٧ ـ الإيمان بهم جميعًا دون تفريق، ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، مع اعتقاد أنَّهم فيما بينهم يتفاضلون، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

٨ ـ الإيمان باتفاق الرسالات في أصول العقائد والشرائع، مع اختلاف تفصيلات كل شريعة، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: ١٣].

الإيمان بمحمد ﷺ:

إنَّه لا يصح إيمان العبد إلا بالإيمان بمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا، لذا صار اليقين برسالته وصدق نبوته ﷺ موجبًا لدخول الجنة، قال ﷺ: «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(٢). وسيكون الحديث عن هذا في النقاط التالية:

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٩٨١)، ومسلم برقم (١٥٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧).

أولًا: دلائل صدق نبوة النبي محمد ﷺ[١]:

دلائل النبوة هي: العلامات والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد ﷺ. وهي تنقسم من حيث العموم إلى قسمين: دلائل حسية، ودلائل معنوية، وفيما يلي بيانها.

القسم الأول: الدلائل الحسية:

وهي كثيرة جدًّا وأعظمها القرآن الكريم، وهو الآية الباقية إلى قيام الساعة ـ وسيأتي مزيد كلام على هذه المسألة قريبًا ـ ومنها: انشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه ﷺ، وتكثير الطعام، وخطابه الشجر والحجر والحيوان، وحنين الجذع وشوقه إليه، ورميه بكفٍّ من حصى في وجوه العدد الكثير من الكفار فأصاب أعينهم جميعًا، وإخباره عن الكثير من المغيبات، سواء ما حدث منها قبل بعثته ﷺ أم بعدها ووقعت كما أخبر بها إلى غير ذلك.

ولنأخذ مثالًا على الدلائل الحسية: وهي الغيوب التي أخبر عنها النبي ﷺ وتحققتْ كما أخبر عنها حال حياته أو بعد وفاته، ومن ذلك: إخباره بانتصار الروم على الفرس بعد هزيمتهم منهم، وحدَّد ﷺ لذلك الانتصار وقتًا، وكان حينها مستضعفًا ومطاردًا في مكة إذ نزل عليه قول الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [الروم: ١ ـ ٥]، قال ابن عباس: «كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم؛ لأنَّهم أصحاب أوثان، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس؛ لأنَّهم أهل كتاب، فذُكِر ذلك لأبي بكر، فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُمْ سَيَغْلِبُونَ**»»[٢].

لقد كان النبي ﷺ يتنبأ بانتصار المهزوم الذي يكاد يستسلم لخصمه، ويحدد

---

(١) للاستزادة في هذا الباب ينظر: كتاب دلائل النبوة للبيهقي، والباب السادس من كتاب إظهار الحق للعلّامة الدهلوي، دلائل النبوة لمنقذ السقار (غالب ما في هذا الفقرة منه)، وكتاب: أفي النبوة شك، سامية ياسين.

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٣١٩٣).

موعدًا دقيقًا لهذا النصر الذي ما من شيء أبعد في تحققه منه، ولقد كان الأمر كما تنبأ عليه الصلاة والسلام، ففي عام ٦٢٣م وما بعدها استطاع هرقل أن يتخلص من لهوه ومجونه، وشن ثلاث حملات ناجحة أخرجت الفرس من بلاد الرومان.

وفي عام ٦٢٦م واصل الرومان زحفهم حتى وصلوا إلى ضفاف دجلة داخل حدود الدولة الفارسية، واضطر الفرس لطلب الصلح مع الرومان بعد هزيمتهم في معركة نينوى، وأعادوا لهم الصليب المقدس - عندهم - وكان قد وقع بأيديهم.

فمن ذا الذي أخبر محمدًا ﷺ بهذه النبوءة العظيمة؟ إنَّه وحي الله، وهو دليل رسالته ونبوته عليه الصلاة والسلام[(١)].

يقول المؤرخ إدوار جِبن: «في ذلك الوقت، حين تنبأ القرآن بهذه النبوءة، لم تكن أية نبوءةٍ أبعدَ منها وقوعًا؛ لأن السنين العشر الأولى من حكومة هرقل كانت تؤذن بانتهاء الامبرطورية الرومانية»[(٢)].

ومن أمثلة إخباره بالمغيبات نعيُه المعجِز لقادة مؤتة الثلاثة - وقد استشهدوا في الشام - وهو في المدينة، يقول أنس رضي الله عنه: «نعى النبي ﷺ زيدًا وجعفرًا وابنَ رواحة للناس قبل أن يأتي خبرُهم، فقال: «**أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ**» وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ: «**حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ، حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ**»»[(٣)]. فالذي أعلم النبيَّ ﷺ بمقتلهم قبل أن يأتي خبرهم إلى الناس هو الله علَّام الغيوب، قال الطحاوي رحمه الله: «وفيه عَلَمٌ ظاهر من أعلام النبوة»[(٤)].

أمَّا الغيوب التي أخبر بها ثم وقعت بعد وفاته ﷺ فكثيرة جدًّا منها:

ما كُشف من الغيوب لنبينا ﷺ كما في خبر أمِّ حرام بنت ملحان، فقد سمعَت النبيَّ ﷺ يقول: «**أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ البَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا**». قالت أم حرام: قلتُ: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: «**أَنْتِ فِيهِمْ**». ثم قال النبي ﷺ: «**أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ**

---

(١) ينظر: دلائل النبوة للسقار (ص٥)، بتصرف.

(٢) تاريخ سقوط وانحدار الإمبراطورية الرومانية، إدوار جبن (٥/ ٧٤)، بواسطة دلائل النبوة للسقار (ص٥).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٠١٤).

(٤) عمدة القاري (١٧/ ٢٦٩).

أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ». فقلتُ: أنا فيهم يا رسول الله؟ «**قَالَ: لَا**»[١].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفيه ضروب من إخبار النبي ﷺ بما سيقع، فوقع كما قال، وذلك معدود من علامات نبوته: منها إعلامه ببقاء أمته بعده، وأنَّ فيهم أصحابُ قوةٍ وشوكة ونِكاية في العدو، وأنَّهم يتمكنون من البلاد حتى يغزوا البحر، وأن أمَّ حرام تعيش إلى ذلك الزمان، وأنَّها تكون مع من يغزو البحر، وأنَّها لا تدرك زمان الغزوة الثانية»[٢].

وكان ﷺ قد تنبأ بظهور الخوارج، وحدَّد صفاتهم وسماتهم، إذ لمَّا جاءه ذو الخويصرة متهمًا إيَّاه بالظلم في قسمة الغنائم قال ﷺ: «**إِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ... آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ**»[٣].

قال أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ فَأُتِيَ بِهِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي نَعَتَه»[٤].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي هذا الحديث معجزات ظاهرة لرسول الله ﷺ، فإنَّه أخبر بهذا، وجرى كله كفلق الصبح، ويتضمن بقاء الأمة بعده ﷺ، وأنَّ لهم شوكة وقوة، خلاف ما كان المبطلون يشيعونه، وإنهم يفترقون فرقتين، وأنَّه يخرج عليه طائفة مارقة، وأنَّهم يشددون في الدين في غير موضع التشديد، ويبالغون في الصلاة والقراءة، ولا يقيمون بحقوق الإسلام؛ بل يمرقون منه، وأنَّهم يقاتلون أهل الحق، وأنَّ أهل الحق يقتلونهم، وأنَّ فيهم رجلًا صفة يده كذا وكذا، فهذه أنواع من المعجزات جرت كلها، ولله الحمد»[٥].

فهذه الأخبار المتواترة في معناها؛ دليل على نبوة النبي ﷺ وأنَّه مؤيَّد ببعض

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٧٦٦).
(٢) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٧٧).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٤١٤)، ومسلم برقم (١٠٦٤).
(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٤١٤).
(٥) شرح النووي على مسلم (٧/ ١٦٦).

علم الغيب من ربه. ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧].

ولله دَرُّ حسان بن ثابت رضي الله عنه إذ يقول عن خليله ﷺ:

نبيٌ يرى ما لا يرى الناسُ حولَه ... ويتلو كتابَ اللَّه في كل مشهد

فإن قال في يومٍ مقالةَ غائبٍ ... فتصديقُها في ضحوة اليومِ أو غد

القسم الثاني: الدلائل المعنوية:

وهذه الدلائل كثيرة أيضًا كأخلاقه ﷺ العظيمة، وسيرته الشريفة، وأقواله وأفعاله وشريعته المحكمة، واستجابة الله لدعائه، وعصمتِه له من القتل، وانتشارِ رسالته ﷺ، وتأييد الله له وحفظه لشخصه الكريم ثم لدعوته ودينه، ولا يؤيد الله دَعِيًّا يفتري عليه الكذب بمثل هذا، إلى غير ذلك من الدلائل. يقول ابن تيمية رحمه الله: «وسيرة الرسول وأخلاقه وأقواله وأفعاله وشريعته من آياته»[(١)].

ولنأخذ أمثلة للدلائل المعنوية على نبوته ﷺ:

الأول: أخلاقه وتعامله ﷺ:

فمن دلائل نبوته ﷺ حسن أخلاقه وجميل صفاته، فمثل هذه الكمالات إنَّما هي بعض منحة الله له، وهي دليل يقنع العقلاء على نبوته ﷺ، فما كان لهذه الأخلاق أن تكون لدعي يفتري على الله الكذب. يقول ابن تيمية: «ودلائل صدق النَّبي الصادق وكذب المتنبي الكذَّاب كثيرة جدًّا، فإنَّ من ادعى النبوة وكان صادقًا؛ فهو من أفضل خلق الله وأكملهم في العلم والدين، فإنَّه لا أحد أفضل من رسل الله وأنبيائه صلوات الله عليهم وسلامه... وإن كان المدعي للنبوة كاذبًا فهو من أكفر خلق الله وشرِّهم.. ولما كان هذا من أعلى الدرجات وهذا من أسفل الدركات؛ كان بينهما من الفروق والدلائل والبراهين التي تدل على صدق أحدها وكذب الآخر ما يظهر لكل من عرف حالهما، ولهذا كانت دلائل الأنبياء وأعلامهم الدالة على صدقهم كثيرة متنوعة، كما أنَّ دلائل كذب المتنبئين كثيرة متنوعة»[(٢)].

---

(١) الجواب الصحيح (٥/٤٤٧).

(٢) المصدر نفسه (١/١٢٧).

الثاني: كرمه ﷺ:

قال جابر رضي الله عنه عن شدَّة كرمه ﷺ: «**مَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ: لَا**»[١]. وعن أنس رضي الله عنه أنَّ رجلًا سأل النبي ﷺ غنمًا بين جبلين فأعطاه إيَّاه، فأتى قومه فقال: أيْ قومِ أسلموا، فوالله أنَّ محمدًا ليعطي عطاء ما يخاف الفقر. قال أنس رضي الله عنه: «إن كانَ الرجل ليُسلِم ما يريدُ إلا الدنيا، فما يسلمْ حتى يكونَ الإسلام أحبَّ إليه من الدنيا وما عليها»[٢].

وجاءته امرأة ببردة فقالت: يا رسول الله، إنِّي نسجت هذه بيدي أكسوكَها، فأخذها رسول الله ﷺ محتاجًا إليها، فخرج على أصحابه وإنَّها لإزاره، فجسَّها رجل من القوم فقال: يا رسول الله أُكسُنيها. قال: «**نَعَمْ**». فجلس ما شاء الله في المجلس، ثم رجع فطواها، ثم أرسل بها إليه، فقال له القوم: ما أحسنت، سألتَها إيَّاه، وقد عَرفْتَ أنَّه لا يرد سائلًا! فقال الرجل: والله ما سألتُها إلا لتكون كفني يوم أموت[٣].

نعم، إنَّه ﷺ لا يردُّ سائلًا، ويجود حتى بما هو أحوج الناس إليه.

هو البحر من أيِ النواحي أتيتَه ... فلُجتُه المعروف والبحرُ ساحله
تراه إذا ما جئته متهللًا ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله
ولو لم يكن في كفه غيرُ روحه ... لجاد بها فليتق الله سائلُه

الثالث: عفوه ﷺ عن مَنْ أساء إليه:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذ بردائه جبذة شديدة، قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثَّرت فيها حاشية الرداء من شدة جبذته ثم قال: يا محمد مُر لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء[٤].

قال السندي رحمه الله: «أراد أنَّه لكمال كرمه يعفو البتة، وفي أمثال هذه الأحاديث

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٢٩٨) وصححه الألباني.
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٣١٢).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٤٧٣).
(٤) أخرجه البخاري برقم (٥٧٣٧).

دليل على أنَّه لولا المعجزات إلا هذا الخُلُق لكفى شاهدًا على النبوة»[١] ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ثانيًا: ما يتضمنه الإيمان بنبوته ﷺ:

إنَّ الإيمان بنبوته ﷺ وتصديق رسالته يتضمن الإقرار بسبعة أمور هي:

١ ـ تصديقه ﷺ فيما أخبر به وطاعته فيما أمر به واجتناب ما نهى عنه وزجر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنفال: ٢٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى**». قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»[٢] وذلك أنَّ التصديق الجازم بأنَّه نبي الله ورسوله ﷺ يقتضي التصديق المطلق والتام لما جاء به ويستلزم طاعته فيما بلَّغه عن الله تعالى، والابتعاد عن ما نهى عنه، وهذا من أعظم لوازم الإيمان به، وهو من مقتضى شهادة أنَّ محمدًا رسول الله.

٢ ـ أن لا يُعبد الله إلا بما شرعه ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال سهل بن عبد الله: «هذه الآية الكريمة حاكمة على كلِّ من ادَّعى محبَّة الله وليس هو على الطَّريقة المحمَّديّة بأنَّه كاذب في نفس الأمر حتّى يتَّبع الشّرع المحمَّديَّ والدِّين النَّبوي في جميع أقواله وأفعاله»[٣]. وقال شيخ الاسلام ابن تيمية: «الدين مبني على أصلين: أن لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له ولا يعبد إلا بما شرع لا نعبده بالبدع»[٤] فلا طريق موصل للجنة إلا من طريقه ﷺ.

٣ ـ الاقتداء بهديه وسُنَّته ﷺ. فقد قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]. ولما

---

(١) حاشية السندي على سنن النسائي (٨/ ٣٤).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٨٥١).
(٣) ينظر: نضرة النعيم (٢/ ١٤).
(٤) مجموع الفتاوى (٢٦/ ١٥١).

جاء عمر بن الخطّاب رضي الله عنه إلى الحجر الأسود قبّله فقال: «**إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ**»(١).

وقال بعضهم:

حبُّ النبيِّ بالاتِّباعِ لهديهِ وعداه من سَرْدِ الدموع توهُّمُ

٤ ـ الإيمان بأنَّه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين وأكملهم، فلا نبي بعده، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وجاء في الحديث أنَّه ﷺ قال: «**أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»(٢). فكل دعوى للنبوة بعده ﷺ فإنَّها كذب بلا شك.

٥ ـ تقديم سنته ﷺ على أقوال البشر واجتهاداتهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

٦ ـ التحاكم لسُنَّته ﷺ، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]. فأقسم سبحانه بذاته على أنَّه لا يثبت للمؤمنين الإيمان حتى يُحكِّموا رسول الله ﷺ في حال حياته، ويُحكِّموا سُنَّته بعد مماته في موارد النزاع في كافة الأمور، وأنَّ هذا التحكيم غير كاف حتى يجتمع إليه الرضى بحكمه والتسليم لأمره مع انشراح صدورهم وطِيب نفوسهم بقضائه وحكمه.

٧ ـ اعتقاد عموم رسالته ﷺ إلى جميع الناس؛ فالناس كلهم أمة دعوة لمحمد ﷺ، فمن أطاعه واتبعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، حتى اليهود والنصارى مكلفون باتباعه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ: ٢٨]. وفي الحديث أنَّه قال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٥٢٠)، ومسلم برقم (١٢٧٠).
(٢) أخرجه أبي داود برقم (٤٢٥٢)، وصححه الألباني.
(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٤٠).

٨ ـ اعتقاد بشريته ﷺ وأنَّه ليس له شيء من خصائص الألوهية، فلا يجوز أن يُرفع فوق منزلته، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال ﷺ: «**لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»(١).

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٢٦١).

المراجع الإثرائية:

ـ للمزيد طالع كتاب الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ الدكتور: صالح الفوزان.

■ المصطلحات والمفاهيم الواردة في هذه الوحدة:

ـ البلاغة: هي اسم مشتقّ من الفعل بَلَغَ؛ أي: بمعنى وَصَلَ إلى النهاية، وقد سمّيت البلاغة بهذا الاسم؛ لأنّها تنهي المعنى إلى قلب المستمع ممّا يؤدّي إلى فهمه بسهولة.

■ النشاط:

ـ ناقش مع زملائك الصلة بين الإيمان بالله والإيمان بالرسل والرسالات في ضوء دراستك لهذه الوحدة بحضور أستاذ المقرر للتقييم والتوجيه.

■ التقويم:

أولًا: أجب عن الأسئلة التالية:

١ ـ الإيمان بالملائكة يستلزم أربعة أمور أذكرها.

٢ ـ تحدث بإيجاز عن الصلة بين الإيمان بالله والإيمان بالملائكة الكرام.

٣ ـ عدِّد خمسًا مما يتضمنه الإيمان بالكتب.

ثانيًا: اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:

١ ـ الذين من صفاتهم أنهم مخلوقون من نور: أ ـ الملائكة. ب ـ الجن. ج ـ الشياطين.

٢ ـ الملك الموكل بالنفخ في الصور حين الصعق والنشور، هو: أ ـ جبريل. ب ـ ميكائيل. ج ـ إسرافيل.

٣ ـ من الدلائل الحسية على صدق نبوة محمد ﷺ: أخلاقه وتعامله: أ ـ صواب. ب ـ خطأ.

الوحدة الرابعة

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

الركن السادس: الإيمان بالقضاء والقدر.

■ الأهداف التعليمية:

تهدف هذه الوحدة إلى:

١ ـ أن يُعرِّف الطالب الإيمان باليوم الآخر.

٢ ـ أن يُبيِّن الطالب المراد بالإيمان بالقضاء والقدر.

٣ ـ أن يُعدِّد الطالب مراتب القدر.

■ نواتج التعلم:

عزيزي الطالب: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

١ ـ تُعرِّف الإيمان باليوم الآخر.

٢ ـ تُبين المراد بالإيمان بالقضاء والقدر.

٣ ـ تُعدد مراتب القدر.

تمهيـــد

سوف نبين في هذه الوحدة كل ما يتعلق بالركنين الأخيرين من أركان الإيمان، وهما:

الإيمان باليوم الآخر، وذلك اليوم يتضمن كثيرًا من الأحداث التي سيمر بها الناس في الآخرة، فتبدأ تلك الأحداث من معاينته للملائكة عند الموت، والساعة وعلاماتها وأشراطها، وما يتبعها من الحياة البرزخية، والبعث وأهوال يوم القيامة، والشفاعة، والميزان، والصراط، والحساب، وغير ذلك مما ثبت في القرآن والسُّنَّة مما يجب الإيمان به.

وأيضًا الإيمان بالقضاء والقدر، وفيه بيان معنى القدر، ومراتبه، والإجابة على التساؤلات التي تطرأ على بعض الناس في شأن القدر، مع بيان أنَّه لا تعارض بين ما شرَّعه الله لعباده وما قدَّره عليهم.

الركن الخامس

الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان الستة التي ذكرها النبي ﷺ حين سأله جبريل عن الإيمان، ووجه وصفه بالآخر أنَّه آخر مرحلة يمر بها الإنسان، **فالمرحلة الأولى**: في بطن أمه، **والثانية**: في الدنيا، **والثالثة**: في البرزخ، **والرابعة**: يوم القيامة، فهي المرحلة الأخيرة[1].

معنى الإيمان باليوم الآخر:

هو: الاعتقاد الجازم بكل ما أخبر الله به أو أخبر به نبيه ﷺ مما يكون بعد الموت[2].

ومما يدخل في الإيمان باليوم الآخر ما يلي:

١ ـ الإيمان بكل ما يكون عند الموت وبعده، من معاينة الملائكة، وفتنة القبر وسؤال الملكين، ونعيم القبر وعذابه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾ [الأنفال: ٥٠ ـ ٥١].

٢ ـ الإيمان بالساعة وعلاماتها وأشراطها، فَعَن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطَّلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ** ـ فَذَكَرَ ـ **الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ**

---

(١) يغلط من يقول في الميت: إنَّه نُقل إلى مثواه الأخير؛ لأن المثوى الأخير هو إمَّا إلى الجنة وإمَّا إلى النار. ينظر: شرح عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة لابن عثيمين (ص٣١٤).

(٢) ينظر: العقيدة الواسطية (ص٦٣).

تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»[١].

٣ ـ الإيمان بالبعث وأهوال القيامة وطول الوقوف بعرصاتها، ووُرود الحوض، ونشر صحائف الأعمال.

٤ ـ الإيمان بالموازين التي توضع يوم القيامة لوزن أعمال العباد؛ قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

٥ ـ الإيمان بالشفاعة، وأعظمها الشفاعة للخلائق كلِّهم في بدء الحساب، وهي للنبي ﷺ خاصة لا يشاركه فيها أحد، وهي المقام المحمود الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٩]. وكذلك الشفاعة فيمن دخل النار من عصاة المؤمنين أن يخرجوا منها، ورفع درجة بعض أهل الجنة، وهي عامة للنبي ﷺ وغيره من النبيين والمؤمنين والملائكة، وقد تواترت الأحاديث في ذلك عن رسول الله[٢].

٦ ـ الإيمان بالصراط المنصوب على جهنم ـ أي: فوق ظهرها ـ يمر عليه الناس على قدر أعمالهم في الدنيا؛ فالمسارع في الخيرات يكون سريعًا عليه، والبطيء في الخيرات يكون بطيئًا عليه، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٧١].

٧ ـ الإيمان بحساب الخلائق، وهو على أحوال:

أ ـ حساب المؤمنين، وهو إمَّا أن يكون بعرض الأعمال عليهم ثم مغفرتها، وهذا يكون لأهل الإيمان الكامل، الذين سبقت لهم من الله الحسنى. قال النبي ﷺ: **«يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ ﷻ، حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ»**[٣].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٠١).

(٢) فائدة: أنشد ذلك بعض الفضلاء فقال:

مما تواتر حديث من كذب ... ومن بنى لله بيتًا واحتسب

ورؤية شفاعة والحوض ... ومسح خفين وهذي بعض

ينظر: نظم المتناثر (ص١٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤١)، ومسلم برقم (٢٧٦٨).

وإمَّا أن يكون الحساب مناقشة، وهذا يكون للعصاة وأهل الكبائر من الموحدين، ممن شاء الله أن يعذبهم، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «**لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ**». قلت: يا رسول الله، جعلني الله فداءك، أليس يقول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ٨]؟ قال: «**ذَاكَ العَرْضُ يُعْرَضُونَ، وَمَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ هَلَكَ**»(١)

ب ـ حساب الكافرين، وهؤلاء يوقفون على أعمالهم ويقررون بها، ثم يؤمر بهم إلى النار، كما في حديث ابن عمر: «**وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ**».

٨ ـ الاعتقاد الجازم بفناء الحياة الدنيا وزوالها، وموت سكانها وانفراط عقدها، وإقبال الحياة الآخرة قال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾ [التغابن: ٧]. ولا يعلم أحد من الخلائق اليوم المحدد ـ المعلوم ـ لقيام الساعة؛ بل لا يعلم ذلك إلا الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ۝٤٧﴾ [فصلت: ٤٧].

٩ ـ الإيمان برؤية المؤمنين لربهم عز وجل في الأخرة، لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]، وقال النبي ﷺ: «**أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»(٢).

١٠ ـ الإيمان بوجود الجنة والنار، فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمتقين، وهي مخلوقة موجودة الآن، والنبي ﷺ دخلها ورأى فيها قصرًا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه(٣)، وسمع فيها خشخشة قدمي بلال رضي الله عنه(٤)، وفيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

والنار دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين، فيها من العذاب والنكال ما لا يخطر على البال، قال ﷺ عن زيادتها على نار الدنيا: «**فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ**

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٩٣٩)، ومسلم (٢٨٧٦).
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٥٤)، ومسلم برقم (٦٣٣).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٦٧٩)، ومسلم برقم (٢٣٩٤).
(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٤٥٧).

عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا»[١]. فنار الدنيا على عظمها ما هي إلا جزء واحد، ونار الآخرة فضلت عليه بتسعة وستين جزءًا. نسأل الله العافية.

(١) المصدر السابق برقم (٢٨٤٣).

الركن السادس

الإيمان بالقدر خيره وشره

إنَّ الإيمان بالقدر يستلزم الإيمان بالقضاء أيضًا، ويجب الإيمان بهما جميعًا، ولذا سنورد معنى كل منهما في اللغة.

القدر: القسمة والتقدير، ومنه: قدَّرت الثوب فانقدر؛ أي: جاء على مقدار[١]، وفي القرآن الكريم: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

القضاء: إتمام الشيء وإحكامه وإنفاذه قولًا كان أو فعلًا أو إرادة[٢]. فالقضاء بمعنى القول كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وبمعنى الفعل قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢]، وبمعنى الإرادة قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة: ١١٧].

والقضاء والقدر لفظان يُذكران كثيرًا مع بعضهما للتداخل بينهما، فهما متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأنَّ أحدهما بمنزلة الأساس والآخر بمنزلة البناء، والفصل بينهما يهدم البناء وينقضه، فالقدر: تقدير الأمر، والقضاء إيجاده وتنفيذه بتمامه.

معني الإيمان بالقدر:

الإيمان بالقدر هو: الاعتقاد الجازم بأنَّ الله تعالى قدَّر مقادير الخلائق بعلمه الأزلي[٣]، وكتبها في اللوح المحفوظ، وأجراها بمشيئته، ثم أوجدها بقدرته[٤].

---

(١) ينظر: تاج العروس (١٠/٢٩٦).
(٢) ينظر: المصدر السابق (١٠/٢٩٦).
(٣) الأزل: القديم الذي ليس بحادث.
(٤) العقيدة الميسرة (ص٦٣).

ومما يدخل في الإيمان بالقدر ما يلي:

١ ـ الإيمان بعلم الله السابق الأزلي الأبدي[١] المحيط بكل شيء جملة وتفصيلًا، فلا يتجدد له علم بعد جهل ولا يلحقه نسيان بعد علم، قال تعالى في قصة موسى عليه السلام حين سأله فرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾﴾ [طه: ٥١]، يعني: ما شأنها؟ أخبرْنا عنها. فقال له موسى عليه السلام: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه: ٥٢].

فهو عليم بكل ما يتعلق بخلقه من آجال، وأرزاق، وأفعال، حتى الإيمان والكفر والطاعة والمعصية يعلم من سيأتيها من عباده. قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾ [البقرة: ٢٣١].

٢ ـ الإيمان بكتابة مقادير الخلائق إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾ [سبأ: ٣]. وفي الحديث أنَّه ﷺ قال: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»[٢].

وقال عبادة بن الصامت رضي الله عنه لابنه: «يا بني، إنَّك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**». يا بني، إنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي**»»[٣].

وقد جمع الله تعالى بين العلم والكتابة في قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠].

٣ ـ الإيمان بمشية الله النافذة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا مانع لِمَا أعطى ولا معطي لِمَا منع، لا راد لقضائه، ولا يكون في ملكه وسلطانه إلا ما

---

(١) الأبدي: الدائم بلا انقطاع.
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣).
(٣) أخرجه أبو داود برقم (٤٧٠٠).

يريده. فكل ما يقع في الكون داخل تحت مشيئته وإرادته الكونية، أما ما يحبه ويريده من عباده فقد أرسل به رسله وأنزل به كتبه، وهذه هي إرادته الشرعية.

والفرق بين الإرادتين هو أنَّ ما شاءه وأراده في الكون لا يلزم منه محبته له، فقد شاء أن يكون في الكون كفر ومعصية؛ وهو لا يحب الكفر ولا يرضاه من عباده، ويحب الإيمان والطاعة؛ فلذا أمر بها وأرسل الرسل وأنزل الكتب لدعوة الناس إلى ما يحبه منهم، قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [الزمر: ٧].

وكل اختيار للعبد ومشيئة لا بد أن يكون الله تعالى قد شاءه قبل ذلك في الكون، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩].

٤ ـ الإيمان بخلق الله تعالى للكون وما فيه من الكائنات، فهو الخالق وما سواه مخلوق، وهو الرب وما سواه مربوب له؛ فالكون وحركته وسكونه، والإنسان وعمله، وجميع الخلائق وأعمالها وصفاتها مخلوقة لله تعالى، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦].

فهذه الأربع تسمى مراتب القدر، فلا يتم الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بعلم الله لما سيقع في الكون قبل خلقه، وأنَّ الله تعالى كتب هذا المعلوم، وشاءه، وخلقه.

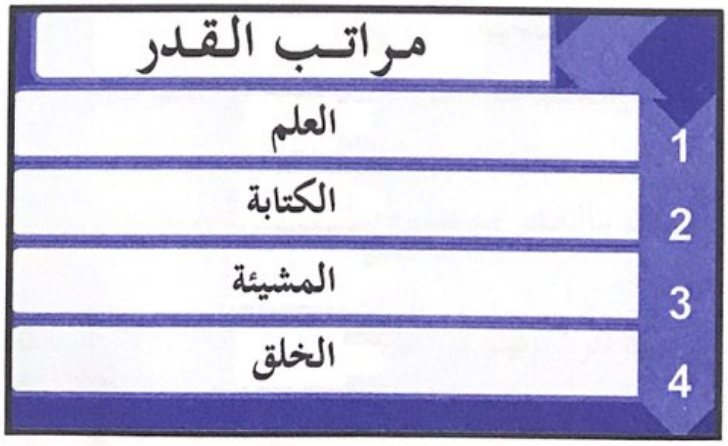

٥ ـ الإيمان بأنَّه لا تعارض بين ما شرَّعه الله وما قدَّره، وذلك أنَّ الشرع كتاب مفتوح والقدر غيب مكنون، فما علمه الله تعالى عن مستقبل أفعال عباده كَتَبه عنده

وأخفاه عنهم، ثم خلقهم وأمدَّهم بما يؤهلهم لفهم مُراده ومنحهم القدرة على امتثاله، وأرسل لهم رسله ليبلغوهم أمره ونهيه، فمن استجاب سَعِدَ في الدنيا والآخرة، ومن أعرض ضل وشقي: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٧].

٦ ـ أنَّه يجوز للعبد أن يحتج بالقدر بعد وقوعه؛ لأنَّ ما وقع وانتهى فقد تبين قدر الله فيه، وأمَّا المستقبل فيجب أن يبذل الإنسان جهده في فعل أسبابه ولا يعجز، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»[(١)].

٧ ـ لا يجوز الاحتجاج بالقدر في فعل المعاصي؛ لأنَّ الله تعالى هَدى الإنسان إلى ما يريده منه، وجعل له مشيئة واختيارًا يختار بها الخير أو الشر، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الجاثية: ١٥].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤).

المراجع الإثرائية:

ـ للمزيد طالع كتاب الإيمان باليوم الآخر للدكتور محمد بن إبراهيم الحمد. واستمع لمحاضرة القضاء والقدر للشيخ محمد بن عثيمين.

■ **المصطلحات والمفاهيم الواردة في هذه الوحدة:**

ـ **المَكْنُونُ:** المستور البعيد عن الأعين.

■ **النشاط:**

ـ موضوع القضاء والقدر من الموضوعات التي تشغل بال الكثيرين، حاول بالتعاون مع زملائك والاستعانة بمكتبة الجامعة بجمع ما أجاب به العلماء على الأسئلة المتعلقة بالقدر، ثم قم بعرضه على أستاذ المقرر للتوجيه والتقويم.

■ **التقويم:**

أولًا: أجب عن الأسئلة التالية:

١ ـ ماذا يعني الإيمان باليوم الآخر؟

٢ ـ عرِّف الإيمان بالقدر.

٣ ـ عدِّد خمسًا مما يدخل في الإيمان بالقدر.

ثانيًا: اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:

١ ـ مناقشة الحساب تكون: أ ـ لجميع المؤمنين. ب ـ للكافرين. ج ـ للمؤمنين العصاة.

٢ ـ الإيمان بالقدر يستلزم الإيمان: أ ـ بالقضاء. ب ـ بالثواب. ج ـ بالعقاب.

٣ ـ يرى المؤمنون ربهم في الآخرة: أ ـ صواب. ب ـ خطأ.

القسم الثالث

أصول التشريع الإسلامي ومحكماته

الوحدة الأولى: الأصل الأول: القرآن الكريم.

الوحدة الثانية: الأصل الثاني: السُّنَّة النبوية.

الوحدة الثالثة: الأصل الثالث: إجماع الأمة. والقياس، والاجتهاد.

الوحدة الرابعة: المحكمات الشرعية.

الوحدة الأولى

الأصل الأول: القرآن الكريم

■ الأهداف التعليمية:

تهدف هذه الوحدة إلى:

١ ـ أن يُعرِّف الطالب القرآن الكريم.

٢ ـ أن يُبيِّن الطالب خصائص القرآن الكريم.

٣ ـ أن يُعدِّد الطالب أَشْهر أسماء القرآن الكريم.

٤ ـ أن يُبين الطالب حفظ الله لكتابه.

■ نواتج التعلم:

عزيزي الطالب:

يُرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

١ ـ تُعرِّف القرآن الكريم.

٢ ـ تُعدد أشهر أسماء القرآن الكريم.

٣ ـ تَذكر خصائص القرآن الكريم.

٤ ـ تُوضِّح حفظ الله للقرآن الكريم ووسائل ذلك.

تمهيـــد

أرسل الله تعالى الرسل بالبراهين والآيات ليوحدوه ويعبدوه كما أراد سبحانه، وجعل آية كل نبي من جنس ما اشتهر به قومه، وجعل أعظم آيات النبي محمد ﷺ القرآن الكريم؛ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أنزله الله هدًى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وعدد أسماءه تشريفًا له، ووصفه بصفات، وجعل له فضائل، وخصَّه بخصائص، وأمرنا بتلاوته وحَذَّرنا من هجره، وسنتعرف على هذا في هذه الوحدة.

الأصل الأول

القرآن الكريم

أرسل الله الرسل بالبراهين والآيات ليوحدوه ويعبدوه كما أراد سبحانه، وجعل آية كل نبي من جنس ما اشتهر به قومه، وجعل أعظم آيات النبي محمد ﷺ وبيِّناته: القرآن الكريم؛ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وجعل هذه الآية باقية إلى قيام الساعة.

تعريف القرآن الكريم:

القرآن في اللغة: مصدر من الفعل قرأ، الذي من أبرز معانيه: التلاوة والجمع. وقد صار عَلَمًا على كلام الله ﷻ المجموع بين دَفتَي المصحف، فإذا أطلق اللفظ توجّه إليه دون سواه.

وفي الاصطلاح: كلام الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر، المكتوب في المصاحف، من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس[(١)].

أشهر أسماء القرآن الكريم، وأبرز صفاته:

لقد سمى الله تعالى القرآن في كتابه بأسماء من أبرزها أربعة هي:

١ ـ **القرآن**، وجاء هذا الاسم في عدة آيات من كتاب الله تعالى، منها قول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩].

٢ ـ **الفرقان**، وجاء هذا الاسم في عدة آيات أيضًا، منها قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١].

---

(١) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ١٥).

٣ ـ **الذكر**، وقد جاء في عدة آيات منها، قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤].

٤ ـ **الكتاب**، وجاء في عدة آيات كذلك، منها قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: ٢].

ومن أبرز صفات القرآن المذكورة في كتاب الله ما يلي:

١ ـ **كلام الله**، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [التوبة: ٦].

٢ ـ **التنزيل**، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢].

٣ ـ **الوحي**، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنبياء: ٤٥].

٤ ـ **الصدق**، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر: ٣٣].

٥ ـ **البيان والهدى والموعظة**، قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران: ١٣٨].

٦ ـ **البلاغ**، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٦].

فضل القرآن الكريم:

لقد رتَّب الله ﷻ لقارئ القرآن الأجر العظيم والثواب الجزيل منه ﷻ ليبقى الناس مرتبطين به يحفظونه ويتلونه ويتدارسونه بينهم؛ قال ﷺ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ**»(١)، وجعل لقارئه بكل حرف منه حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨٠٤).

(٢) أخرجه الترمذي رقم (٢٩١٠)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

فينبغي للمسلمين أن يرتلوا القرآن ويجوِّدوا تلاوته كما أمر الله تعالى بذلك فقال: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل: ٤].

كما ينبغي أن يكون لكل فرد وِرْد يومي يتلو فيه كتاب الله تعالى حتى يختمه، وليحرص أن يختمه كل شهر مرة أو أكثر، ولا ينشغل عن قراءته بما لا ينفع. وليحرص المسلم على حفظه، أو حفظ ما تيسر منه، وليسهل له ترديد ما حفظ من القرآن في قيامه وقعوده، وذهابه وإيابه، فإنَّ ذلك أعظم لأجره وأكثر لحسناته، قال ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الحَقِّ**»(١).

وينبغي للحافظ مراجعة القرآن وتعاهد قراءته حتى لا يتفلت منه، قال ﷺ: «**تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا**»(٢)(٣).

خصائص القرآن:

لقد ميَّز الله تعالى أمة محمد ﷺ بخصائص عن سائر الأمم التي سبقتها، وميَّز كتابها بخصائص دون سائر الكتب المنزلة، ومن أبرز خصائصه ما يلي:

الأولى: الشمول: ويتمثل ذلك بشمول القرآن الكريم لكل جوانب الحياة، فهو إما أن يُبين الواجب فيها تحديدًا، أو يشرع فيه قواعد تمكن العلماء من استنباط الحكم الصحيح لكل ما يستجد في حياة الناس، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۝٣٨﴾ [الأنعام: ٣٨].

الثانية: الحفظ: فهو محفوظ من التحريف، والضياع، والزيادة والنقصان، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]. ولم يتكفل الله تعالى بحفظ الكتب السابقة؛ بل وَكَّلَ حفظها لأصحابها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٦).

(٢) والعقل: جمع عقال، وهو ما يربط به البعير.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٠٣٣)، ومسلم برقم (٧٩١).

بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة: ٤٤]، أمَّا هذا القرآن فقد تولى الله حفظه بأن هيّأ له أسبابًا للحفظ كثيرة، منها:

١ ـ العلماء الحفاظ المجتهدون في حفظه؛ يتدارسونه، ويكتبونه ويعلمونه للناس، فينقله الآخِر عن الأول بالأسانيد المتصلة، من عهد الصحابة ﷺ ومن بعدهم إلى عصرنا هذا.

٢ ـ جعل الله تعالى حفظه واستظهاره سهلًا ميسّرًا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧]، وقد حفظ القرآن جمع غفير من الصحابة عن رسول الله ﷺ، وأخذه عنهم الجمع الغفير من التابعين، وأخذه عنهم أتباع التابعين وهكذا إلى عصرنا الحاضر بأعلى طرق التلقي والنقل؛ ألا وهي المشافهة، حتى وصل إلينا غضًّا طريًّا كما أنزل محفوظًا في الصدور. قال تعالى واصفًا القرآن: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت: ٤٩].

وها نحن نرى حفّاظ القرآن الكريم في العالم بالملايين، في حين أنَّنا لا نجد أحدًا من المنتمين للأديان الأخرى يحفظ كتابهم المقدس.

٣ ـ كتابته في وقت نزوله، فقد اتخذ النبي ﷺ كتَّابا للوحي يكتبون ما نزل من القرآن وقت نزوله، ومضى الصحابة ﷺ عنهم والتابعون وأتباعهم على هذا، فكانوا يكتبون القرآن في المصاحف ويستكتبونه، ويحرصون على اقتنائه، ومضى على هذا المسلمون في كل بلد.

ولم يتم جمع القرآن كلِّه في كتاب واحد في حياة النبي ﷺ لتتابع نزول القرآن، وحصول النسخ في بعض الآيات، فلم يمكن والحال هذه جمعه في كتاب واحد؛ فلم يكتمل نزول القرآن إلا قبيل وفاته ﷺ؛ لذا بادر أبو بكر ﷺ إلى جمعه، ثم كُتب في عهد عثمان ﷺ ووزِّع في البلدان الإسلامية؛ ليكون في كل بلد منها نسخة منه يُرجع إليها عند الحاجة.

ثم تتابعت كتابة القرآن الكريم على مرِّ العصور الإسلامية، يُكتب في السطور ويحفظ في الصدور إلى أن ظهرت المطابع، فطبع المصحف في الشام وغيرها من البلاد الإسلامية، حتى كان من أبرز تلك المطابع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة؛ الذي أنشئ لهذا الغرض، فطبع وأصدر ملايين

النسخ من المصاحف والأقراص المدمجة والتسجيلات الصوتية وغيرها. ثم ظهرت التطبيقات الإلكترونية فبادر المسلمون إلى إنشاء التطبيقات المتعددة التي سهَّلت تنصيبه وقراءته، وهذا يدلُّ على أنَّ القرآن كان وما يزال وسيبقى محفوظًا بحفظ الله له.

الثالثة: تضمُّنه آخر رسالة ربانية باقية إلى قيام الساعة، قال ﷺ: «**مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ**»[(١)]، وهو خاتم الكتب السماوية والمهيمن عليها كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، والمعنى أنَّه شامل لما فيها وزائد عليها وشاهد وحاكم عليها، فما وافقه فهو حق، وما خالفه فهو إما منسوخ أو باطل باعتباره محرفًا، وهو حافظ لما فيها من أصول الشرائع، وعالٍ عليها وغالب، وناسخ لغير المحكم فيها، فهو أكمل الكتب السماوية وخاتمها[(٢)].

الرابعة: إعجازه والتحدي به: قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨]. فهو معجز بفصاحته وبلاغته وبيانه، ومعجز في تشريعه، ومعجز في إخباره عن الأمور الغيبية، ومعجز لكل قوم بحسب ما اشتهروا به، ومعجز لأهل كل فنٍّ فيما برعوا فيه[(٣)].

حكم هجر القرآن:

قد وردت آيات وأحاديث تدعوا إلى حفظ القرآن وتلاوته والعمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه، والتحلي بأخلاقه وآدابه، وعدم هجره، فإنَّ رسول الله ﷺ اشتكى

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٩٨١)، ومسلم برقم (١٥٢).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١١٦).

(٣) هو معجز لأهل الطب بأنَّه شفاء من الأدواء، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢]. ومعجز لأهل الفلك والفضاء بما ذكر عن الأفلاك وجريانها وانتظامها، ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٣٧ ـ ٤٠].

إلى ربه مِنْ هَجْرِ قومه للقرآن فقال فيما ذكر الله تعالى عنه: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان: ٣٠].

وهجر القرآن أنواع منها: هجر الإيمان به وتصديق ما فيه، وهجر سماعه والإصغاء إليه، وهجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وهجر تحكيمه والتحاكم إليه في أمور الدين والدنيا، وهجر تدبره وفهمه، وهجر الاستشفاء والتداوي به، وهجر قراءته، والعدول عنه إلى غيره من شعر، أو قول أو غناء[1].

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/١٠٨).

المراجع الإثرائية:

ـ للمزيد طالع كتاب الاتقان في علوم القرآن للسيوطي.

■ المصطلحات والمفاهيم الواردة في هذه الوحدة

ـ **البَراهينُ**: جمع بُرْهان هو: الحُجَّة البيِّنة الفاصلة.

■ النشاط:

ـ كوِّن مجموعة من زملائك لزيارة إحدى حلقات تحفيظ القرآن لتبينوا للدارسين:

أ ـ فضائل القرآن الكريم.

ب ـ منزلة حَفَظَة القرآن الكريم ومكانتهم.

جـ ـ أهمية العمل بما جاء في القرآن الكريم.

■ التقويم:

أولًا: أجب عن الأسئلة التالية:

١ ـ تَحدَّث باختصار عن فضل القرآن الكريم.

٢ ـ بَيِّن حكم هجر القرآن الكريم وأنواعه.

٣ ـ عدِّد أربعًا من صفات القرآن الكريم المذكورة في كتاب الله تعالى.

ثانيًا: اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:

١ ـ صار عَلَمًا على كلام الله تعالى: أ ـ الكتاب. ب ـ القرآن الكريم. ج ـ الفرقان.

٢ ـ البلاغ من: أ ـ أسماء القرآن. ب ـ خصائص القرآن. ج ـ صفات القرآن.

٣ ـ من خصائص القرآن الشمول: أ ـ صواب. ب ـ خطأ.

الوحدة الثانية

الأصل الثاني: السُّنَّة النبوية

■ الأهداف التعليمية:

تهدف هذه الوحدة إلى:

١ ـ أن يُبيِّن الطالب منزلة السُّنَّة النبوية من الدين.

٢ ـ أن يُوضح الطالب حفظ الله تعالى لسُّنَّة نبيه ﷺ.

٣ ـ أن يُفرق الطالب بين أقسام الحديث باعتباراته المتعددة.

٤ ـ أن يُوضح الطالب جوانب الإعجاز العلمي في السُّنَّة النبوية.

■ نواتج التعلم:

عزيزي الطالب: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

١ ـ تُبيّن منزلة السُّنَّة النبوية من الدين.

٢ ـ تُوضح مدى حفظ الله تعالى للسُّنَّة النبوية.

٣ ـ تُفرِّق بين أقسام الحديث باعتباراته المتعددة.

٤ ـ تشرح جوانب الإعجاز العلمي في السُّنَّة النبوية.

تمهيـــد

السُّنَّة النبوية هي الأصل الثاني من أصول الأحكام بعد القرآن الكريم، ولولا السُّنَّة النبوية المشرفة لأشكل على الناس فهم كثير من الآيات القرآنية الكريمة؛ كبيان كيفية الصلاة، وعدد ركعاتها، ومعرفة مقدار نصاب الزكاة، وغير ذلك من الأحكام التي وضحتها السُّنَّة بعد أن جاءت في القرآن الكريم مجملة، وقد حظيت السُّنَّة بعناية فائقة من علماء الأمة سلفا وخلفا في جمعها وتدوينها والتثبت في قبولها، من هنا ظهر علم الحديث، وقد قسم العلماء الحديث إلى أقسام باعتبارات عدة سنتعرف على ذلك في هذه الوحدة.

الأصل الثاني

السُّنَّة النبوية

تعريف السُّنَّة:

السُّنَّة في اللغة: تطلق على ثلاثة معانٍ: الطريقة، والعادة، والسيرة حسنة كانت أو قبيحة، والعادة المستمرة والطريقة المتبعة؛ كقول الله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الأحزاب: ٦٢].

واصطلاحًا: ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خِلقية، أو خُلقية[(١)].

مقاصد السُّنَّة النبوية

السُّنَّة النبوية لها ثلاثة مقاصد لا تخرج عنها، وهي:

١ ـ **السُّنَّة المؤكِّدة**: وهي المقرِّرة لِمَا جاء به القرآن الكريم أمرًا كان أو نهيًا؛ كالتوحيد والعدل والإحسان إلى غير ذلك، ولِمَا نُهي عنه كالقتل والزنى وشهادة الزور... إلخ.

٢ ـ **السُّنَّة المبيِّنة**: وهي التي تكون مبيِّنة ومفصلة لما وَرَد مجملًا في القرآن؛ كإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج... إلخ.

٣ ـ **السُّنَّة المؤسِّسة**: وهي التي تثبت أحكامًا لم يذكرها القرآن صراحة؛ كتحريم نكاح المرأة على عمتها، وخالتها، وتحريم أكل كل ذي ناب من السباع، وأكل كل ذي مخلب من الطيور، وغير ذلك مما أثبتته السُّنَّة من أحكام لم تذكر في القرآن صراحة، وإنَّما يشير إلى وجوب الأخذ بها قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].

---

(١) ينظر: توجيه النظر إلى أصول الأثر (١/ ٤٠).

تدوين السُّنَّة:

لَمَّا كانت السُّنَّة النبوية وحيًا أوحاه الله تعالى على نبيه ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣ - ٤]، كانت أشرف العلوم بعد القرآن، فنالت عناية الصحابة والتابعين خلفًا بعد سلف، لا يشرف بينهم أحد بعد حفظ كتاب الله إلا بقدر ما يأخذ من سُنَّة رسول الله ﷺ، ولا يُعَظم في النفوس إلا بحسب ما يبلغ منها، فتوفرت الرغبة في تعَلُّمِه، وانبعثت الهِمَم والعزائم إلى تحصيلها، حتى كان أحدهم يرحل من بلده ويجوب البلاد شرقًا وغربًا في طلب السُّنَّة وجمعها وكتابتها، إلا أنَّ اعتمادهم كان أولًا على الحفظ والضبط في الصدور غير ملتفتين إلى ما يكتبونه محافظة على هذا العلم؛ كحفظهم كتاب الله تعالى؛ فلمَّا انتشر الإسلام واتسعت الأمصار، وتفرَّق الصحابة في الأقطار، ومات معظمهم وقلَّ الضبط مسَّت الحاجة إلى تدوينها وتقييدها.

وترجع بداية كتابة السُّنَّة إلى عهد الصحابة رضي الله عنهم فقد كان منهم عدة أشخاص يكتبون ويحدثون مما كتبوا، وتبع كبار التابعين الصحابة الكرام في اهتمامهم بشأن الحديث ونشره بطريق الرواية إلى أن جاء الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رحمه الله فأمر بكتابة الحديث على رأس المائة الأولى، فكان أوَّل من دوَّن الحديث بأمر عمر بن عبد العزيز الإمام ابن شهاب الزهري رحمه الله، أحد الأئمة الأعلام، وذلك في القرن الثاني الهجري.

وقد كانت كُتب السُّنَّة لا يَتَبين للناظر فيها درجة الحديث صحة وضعفًا إلا بعد البحث عن أحوال رواته، وغير ذلك مما هو معلوم عند أهل الحديث، فلما شرَع أئمة الحديث في تدوينه دوَّنوه على تلك الحال، ثم بحثوا عن أحوال الرواة بحثًا شديدًا حتى عرفوا من تُقبل روايتهم ومن ترد، ومن يتوقف في قبول روايته، وغير ذلك مما هو مبسوط في كتب علم الحديث. قال السخاوي رحمه الله: «قيض الله لها - أي لهذه الأحاديث - نُقادها الذين خصهم الله بنور السُّنَّة وقوة البصيرة فلم تَخْف عنهم حال مفتر ولا زور كذّاب، فبينوا بنقدهم فسادها وميزوا الغث من السمين والمزلزل والمكين، وقاموا بأعباء ما تحملوه»[1].

ثم أنشأ الله تعالى قرنًا آخر فرأوا أصحابهم قد كفوهم مؤونة جمع الأحاديث، فتفرغوا لفنون أخرى كتمييز الصحيح من غيره، وجمع أحاديث الفقه التي بَنى عليها

---

(١) ينظر: فتح المغيث للسخاوي (١/ ٢٦٠) بتصرف.

فقهاء الأمصار مذاهبهم، إلى غير ذلك من فنون التصنيف والتأليف، وكان أوسعهم علمًا وأنفعهم تصنيفًا وأشهرهم ذكرًا أربعة رجال متقاربون في العصر: محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج النيسابوري، وأبو داود السجستاني، وأبو عيسى الترمذي.

فهذه الكتب الأربعة تُعد الأكثر شهرة بين الناس ويضاف إليها كذلك كتابان آخران لتكتمل بهما الكتب الستة وهما: كتاب أحمد بن شعيب النسائي المسمّى بسنن النسائي، وكتاب محمد بن يزيد ابن ماجه، والمسمّى سنن ابن ماجه.

وإلى جانب هذه الكتب الستة كثير من أمهات كتب الحديث وعلومه، التي تزخر وتفخر بها المكتبة الإسلامية.

يقول الإمام القاضي عياض في وجوب طلب علم الحديث والسنن وإتقان ذلك وضبطه وحفظه ووعيه: لا خفاء على ذي عقل سليم ودين مستقيم بوجوب ذلك والحض عليه؛ لأنَّ أصل الشريعة التي تَعبَّدنا الله بها إنَّما هي متلقاة من جهة نبينا صلوات الله عليه وسلامه، إمَّا فيما بلَّغه من كلام ربه، وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي تكفل الله بحفظه فقال جلَّ وعز: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]. وإما فيما أخبر به من وحي الله إليه وأوامره ونواهيه، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣ ـ ٤]، وغير ذلك من سننه، وسائر سِيَره، وجملة أقواله وأفعاله وإقراره، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر: ٧]. وكل هذا إنما يتوصَّل إليه ويعرف بالتطلب والرواية والبحث، والتنقيب عنه والتصحيح له، ورحم الله سلفنا من الأئمة المرضيين والأعلام السابقين والقدوة الصالحين من أهل الحديث وفقهائهم قرنًا بعد قرن، فلولا اهتمامهم بنقله، وتوفرهم على سماعه وحمله، واحتسابهم في إذاعته ونشره، وبحثهم عن مشهوره وغريبه، وتنخِيلُهُم لصحيحه من سقيمه لضاعت السنن والآثار[1].

أقسام الحديث:

يقسَّم العلماء الحديث النبوي بعدة اعتبارات، أهمها قسمان:

---

(١) ينظر: الإلماع للقاضي عياض (١/٦، ٧) بتصرف.

الأول: أقسام الحديث باعتبار المسند إليه:

ينقسم الحديث باعتبار المسند إليه إلى أربعة أقسام:

١ ـ **الحديث القدسي**، وهو: كل قول أضافه النبي ﷺ إلى الله تعالى. مثل حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»[(١)].

٢ ـ **الحديث المرفوع**، وهو: ما أضيف إلى النبي ﷺ خاصة، قولًا كان أو فعلًا أو تقريرًا[(٢)].

٣ ـ **الحديث الموقوف**، وهو: ما يُروى عن الصحابة رضي الله عنهم من أقوالهم وأفعالهم ونحوها، فيوقف عليهم ولا يجاوز به إلى رسول الله ﷺ[(٣)].

٤ ـ **الحديث المقطوع**، وهو: ما جاء عن التابعين من أقوالهم وأفعالهم موقوفًا عليهم[(٤)].

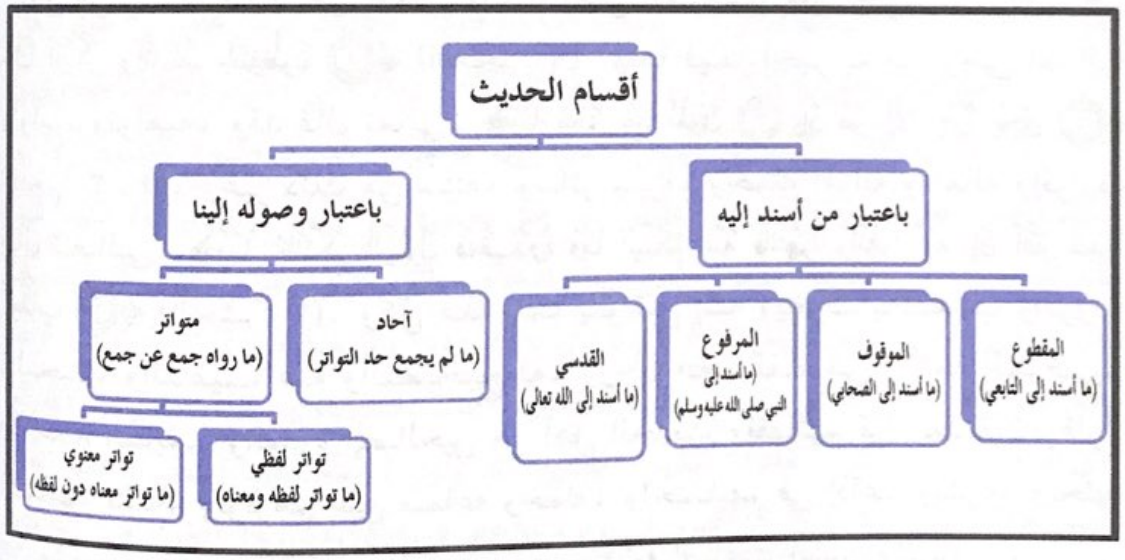

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥).

(٢) ينظر: تدريب الراوي للسيوطي (١/ ٢٠٢).

(٣) ينظر: معرفة أنواع علوم الحديث (١/ ٤٦).

(٤) ينظر: المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي (١/ ٤٢).

الثاني: أقسام الحديث باعتبار القبول والرد:

ينقسم الحديث بهذا الاعتبار إلى أربعة أقسام:

١ ـ **الحديث الصحيح**: وهو ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله من أول السند إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة قادحة[(١)]. ومثاله أنَّ النبي ﷺ: «**قَرَأَ فِي المَغْرِبِ بِالطُّور**»[(٢)]. وكل حديث حكم العلماء بصحته[(٣)] يجب قبول ما أخبر به واعتقاده والعمل به.

٢ ـ **الحديث الحسن**: وهو ما اتصل سنده بنقل العدل خفيف الضبط، من غير شذوذ، ولا علة[(٤)]. كحديث: «**نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ بَيْعَتَيْنِ فِي بَيْعَةٍ**»[(٥)]. وهذا النوع من الحديث أيضًا يجب قبوله والعمل به في إثبات الأحكام الشرعية جميعها.

٣ ـ **الحديث الضعيف**: وهو ما لم يجمع صفة الحسن بفقده شرطًا من شروطه[(٦)]. كحديث: «**احفَظْ وُدَّ أَبِيكَ، لا تَقْطَعْهُ، فيُطْفِىءَ اللهُ نورَك**»[(٧)]. وهذا النوع لا يعمل به كبار الحفاظ والمحدثين كالبخاري ومسلم وغيرهما لا في الأحكام ولا غيرها.

٤ ـ **الحديث الموضوع**: وهو الحديث المختلق المكذوب المفترى على رسول الله ﷺ[(٨)]. وهذا النوع ساقط لا عبرة به، وتحرم روايته إلا لبيان حاله والتحذير منه.

---

(١) ينظر: توجيه النظر (١/ ١٨٠).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٦٥)، ومسلم برقم (١٧٤).
(٣) قد جعل العلماء للحديث الصحيح سبع مراتب: هي:
١ ـ ما اتفق عليه البخاري ومسلم.
٢ ـ ما انفرد به البخاري.
٣ ـ ما انفرد به مسلم.
٤ ـ ما كان على شرط البخاري ومسلم.
٥ ـ ما كان على شرط البخاري.
٦ ـ ما كان على شرط مسلم.
٧ ـ ما كان صحيحًا عند غيرهما. ينظر: توضيح الأفكار (١/ ٨٦).
(٤) ينظر: التقريرات السُّنية (١/ ١٣).
(٥) أخرجه أحمد في المسند برقم (٦٦٢٨)، وحسنه الأرناؤوط.
(٦) ينظر: التقييد والإيضاح (١/ ٦٣).
(٧) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٤٠).
(٨) ينظر: التقريرات السُّنية (١/ ١١٧).

ومما تنبغي معرفته مما يتعلق بالسُّنَّة النبوية ما يلي:

الأول: أنَّ الله تعالى حفظ السُّنَّة النبوية كما حفظ القرآن؛ لأنَّ بحفظهما يحفظ دينه، ويبقى شرعه حُجَّة على الناس إلى قيام الساعة. ومن أبرز ما قيضه الله لحفظ سُنَّة نبيه ما يلي:

١ ـ حفظ الصحابة ﷺ لها في صدورهم، فما من حديث إلا وله حافظ من الصحابة، ومجموع ما حفظوه هو مجموع سُنَّة النبي ﷺ.

٢ ـ كتابة بعض السُّنَّة من عدد من الصحابة الذين أذن لهم النبي ﷺ بالكتابة؛ كعلي بن أبي طالب وعبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، وقد أمر النبي ﷺ بالكتابة لبعض الوفود فكتبوا لهم بعض أحاديث رسول الله ﷺ.

٣ ـ لهف التابعين ومن بعدهم لسماع أحاديث النبي ﷺ وطلبهم لها من الصحابة وسؤالهم عنها؛ بل والرحلة بين البلدان طلبًا لها وحفظها وكتابتها.

٤ ـ التدوين الرسمي في الكتب، والذي ابتدأ في أول القرن الثاني الهجري بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز بن مروان رحمه الله.

٥ ـ التفنن في التدوين، مرة على الأبواب، ومرة على الأحكام الفقهية، وغيرها.

الثاني: أنَّ الشروط التي اشترطها العلماء في الرواة لقبول أحاديثهم من جهة الضبط والعدالة والأمانة واتصال السند وغيرها كفيلة ببعث الثقة في النفوس بأنَّ تلك الأحاديث ثابتة عن النبي ﷺ.

الثالث: أنَّه لا يمكن الاقتصار على القرآن والاستغناء به عن السُّنَّة؛ لأنَّهما وحي من الله تعالى، يصدق أحدهما الآخر.

الرابع: وجوب الاحتجاج بالمقبول من الأحاديث ـ الصحيح والحسن ـ سواء كانت متواترة أو آحادًا، وسواء كان ذلك في العقائد أو الأحكام.

الخامس: أنَّ الوحي ـ كتابًا وسُنَّة ـ قد يأتي بما تحار فيه العقول، ولكن لا يأتي أبدًا بما تحيل العقول حدوثه، ومن ذلك إخبار النبي ﷺ ببعض الأمور التي لم تكن معلومة في زمانه ولا بعد زمانه، وإنما علمت في العصر الحديث؛ كقوله ﷺ: **«إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ، فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءً**

وَالأُخْرَى شِفَاءً»[١]. فإخباره بأنَّ في أحد جناحية داء وفي الآخر شفاء آية من آيات صدق نبوته، ولم يعرف هذا إلا في العصر الحديث. يقول الدكتور مصطفى إبراهيم حسن[٢] في نتاج بحث له عن الذباب: يتضح من النتائج وجود كثافة عددية عالية من أنواع عديدة من البكتريا على جناحي الذباب، كما اتضح أن أكثر أنواع البكتريا شراسة هو نوع B. circulans. ولقد لوحظ تواجد هذه البكتريا بكثافة عالية على الجناح الأيمن للذباب. كما اتضح قدرة البكتريا B. circulans على قتل الأنواع الأخرى من البكتريا في زمن قصير جدًّا. وهي البكتريا التي تنقل العديد من الأمراض للإنسان مثل: التهابات العين، خرّاج أو دمامل، الحصف (داء جلدي)، التهاب المثانة، التهاب المعدة والقولون، التهاب العظام، إصابة الجهاز البولي التناسلي، والجهاز العصبي المركزي وفساد الأطعمة وغيرها... ولقد لوحظ أن أعداد البكتريا بعد غمس الذبابة تتناقص كثيرًا عمّا كانت عليه قبل الغمس؛ وذلك لأنَّ البكتريا المفيدة والفطريات تفرز المواد المضادة للحيوية التي تقتل البكتريا الضارة بعد سقوطها في السائل[٣].

(١) أخرجه البخاري حديث رقم (٣٣٢٠).

(٢) أستاذ الحشرات الطبية ومدير مركز أبحاث ودراسات الحشرات الناقلة للأمراض بجامعة الأزهر، وقد أجرى بحثًا بعنوان: الداء والدواء في جناحي الذباب.

(٣) ينظر: بحث الداء والدواء في جناحي الذباب، المنشور بموقع موسوعة الإعجاز العلمي في الكتاب والسُّنَّة على الشبكة العالمية.

http://www.quran-m.com

وأيضًا: بحث بعنوان: حول حديث الذباب، لأمين محمد سالم (ص٥٣) وما بعدها.

المراجع الإثرائية:

ـ للمزيد طالع كتاب فتح المغيث للسخاوي.

■ **المصطلحات والمفاهيم الواردة في هذه الوحدة.**

ـ **المِصْرُ**: واحد الأمْصار. والمِصْرُ أيضًا: الحدُّ والحاجز بين الشيئين.

■ **النشاط:**

ـ شارك زملائك في رسم لوحة توضح فيها:

أ ـ أقسام الحديث باعتبار من أسند إليه.

ب ـ أقسام الحديث باعتبار وصوله إلينا.

ج ـ أقسام الحديث من حيث القبول والرد.

■ **التقويم:**

أولًا: أجب عن الأسئلة التالية:

١ ـ بَيِّن باختصار كيف تم تدوين السُّنَّة.

٢ ـ ينقسم الحديث باعتبار القبول والرد إلى أربعة أقسام أُذكرها.

٣ ـ عرِّف الحديث الموضوع.

ثانيًا: اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:

١ ـ من معاني السُّنَّة في اللغة: **أ** ـ الطريقة. **ب** ـ العادة. **ج** ـ السيرة. **د** ـ جميع ما سبق.

٢ ـ المقرِّرة لما جاء به القرآن هي السُّنَّة: **أ** ـ المؤكدة. **ب** ـ المبينة. **ج** ـ المؤسِّسة.

٣ ـ الحديث القدسي هو: كل قول أضافه النبي ﷺ إلى الله تعالى: **أ** ـ صواب. **ب** ـ خطأ.

الوحدة الثالثة

الأصل الثالث: **الإجماع.**

الأصل الرابع: **القياس.**

الاجتهاد في الشريعة الإسلامية.

■ الأهداف التعليمية:

تهدف هذه الوحدة إلى:

١ ـ أن يُعرف الطالب معنى الإجماع كأصل من أصول التشريع الإسلامي.

٢ ـ أن يُبين الطالب معنى القياس.

٣ ـ أن يوضح الطالب الاجتهاد في الشريعة الإسلامية وضوابطه.

■ نواتج التعلم:

عزيزي الطالب: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

١ ـ تُبيّن معنى الإجماع، ومكانته في التشريع الإسلامي.

٢ ـ تُوضح معنى القياس الصحيح.

٣ ـ تَذْكر فوائد الاجتهاد في الشريعة الإسلامية.

٤ ـ تُفرِّق بين ما يجوز فيه الاجتهاد من المسائل وما لا يجوز.

٥ ـ تُتابع ما يصدر عن المجامع الفقهية من قرارات حول المسائل المستجدة.

تمهيـــد

مما تميزت به الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم السابقة أن جعل الله إجماع المعتبرين منها حجة يؤخذ بها متى تحققت شروط الإجماع، وكذلك فإنَّ مما اتفق على حجيته أئمة المذاهب الأربعة: القياس، وهو أوسع المصادر التشريعية؛ لأنَّ الحوادث والنوازل لا حصر لها، ولكي تتحقق صلاحية هذا الدين لكل زمان ومكان كان لا بد من وجود علماء قادرين على الاجتهاد والاستنباط من كتاب الله وسُنَّة نبيه بما حباهم الله من علم.

وإنَّ الإجماع له مكانته عند علماء الأمة، وعلى حجيته أدلة من الكتاب والسُّنَّة، وكذا القياس متى تحققت أركانه فقد دلَّت الأدلة على حجيته.

ثم إنَّ الاجتهاد بابه مفتوح لمن تأهل لذلك، وهناك أدلة على مشروعيته، وله حدود، وشروط، والمجتهدون أقسام، وأنواع، وسنتعرف على كل ذلك في هذه الوحدة.

الأصل الثالث

الإجماع

الإجماع هو المصدر الثالث من مصادر التشريع المتفق عليها، ويُعد من أبرز خصائص هذه الأمة ومناقبها؛ حيث ضمن الله ﷻ لهذه الأمة حال اجتماعها العصمة من الخطأ والضلالة.

تعريف الإجماع:

الإجماع لغة: العزم والاتفاق.

واصطلاحًا: اتفاق مجتهدي هذه الأمة بعد النبي ﷺ على حكم شرعي.

فخرج بقوله: «اتفاق»: وجود خلاف، ولو من واحد؛ فلو وجد لا ينعقد معه الإجماع.

وخرج بقوله: «مجتهدي»: عامة الناس والمقلدون؛ فلا يُعتبر وفاقهم ولا خلافهم.

وخرج بقوله: «هذه الأمة» إجماع غيرها؛ فلا يعتبر.

وخرج بقوله: «بعد النبي ﷺ»: اتفاقهم في عهد النبي ﷺ، فلا يعتبر إجماعًا، ولذلك إذا قال الصحابي كنا نفعل، أو كانوا يفعلون كذا على عهد النبي ﷺ، كان مرفوعًا حكمًا، لا نقلًا للإجماع.

وخرج بقوله: «على حكم شرعي»: اتفاقهم على حكم دنيوي؛ عقلي أو عادي، فلا مدخل له هنا؛ إذ الكلام هنا في الإجماع كدليل من أدلة الشرع تثبت به أحكام شرعية يجب الالتزام بها[1].

---

(١) ينظر: الأصول من علم الأصول (ص٦٤).

مكانة الإجماع:

تبرز مكانة الإجماع وفائدته فيما يلي:

١ ـ تقوية الأدلة الثابتة بطرق ظنية، إذ انعقاد الإجماع على مدلولها يُصيِّر ما تضمنته أحكامًا شرعية ملزمة[١].

٢ ـ أن أدلة الكتاب والسُّنَّة لا تتسع لأحكام كل المستجدات؛ وإنما تكون بمثابة القواعد والأصول التي يمكن أن يُدرج تحتها كثير من المسائل، فإذا انعقد الإجماع على شيء مما تدل عليه صار حُكمًا ملزمًا[٢].

٣ ـ أنَّ الإجماع إذا انعقد على حكم أغلق باب التحايل عليه والقدح في أدلته الجزئية، فيُحمى الدين وتُحفظ الشريعة.

الأدلة على حجية الإجماع:

إنَّ إجماع مجتهدي الأمة على حكم شرعي يعتبر حجة شرعية يجب الأخذ بما أجمعوا عليه والالتزام به، ومعاقبة من تخلف عن ذلك أو تركه، وذلك لقيام الأدلة من الكتاب والسُّنَّة على اعتبار الله تعالى له حجة على عباده، **منها:**

أولًا: أدلة الكتاب:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥]. فتوعَد الله تعالى على مخالفة سبيل المؤمنين، وهو ما أجمعوا عليه والتزموه، فدلَّ على وجوب اتِّباع سبيلهم، وحرمة مخالفته، وأنَّ إجماعهم حُجة ملزمة.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]. قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقوله: ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يشمل الشهادة على أعمالهم، وعلى أحكام أعمالهم، والشهيد قوله مقبول»[٣].

٣ ـ قوله الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن

---

(١) ينظر: أصول الفقه لأبي زهرة (ص١٩٣).

(٢) ينظر: الجانب الأخلاقي في التشريع الجنائي (ص٢٧).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١٩/ ١٧٧).

﴿تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩]، قوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾: يدل بمفهوم المخالفة على أنَّ ما اتفقوا عليه يعتبر حقًّا. ومثلها قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠﴾ [الشورى: ١٠]. فأمر سبحانه بالرجوع إلى حكمه عند الاختلاف؛ فَيُفْهَم منه أنَّه إذا لم يوجد خلاف فالاتفاق على الحكم كافٍ، فالآية تدل على حجية الإجماع بالمفهوم أيضًا.

ثانيًا: دليل السُّنَّة النبوية:

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ، وَيَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ**»[(١)]. قال المباركفوري رحمه الله: «فالحديث يدلُّ على أنَّ اجتماع المسلمين حقٌّ، والمراد: إجماع العلماء، ولا عبرة بإجماع العوام؛ لأنَّه لا يكون عن علم»[(٢)].

ثبوت الإجماع ومستنده وأمثلته:

يثبت الإجماع بأحد طريقين:

١ ـ شهرة وقوعه واستفاضة حصوله بين علماء الشريعة.

٢ ـ أن ينقله عالم ثقة واسع الاطلاع بمذاهب العلماء السابقين وأقوالهم واتفاقهم في المسائل واختلافهم فيها[(٣)].

والإجماع على حكم شرعي لا بد أن يكون قد بني على مستند شرعي؛ لأنَّ المجتهد له حدود لا يسوغ له أن يتعداها.

وهذا المستند إمَّا أن يكون نصًّا؛ فاجتهاد المجتهد فيه لا يتعدى فهم النص ومعرفة ما يدلُّ عليه. وإذا لم يكن في الواقعة نص فاجتهاده لا يتعدى استنباط حكمه بواسطة قياسه على ما فيه نص، أو تطبيق قواعد الشريعة ومبادئها العامة، أو بالاستدلال بما أقامته الشريعة من دلائل كالاستحسان أو الاستصحاب، أو مراعاة العرف أو المصالح المرسلة[(٤)].

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢١٦٧) وصححه الألباني.

(٢) تحفة الأحوذي (٦/ ٣٢٢).

(٣) ينظر: الأصول من علم الأصول (ص٦٦).

(٤) ينظر: علم أصول الفقه (ص٤٨).

ومن أمثلة المسائل التي انعقد عليها الإجماع: صحة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وتحريم شحم الخنزير، وتوريث الجدات السدس، وحجب ابن الابن من الإرث عند وجود الابن، وتوريث المرأة من دية زوجها، ووجوب الزكاة في الجواميس قياسًا على البقر.

وإذا ثبت الإجماع فهو حجة شرعية لا تجوز مخالفته، ويعتبر خرقه محرمًا؛ لأنَّ في خرقه اتِّباع لغير سبيل المؤمنين، والله تعالى قد توعَّد على مخالفة سبيلهم.

الأصل الرابع

القيـــاس

القياس هو: المصدر الرابع من مصادر التشريع المتفق عليها بين أئمة المذاهب الأربعة، وهو أوسع المصادر التشريعية؛ لأنَّ الحوادث والنوازل لا حصر لها، مع ما فيها من التشابه والتباين مما قد يلتبس أمره إلا على من دقَّ نظره وسدد الله رأيه، ولذلك وجب أن تكون ضوابط القياس واضحة، تغطي كل ما يستجد من النوازل وتشمل كل ما يحدث من الوقائع.

تعريف القياس:

القياس لغة: يطلق في اللغة على معانٍ، منها: التقدير، فيقال: قست الشيء بالشيء؛ أي: قدرته به، وقايست بين الأمرين؛ أي: قدَّرت بينهما. ومنها: التسوية بنوعيها: الحسي: كقول: قست النعل بالنعل؛ أي: ساويتها بها. والمعنوي كقول: فلان لا يقاس بفلان؛ أي: لا يساوى به.

وفي الاصطلاح: حمل فرع على أصل في الحكم لعلة تجمع بينهما[1].

أركان القياس:

تضمن التعريف السابق أركان القياس الأربعة، وهي:

١ ـ **الأصل:** وهو الواقعة المقيس عليها، والتي نصَّ الشرع على حكمها.

٢ ـ **الفـرع:** وهو النازلة الجديدة التي نبحث لها عن حكم.

٣ ـ **حكـم الأصل:** وهـو خطاب الله تعالى الوارد على الأصل، والثابت بالمصادر التشريعية من الكتاب، أو السُّنَّة، أو الإجماع.

---

(١) ينظر: روضة الناظر (٣/ ١٥٠).

٤ ـ **العلة**: وهي الوصف الجامع المشترك بين الأصل والفرع، والتي بواسطتها سَنُعَدِّي الحكم من الأصل إلى الفرع.

ومثال ذلك: الخمر، والمخدرات. فالخمر أصل ورد فيه الحكم الشرعي بالتحريم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠].

فإذا بحثنا عن علَّة تحريم الخمر وجدنا أنَّها إذهاب العقل، فإن وجدنا العلة نفسها في المخدرات عدَّينا حكم التحريم من الأصل إلى الفرع، فالخمر أصل وحكمه التحريم وعلته إذهاب العقل، والمخدرات فرع وعلتها إذهاب العقل، فيكون حكمها التحريم.

الأدلة على حجية القياس:

القياس حجة شرعية على الأحكام العملية عند فقهاء المذاهب الأربعة، وهو عندهم في المرتبة الرابعة بعد الكتاب والسُّنَّة والإجماع، وقد اتفقوا على العمل به شرعًا، واستدلوا على مشروعية ذلك بأدلة من الكتاب والسُّنَّة.

أولًا: الأدلة من الكتاب الكريم:

الأول: قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾ [الحشر: ٢]، ففي الآية دعوة للاعتبار بحال بني النضير، فإنَّ من فعل فعلهم سيعاقب كعقابهم، قال الآمدي رحمه الله: «الاعتبار هو: الانتقال من الشيء إلى غيره؛ وذلك متحقق في القياس حيث إنَّ فيه نقل الحكم من الأصل إلى الفرع»[(١)].

الثاني: قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الواقعة: ٥٨ ـ ٦٢]. قال ابن القيم رحمه الله: «قد أرشد الله تعالى عباده إليه ـ يعني: القياس ـ في غير موضع من كتابه، فقاس

(١) الإحكام (٤/ ٣٢، ٣٣).

النشأة الثانية على النشأة الأولى في الإمكان وجعل النشأة الأولى أصلًا والثانية فرعًا عليها... إلخ»[١]. ففيها الاحتجاج على الكفار في إنكارهم البعث بالقياس على النشأة الأولى المعلومة عندهم.

ثانيًا: الأدلة من السُّنَّة النبوية:

ثبت عن النبي ﷺ أنَّه استعمل القياس مع أصحابه في وقائع متعددة، منها:

الأول: ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إنَّ أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: «**نَعَمْ، حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَتَهُ؟**»، قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ: «**اقْضُوا اللهَ الَّذِي لَهُ، فَإِنَّ اللهَ أَحَقُّ بِالوَفَاءِ**»[٢].

الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء رجل من بني فزارة إلى النبي ﷺ فقال: إنَّ امرأتي ولدت غلامًا أسودًا فقال النبي ﷺ: **هل لك من إبل؟** قال: نعم. قال: **فما ألوانها؟** قال: حمر. قال: **هل فيها من أورق؟** قال: إنَّ فيها لَورقًا. قال: **فأنَّى أتاها ذلك؟** قال: عسى أن يكون نزعه عرق. قال: «**وَهَذَا عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ**»»[٣].

ووجه الدلالة من هذين الحديثين أنَّ النبي ﷺ وجَّه أصحابه فيهما إلى إلحاق ما جاءوا يسألون عن حكمه بنظيره الذي علموا حكمه سابقًا.

ثالثًا: إجماع الصحابة:

اتفق الصحابة رضي الله عنهم على العمل بالقياس، واجتهدوا في استنباط أحكام للوقائع التي لا يوجد فيها نص من القرآن والسُّنَّة، وأخذوا يقيسون ما لا نص فيه على ما فيه نص، ويعتبرون النظير بنظيره، ومن ذلك أنّهم قاسوا استحقاق أبي بكر للخلافة على إمامته لهم في الصلاة حين مرض النبي ﷺ، وقالوا: «ارتضاه لديننا فكيف لا نرتضيه لدنيانا، فبايعوا أبا بكر رضي الله عنه بها»[٤].

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ١٤٤).
(٢) أخرجه البخاري برقم (١٨٢٥).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٨٤٧)، ومسلم برقم (١٥٠٠).
(٤) ينظر: إعلام الموقعين (١/ ٢٤١)، وعلم أصول الفقه (ص٥٧).

أقسام القياس:

ينقسم القياس إلى قسمين:

القسم الأول: القياس الصحيح: وهو ما وافقت دلالته دلالة النص من الكتاب أو السُّنَّة أو الإجماع، وهذا النوع جاء به الشرع المطهر؛ لأَنَّه إمَّا جمعٌ بين متماثلين في الحكم أو تفريق بين مختلفين. قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «القياس الصحيح من باب العدل، فإنَّه تسوية بين المتماثلين وتفريق بين المختلفين، ودلالة القياس الصحيح توافق دلالة النص»(١).

وقال في بيان أنواعه: «فالقياس الصحيح مثل أن تكون العلة التي عُلِّق بها الحكم في الأصل موجودة في الفرع من غير معارض في الفرع يمنع حكمها، ومثل هذا القياس لا تأتي الشريعة بخلافه قط. وكذلك القياس بإلغاء الفارق وهو: أن لا يكون بين الصورتين فرق مؤثر في الشرع، فمثل هذا القياس لا تأتي الشريعة بخلافه»(٢).

القسم الثاني: القياس الفاسد: هو كل قياس خالف شرطًا من شروط القياس المعتبرة. وذلك كقياس من قاس الربا على البيع في كون كل منهما كسبًا للمال، فأنكر الله عليهم ذلك فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة: ٢٧٥].

أمثلة على تطبيقات معاصرة في القياس:

تقوم المجامع الفقهية واللجان الشرعية بدراسة المسائل المستجدة وإصدار أحكام لها، وغالبًا ما يكون اجتهادهم قائمًا على إعمال القياس كوسيلة لإدارك الأحكام الشرعية، ومما استعمل فيه القياس ما يلي:

الأول: قياس البصمة الوراثية على القافة في معرفة النسب وإلحاق الأولاد بآبائهم(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٢٨٨).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٣٤٦).

(٣) ينظر: فقه النوازل (٤/ ٤٠٩).

الثاني: اعتبار جريان الربا في العملات الورقية قياسًا على الذهب والفضة[١].

الثالث: جواز الطواف والسعي على العربات قياسًا على طواف النبي ﷺ راكبًا على الدابة.

(١) ينظر: المصدر السابق (٣/ ١٧).

الاجتهاد في الشريعة الإسلامية

إنَّ تعدد مصادر التشريع في الإسلام يدل على سعة هذا الدين وكماله وتمامه، وإمكانية احتوائه لجميع ما يستجد في حياة الناس لتتحقق صلاحيته لكل زمان ومكان، فما من مسألة إلا ولها في دين الله حكم، إمَّا نصًّا وإمَّا استنباطًا، والعلماء هم القادرون على الاجتهاد والاستنباط لِمَا منحهم الله من إرث الأنبياء، قال النبي ﷺ: «**إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»(١).

تعريف الاجتهاد:

الاجتهاد في اللغة: بذل الوِسع والمجهود(٢). ولا يستعمل إلا فيما يكون فيه حَرَج ومشقة.

وفي الاصطلاح: بذل الوِسع في العلم بأحكام الشرع(٣). فهو خاص باستنباط أحكام القضايا الدينية.

وهناك توافق بين المعنى اللغوي والاصطلاحي في بذل الوِسع في الفعل، ثم صار هذا اللفظ في عُرف العلماء مخصوصًا ببذل الفقيه المجتهد وِسْعَه في طلب العلم بأحكام الشريعة.

مشروعية الاجتهاد:

لقد أنزل الله تعالى وحيه على نبيه ﷺ كتابًا وسُنَّة، وقد تضمنا النص على كثير من الأحكام الشرعية، بالإضافة إلى تأسيس قواعد تستوعب ما يمكن أن يستجد من

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٦٨٢)، وصححه الألباني.
(٢) ينظر: المعجم الوسيط (١/ ١٤٢).
(٣) روضة الناظر (ص١٩٠).

النوازل، فيستطيع المجتهد إلحاق المسائل بما يماثلها، وإدراجها تحت ما يستوعبها بما أعطاه الله من ملكة في فهم النصوص الشرعية وإدراك لمقاصدها.

وقد أدَّب النبي ﷺ أصحابه على الانقياد لأمر الله ورسوله، والتمسك بالكتاب والسُّنَّة في جميع الأحوال، بالإضافة إلى ترسيخ أسس علمية محكمة، وقواعد شرعية عامة تُعرف من خلالها أحكام الدين، فإذا عرضت نازلة لا يُعرف فيها دليل من كتاب أو سُنَّة يبين حكمها اجتهد العلماء في استنباط حكمها بناء على ما عَلِموه من الدين.

ولقد بدأ الاجتهاد على نطاق ضيق وفي وقائع محدودة في زمن النبي ﷺ، حيث اجتهد بعض الصحابة فيها وبلغ النبي ﷺ ذلك فأقرَّهم على الاجتهاد، ورُبَّما خَطَّأهم في بعض نتاجها[١].

وقد جاءت الأدلة على مشروعية الاجتهاد في الشريعة؛ فمن ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ قال: «**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَأَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ**»[٢].

وصار هذا سُنَّة متبعة بعد النبي ﷺ، فقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه يأمره بالاجتهاد فيما لا يجده في كتاب الله ولا في سُنَّة رسول الله ﷺ: «ثُمَّ الفَهمَ الفَهمَ فِيمَا أُدلِيَ إِليكَ مِمَّا وَرَدَ عَلَيكَ مِمَّا لَيسَ فِي قُرآنٍ وَلَا سُنَّةٍ، ثُمَّ قَايِسِ الأُمُورَ عِندَ ذَلِكَ وَاعرِفِ الأَمثَالَ، ثُمَّ اعمَدْ فِيمَا تَرَى إِلَى أَحَبِّهَا إِلَى اللهِ وَأَشبَهِهَا بِالحَقِّ»[٣].

حدود الاجتهاد:

إنَّ المسائل الشرعية تنقسم من حيث النص على حكمها وعدمه إلى قسمين:

الأول: ما كان فيها نص من كتاب أو سُنَّة، أو إجماع يُبين حكم الله فيها بالفعل أو الترك، كوجوب الصلوات الخمس وصوم رمضان والزكاة والحج

---

(١) أقرَّ النبي ﷺ اجتهاد الصحابة في الرقية بالفاتحة وأخذ الجعل على ذلك، وخطأ اغتسال من به جراحة لمَّا احتلم، وأقرَّ كِلَا الطرفين على اجتهاده في أداء صلاة العصر في غزوة بني قريظة.

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٥٢).

(٣) إعلام الموقعين (١/ ٨٦).

والحدود، أو في السُّنَّة فقط كتحريم الجمع بين المرأة وخالتها أو عمتها، فهذا القسم يحرم الاجتهاد فيه، ولا يجوز التقدم بين يدي الله ورسوله ﷺ؛ بل الواجب الوقوف مع النص وعدم تجاوزه.

الثاني: ما ليس فيها نص ولا إجماع يُبيّن حكمها، لا بالفعل ولا بالترك، وللاجتهاد فيها مساغ، فهذا قد ترك الله بيان حكمه، وأذن للعلماء بالاجتهاد في استنباطه على ضوء ما عَلِمُوه من مقاصد الشرع العامة ودلالات الألفاظ ونحوها.

وقد بيّن ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ الضابط الذي يميّز المسائل الاجتهادية عن غيرها من المسائل وهو: أن تكون تلك المسائل ممّا لم يُنصَّ على حكمها في الكتاب والسُّنَّة، وليس فيها إجماع سابق، وللاجتهاد فيها مساغ لتعارض الأدلة أو خفاء الدلالة فيها[1].

شروط الاجتهاد:

لا بد من توفر جملة من الشروط المعتبرة في المجتهد حتى يصح اجتهاده؛ وإلا كان متكلفًا لأمر لا طاقة له به، فمن تلك الشروط:

١ ـ أن يكون المجتهد مكلفًا، عدلًا في نفسه، مجانبًا للمعاصي القادحة في عدالته، صحيح الذهن، قادرًا على الاستدلال والاستنباط.

٢ ـ أن يتحلى بسلامة الاعتقاد وصحة النية والإخلاص لله رب العالمين.

٣ ـ أن يكون عالمًا بأدلة الأحكام من الكتاب والسُّنَّة، عارفًا بأسباب النزول وأسباب ورود الأحاديث والناسخ والمنسوخ، وما يصح من الأحاديث وما لا يصح.

٤ ـ أن يكون عارفًا بمقاصد التشريع، مدركًا لواقع الناس وأحوالهم، حتى يعطي لكل حادثة حكمها اللائق بها.

٥ ـ أن يكون عارفًا من لغة العرب ـ نحوها وصرفها وبلاغتها وألفاظها ـ ما يمكنه من فهم الخطاب.

٦ ـ أن يكون عالمًا بمواضع الإجماع ومواقع الخلاف.

٧ ـ أن يكون عالمًا بأصول الفقه ودلالات الألفاظ وطرق الاستنباط وقواعد

(١) ينظر: إعلام الموقعين (٣/٢٢٨).

الترجيح، حتى يكون استنباطه صحيحًا[١].

أقسام المجتهدين:

ينقسم المجتهدون بحسب أحوالهم وَسِعَة علم كل منهم واطلاعه إلى ما يلي:

١ ـ **المجتهد المطلق**: وهو من توفرت فيه شروط الاجتهاد الآنفة الذكر.

٢ ـ **المجتهد في مذهب إمام من الأئمة**؛ كالمجتهد في مذهب أبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد أو غيرهم من الأئمة.

٣ ـ **المجتهد في نوع من العلم** وباب من أبوابه دون غيره؛ كفقه المعاملات ونحوها، فهو مجتهد فيها يعرف مسائلها القديمة والحديثة، وما فيه نص منها، وما لا نص فيه.

٤ ـ **المجتهد في مسألة أو مسائل**؛ كمن بحث مسألة في البيوع أو مسائل في النكاح، فله أن يفتي فيها دون غيرها بشرط عدم مخالفة الإجماع.

ولا يدخل في هذه الأنواع المجتهد في تحديد القبلة لمن أراد أن يصلي في مكان لا يستطيع فيه تحديدها، أو من يجتهد في تقدير مشقة الصوم في السفر من عدمها؛ لأن هذا الأمر يتعلق به وحده[٢].

الاجتهاد الجماعي:

إنَّه مع قلَّة العلماء المجتهدين في العصر الحاضر وتنوع مجالات المعرفة، وكثرة الوقائع والنوازل وتنوعها كالاجتماعية والطبية والاقتصادية والجنائية... إلخ، فقد قامت الحاجة إلى اجتماع المجتهدين من علماء الشريعة مع إخوانهم المختصين في تلك المجالات العلمية البحتة؛ ليتم الوقوف على تفاصيل تلك المسائل؛ فيتكوَّن لدى الفقهاء التصور الصحيح عنها، فيصدروا قرارًا جماعيًّا مشتركًا يُبين الحكم الشرعي المناسب، مما يمنحه قوة ودقةً وقربًا من الصواب.

ونظرًا لتلك الحاجة فقد تأسس في العصر الحديث عدد من المجامع الفقهية؛ فمنها على سبيل المثال:

---

(١) ينظر: تسهيل الأصول من علم الأصول (ص٤١).

(٢) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية (١٤/ ٢٥٢).

- هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، تأسست في عام (١٣٩١هـ).
- مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر في القاهرة، تأسس عام (١٩٦١م، ١٣٨١هـ).
- مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، تأسس في عام (١٣٨٤هـ).
- مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي في جدة، تأسس عام (١٩٨١م، ١٤٠١هـ).

ومع هذا فإنَّ الاجتهاد الجماعي لا يقضي على الاجتهاد الفردي للمختصين؛ بل يعتبر الاجتهاد الجماعي إضافة مميزة في مسيرة الاجتهاد في الشريعة الإسلامية.

المراجع الإثرائية:

ـ للمزيد طالع كتاب أصول الفقه للشيخ محمد أبو زهرة.

■ المصطلحات والمفاهيم الواردة في هذه الوحدة:

النازلة هي: المسألة الواقعة الجديدة التي تتطلَّب اجتهادًا لبيان حكمها.

■ النشاط:

ـ اكتب مقالًا تبرز فيه قضية الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، ثم قم بعرض المقال على زملائك بحضور أستاذ المقرر.

■ التقويم:

أولًا: أجب عن الأسئلة التالية:

١ ـ عرِّف الإجماع اصطلاحًا.

٢ ـ تَحدَّث باختصار عن مكانة الإجماع.

٣ ـ أُذكر أركان القياس.

٤ ـ بَيِّن حدود الاجتهاد.

ثانيًا: اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:

١ ـ من معاني الإجماع في اللغة: أ ـ العزم. ب ـ الاتفاق. ج ـ أ + ب.

٢ ـ لا بد للإجماع من مستند شرعي: أ ـ صواب. ب ـ خطأ.

٣ ـ الاجتهاد بذل الوسع في العلم بأحكام الشرع: أ ـ صواب. ب ـ خطأ.

الوحدة الرابعة

المحكمات الشرعية

■ **الأهداف التعليمية:**

تهدف هذه الوحدة إلى:

١ ـ أن يُبين الطالب المقصود من المحكمات الشرعية وأبرز سماتها.

٢ ـ أن يمثل الطالب للمحكمات التي اتفقت عليها شرائع الأنبياء.

٣ ـ أن يستنبط الطالب آثار الالتزام بالمحكمات على المجتمع.

■ **نواتج التعلم:**

عزيزي الطالب: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

١ ـ تُبيّن المقصود من المحكمات الشرعية وأبرز سماتها.

٢ ـ تمثِّل لمحكم مما اتفقت عليه شرائع الأنبياء.

٣ ـ تستنبط أثرًا من آثار الالتزام بالمحكمات على المجتمع.

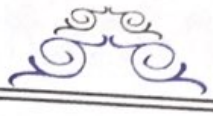

تمهيـــد

عزيزي الطالب:

المحكمات الشرعية هي الأصول الشرعية الواضحة التي لا يتطرق إليها خطأ ولم يلحقها نسخ ولا تخصيص ولا تقييد ولا يقع في إدراكها التباس، والمحكمات الشرعية على أقسام، وقد بين العلماء أشهرها، كما بينوا أثرها على المجتمع، وسنتعرف على ذلك في هذه الوحدة.

المحكمات في الشريعة

تعريف المحكمات:

المحكمات في اللغة: جمع محكم ويطلق على الأمر المتقن، والثابت الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب[١].

وفي الاصطلاح هي: الأصول الشرعية الواضحة التي لا يتطرق إليها خطأ ولم يلحقها نسخ ولا تخصيص ولا تقييد ولا يقع في إدراكها التباس. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى المحكمات: «أي: بينات واضحات الدلالة، لا التباس فيها على أحد من الناس»[٢]. وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمراد بالمحكم ما لا التباس فيه، ولا يحتمل إلا وجهًا واحدًا»[٣].

وقد وصف الله تعالى بعض آيات القرآن الكريم بالمحكمات فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧]، فتبين من الآية ما يلي:

١ ـ أنَّ المحكمات هي البينات الواضحات التي ينكشف بالرد إليها ما خفي المراد به واشتبه معناه بغيره.

٢ ـ أنَّها أمُّ الكتاب، والمقصود بالأم الأصل والعماد الذي يُعتمد عليه في معرفة غيره.

٣ ـ أنَّها حجة في كشف الزيغ والضلال، ولا يقع الناس في الغواية إلا إذا أعرضوا عنها وأهملوها.

---

(١) ينظر: لسان العرب (١٢/ ١٤٠)، والصحاح (٦/ ١٨٠)، والمعجم الوسيط (١/ ١٩٠).
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٦).
(٣) ينظر: تفسير القرطبي (٤/ ١٠).

٤ ـ أنَّها أكثر آيات القرآن، وأمَّا المشتبهات فقليلة، ويمكن معرفتها بردِّها إلى المحكمات، وهكذا يفعل المؤمنون حيث يؤمنون بها ويردُّونها للمحكمات فيتضح المراد منها[١].

وقد مثَّل ابن عباس رضي الله عنهما للمحكمات لـمَّا سُئل عنها فقال: «هي الثلاث آيات التي في سورة الأنعام»[٢]؛ يعني: قول الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥١ ـ ١٥٣].

وهذه الوصايا العشر واضحة الأحكام، ثابتة راسخة، كفيلة بإصلاح البشرية متى التزمت بها، وقد خاطب الله تعالى بها أهل مكة؛ ليُبين لهم ما يريد منهم بإرسال النبي ﷺ إليهم، وأنَّهم إن اتَّبعوه والتزموا ما أُمروا به وتركوا ما نهوا عنه صَلَح لهم دينهم وستصلح لهم أيضًا دنياهم. قال ابن عاشور رحمه الله: «انقسمت الأحكام التي تضمَّنتها هذه الجمل المتعاطفة في الآيات الثلاث المفتتحة بقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى **ثلاثة أقسام**:

الأول: أحكام بها إصلاح الحالة الاجتماعية العامة بين الناس، وهو ما افتتح بقوله: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.

الثاني: ما به حفظ نظام تعامل الناس بعضهم مع بعض، وهو المفتتح بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾.

الثالث: أصل كلي جامع لجميع الهدى، وهو اتِّباع طريق الإسلام والتحرز من الخروج عنه إلى سُبل الضلال، وهو المفتتح بقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا

---

(١) ينظر: المحكمات في الشريعة (ص٥٦).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٣٢٣٨)، وصححه الذهبي.

فَٱتَّبِعُوهُ﴾. وقد ذيَّل كل قسم من هذه الأقسام بالوصاية به بقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ ثلاث مرات»[1].

ومثل هذه الآيات ما أمر الله به عباده المؤمنين في سورة الإسراء فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٣٨].

قال ابن عاشور رحمه الله: «كان ما ذُكر في هذه الآيات خمسة عشر تشريعًا، هي أصول التشريع الراجع إلى نظام المجتمع، وأحسب أنَّ هذه الآيات اشتهرت بين الناس في مكة وتناقلها العرب في الآفاق، فلذلك ألَمَّ الأعشى ببعضها في قصيدته المروية التي أعدَّها لمدح النبي ﷺ حين جاء يريد الإيمان فصدته قريش عن ذلك، وهي القصيدة الدالية التي يقول فيها:

أَجِدَّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ ... نَبِيءِ الْإِلَهِ حِينَ أَوْصَى وَأَشْهَدَا

فَإِيَّاكَ وَالْمَيْتَاتِ لَا تَأْكُلَنَّهَا ... وَلَا تَأْخُذَنْ سَهْمًا حَدِيدًا لِتَفْصَدَا

(١) التحرير والتنوير (٧/ ١١٦).

وَذَا النُّصُبِ الْمَنْصُوبَ لَا تَنْسُكَنَّهُ ... وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدَا
وَذَا الرَّحِمِ الْقُرْبَى فَلَا تَقْطَعَنَّهُ ... لِفَاقَتِهِ وَلَا الْأَسِيرَ الْمُقَيَّدَا
وَلَا تَسْخَرَنْ مِنْ بَائِسٍ ذِي ضِرَارَةٍ ... وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَالَ لِلْمَرْءِ مُخْلِدَا
وَلَا تَقْرَبَنَّ جَارَةً إِنَّ سِرَّهَا ... عَلَيْكَ حَرَامٌ فَانْكِحَنْ أَوْ تَأَبَّدَا»[1].

أبرز المحكمات المتفق عليها بين الشرائع:

لقد اتَّفقت جميع شرائع الأنبياء على الأصول من العقيدة والأحكام والأخلاق في جانبيها: الوجودي والعدمي، مع إمكان اختلاف جزئيات الأحكام فيها، **ومن ذلك:**

١ ـ **الأمر بعبادة الله وحده وترك الشرك به:** فإنَّ جميع الرسل عليهم السلام كانوا يدعون إلى توحيد الله والكفر بكل ما يُعبد من دونه، والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وهو المقصد الأول من مقاصد دعوة الأنبياء، فكل منهم أمر قومه بعبادة الله وترك الإشراك به، كما حكى الله عن عدد منهم قولهم لأقوامهم: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٢٣].

ولا صلاح للبشرية إلا بإصلاح حالها مع ربها أولًا بإفراده تعالى بالعبادة، ونبذ كل ما يُعبد من دونه، والتعلق به عز وجل حبًّا وخوفًا ورجاء. فهذا أصل الإصلاح، قال ابن عاشور رحمه الله: «وابتدأ التشريع بالنهي عن عبادة غير الله؛ لأنَّ ذلك هو أصل الإصلاح؛ لأنَّ إصلاح التفكير مقدم على إصلاح العمل، إذ لا يساق العقل إلى طلب الصالحات إلا إذا كان صالحًا»[2].

٢ ـ **وجوب تقوى الله تعالى في السر والعلن،** قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

٣ ـ **وجوب الصلاة والزكاة في كل شريعة،** مع إمكان اختلاف صفة الصلاة التي شُرع للناس التعبد بها، فقد قال تعالى عن إسماعيل عليه السلام: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم: ٥٥]، وعن عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم: ٣١].

---

(١) التحرير والتنوير (١٥/ ٦٧).

(٢) المصدر السابق (١٥/ ٦٧).

٤ ـ **وجوب الصيام**: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٣].

٥ ـ **وجوب الحج**: قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقد ذكر النبي ﷺ حج موسى ويونس عليهما السلام فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ وهو في طريقه للحج قال: «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هَابِطًا مِنَ الثَّنِيَّةِ، وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ**»، وقال: «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، خِطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ وَهُوَ يُلَبِّي**»[1].

٦ ـ **مشروعية النكاح وتحريم الفاحشة والزنى**: قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ﴾ [الرعد: ٣٨].

٧ ـ **تحريم الربا**: قال تعالى مبيّنًا استحلال اليهود للربا مع أنَّه محرم: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ﴿١٦٠﴾ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٦١﴾﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١].

٨ ـ **وجوب القصاص في الجنايات العمد**: قال تعالى عن التوراة التي أنزلها على موسى عليه السلام: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة: ٤٥].

نماذج من المحكمات المذكورة في القرآن الكريم:

لقد ذكر الله تعالى في الآيات سالفة الذكر من سورتي الأنعام والإسراء عددًا من المحكمات الشرعية التي كانت من أوضح ما يُتلى على مسامع الناس بمكة، وفيما يلي بيانها مع محاولة تصنيفها في مجموعات تندرج تحت أصل كلي واحد، علمًا أنَّها تنقسم إلى نوعين: فضائل واجبات يأمر الله بامتثالها، وقبائح محرمات يأمر

(١) أخرجه مسلم، برقم (١٦٦).

بالكف عنها وتركها، وكل أمر بشيء فهو نهي عن ضده، وكل نهي عن شيء أمر بضده كما هو معلوم:

الأولى: ترك الإشراك بالله تعالى، وقد سبق ذكره في المحكمات التي اتفقت عليها شرائع جميع الأنبياء.

الثانية: وجوب بر الوالدين والقيام بحقهما: قال الله تعالى في الوصايا العشر: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤]، فإنَّ مما يقرره الإسلام أنَّ للوالدين حقًّا عظيمًا على الأولاد سواء كانا مسلمين أو كافرين، فالمصاحبة بالمعروف واجبة، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان: ١٤، ١٥].

الثالثة: وجوب تأدية حقوق القرابة والمساكين وأبناء السبيل: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الإسراء: ٢٦]. وقد جاء هذا الأمر بعد الأمر ببر الوالدين؛ لأنَّ الأقارب أولى بالمعروف من غيرهم، ثم تأتي درجة الأخوّة الإيمانية التي تدفع المسلم لتقديم النفع لإخوانه المسلمين، خاصة إن كانوا محتاجين لفقر كالمساكين، أو بعد عن وطن وأهل كأبناء السبيل[1]. «فأمَّا إيتاء ذي القربى فالمقصد منه مقارب للمقصد من الإحسان للوالدين رعيًا لاتحاد المنبت القريب وشدًا لآصرة العشيرة التي تتكون منها القبيلة. وفي ذلك صلاح عظيم لنظام القبيلة وأمنها وذبها عن حوزتها.

وأما إيتاء المسكين فلمقصد انتظام المجتمع بأن لا يكون من أفراده من هو في بؤس وشقاء، على أن ذلك المسكين لا يعدو أن يكون من القبيلة في الغالب أقعده العجز عن العمل والفقر عن الكفاية.

وأما إيتاء ابن السبيل فلإكمال نظام المجتمع؛ لأنَّ المار به من غير بنيه بحاجة

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٢٧).

عظيمة إلى الإيواء ليلًا ليقيه من عوادي الوحوش واللصوص، وإلى الطعام والدفء أو التظلل وقاية من إضرار الجوع والقر أو الحر»[١].

الرابعة: تحريم التبذير والإسراف: إنَّه بعد ما ذكر أنواعًا مما يجب من النفقات ناسب أن ينهى الناس عن التبذير والإسراف فقال: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧]، وقال في بيان ما ينبغي فعله عند الإنفاق وهو التوسط والاعتدال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء: ٢٩، ٣٠].

والتبذير يشمل نوعين من إنفاق المال: إنفاقه في الحرام والفساد، وإنفاقه في المباح إذا تجاوز الحدَّ المشروع. أمَّا الإنفاق في القربة ووجوه البر والصلاح فلا يدخل في الإسراف. قيل لرجل ينفق كثيرًا في الخير: لا خير في السرف. فقال: لا سرف في الخير[٢].

الخامسة: تحريم قتل الأولاد: قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء: ٣١]، فأهل الجاهلية كانوا يقتلون أولادهم إمَّا لفقرهم وعدم القدرة على الإنفاق عليهم أو خوف حصول الفقر مستقبلًا والعجز عن نفقتهم، فنهى الله تعالى عن قتلهم في الحالين؛ وبيَّن أنَّ رزق الوالد والولد عليه سبحانه. ويلحق بها تحديد النسل خشية عدم القدرة على نفقتهم والقيام بمصالحهم.

السادسة: تحريم الفواحش جميعًا وعلى رأسها الزنى: فالفواحش تعني: المحرمات، ومنها المحرمات الشائعة الظاهرة التي يرتكبها الناس علانية، ومنها الباطنة التي يستخفون بها عن الأعين كالزنى ونحوه، ولهذا نهى عنها على وجه الخصوص فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢]، وقال تعالى في تحريمها جميعًا: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾

---

(١) التحرير والتنوير (١٥/ ٧٧، ٧٨).

(٢) ينظر: المصدر السابق (١٥/ ٧٩).

[الأنعام: ١٥١]، وفي «الصحيحين»، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ، وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»(١).

فكل تلك الأمور محرَّمة يجب الحذر منها، ومجانبة السبل المؤدية إليها. «وعناية الإسلام بتحريم الزنى؛ لأنَّ فيه إضاعة النسب وتعريض النسل للإهمال ـ إن كان الزنى بغير متزوجة ـ وهو خلل عظيم في المجتمع، ولأنَّ فيه إفساد النساء على أزواجهن والأبكار على أوليائهن، ولأن فيه تعريض المرأة إلى الإهمال بإعراض الناس عن تزوجها، وطلاق زوجها إياها، ولما ينشأ عن الغيرة من الهرج والتقاتل»(٢).

السابعة: تحريم قتل النفوس المعصومة: قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ [الإسراء: ٣٣]، ومما حرَّم الله تعالى من الدماء: النفوس المسلمة إلا إذا ارتكبت ما يُبيح الدم كالقاتل عمدًا، والزاني المحصن، والتارك لدينه المفارق للجماعة. ويلحق بها: أهل الذمة، المعاهدون، والمستأمنون.

الثامنة: تحريم أكل مال اليتيم: قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]. ويستثنى من ذلك مخالطتهم بالمعروف، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٤]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠] انْطَلَقَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ يَتِيمٌ فَعَزَلَ طَعَامَهُ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَابَهُ مِنْ شَرَابِهِ، فَجَعَلَ يَفْضُلُ الشَّيْءُ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ فَيُحْبَسُ حَتَّى يَأْكُلَهُ أَوْ يَفْسُدَ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ الله ﷺ فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، فَخَلَطُوا طَعَامَهُمْ بِطَعَامِهِ وَشَرَابَهُمْ بِشَرَابِهِ(٣).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري حديث رقم (٤٦٣٤)، ومسلم حديث رقم (٢٧٦٠).
(٢) التحرير والتنوير (١٥/ ٩٠).
(٣) أخرجه أبو داود، حديث رقم (٢٨٧١)، وحسنه الألباني.

التاسعة: وجوب الوفاء بالعهود: قال تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٤]، والعهد: العقد، ويشمل كل العقود التي يبرمها المسلمون سواء كانت في الصلح في الحروب أو البيوع أو الأشربة أو الإجارات أو غير ذلك[١]. «وهذا التشريع من أصول حرمة الأمة في نظر الأمم والثقة بها للانزواء تحت سلطانها»[٢].

العاشرة والحادية عشرة: وجوب إيفاء الكيل والوزن بالعدل: إنَّ المعاملات التي تقع بين الناس لا تخلوا في كثير من أحيانها من التعامل بمكيل أو موزون من الأطعمة والمجوهرات وغيرها، فكانت النفوس تميل للتطفيف في المكيال والميزان لمصلحة أحد الطرفين المتعاقدين فمنع الله تعالى ذلك وأوجب إيفاء الكيل والوزن بالعدل؛ حتى لا يطغى بعضهم على بعض، أو يأخذ أحد حق الآخر، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾ [الإسراء: ٣٥].

الثانية عشرة: تحريم القول بغير علم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]، «القفو: الاتِّباع، يقال: قفاه يقفوه إذا اتبعه، وهو مشتق من اسم القفا، وهو ما وراء العنق. واستعير هذا الفعل هنا للعمل. والمراد بما ليس لك به علم: الخاطر النفساني الذي لا دليل عليه ولا غلبة ظن به. ويندرج تحت هذا أنواع كثيرة»[٣].

وهو إمَّا أن يكون مما أخفى الله علمه عن الناس ككثير من أمور الغيب، أو ما ليس عليه دليل من الظنون والتوقعات. «وهذا أدب خلقي عظيم، وهو أيضًا إصلاح عقلي جليل يُعلِّم الأمة التفرقة بين مراتب الخواطر العقلية بحيث لا يختلط عندها المعلوم والمظنون والموهوم. ثم هو أيضًا إصلاح اجتماعي جليل يجنب الأمة من الوقوع والإيقاع في الأضرار والمهالك من جراء الاستناد إلى أدلة موهومة»[٤].

الثالثة عشرة: تحريم الكبر والترفع على الناس: قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٤٤).
(٢) التحرير والتنوير (١٥/ ٩٧).
(٣) المصدر السابق (١٥/ ١٠٠).
(٤) المصدر نفسه (١٥/ ١٠١).

﴿ٱلْأَرْضَ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الإسراء: ٣٧]، فالمتكبر ينازع الله تعالى في خصيصة من خصائصه، وقد ثبت في الحديث أنَّ العز إزاره سبحانه والكبرياء رداؤه فمن ينازعه فيهما يعذبه(١).

الرابعة عشرة: وجوب العدل في الأقوال: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وإنَّ العدل واجب في كل ما يصدر عن الإنسان من الأقوال والأفعال، وإنَّما خصَّ الأقوال بالذكر هنا لأنَّها تصدر من كل شخص بخلاف الأفعال؛ فليس كل أحد يكون واليًا أو حاكمًا يقضي بين الناس.

الخامسة عشرة: وجوب اتِّباع الصراط المستقيم والحذر من السبل المضلة: قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]؛ فالصراط المستقيم هو دين الإسلام، فأمر باتباع طريقه الذي طرفه على لسان نبيه محمد ﷺ وشرعه ونهايته الجنة. وتشعبت منه طرق، فمن سلك الجادة نجا، ومن خرج إلى تلك الطرق أفضت به إلى النار، وهذه السبل تعُمُّ اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في الفروع، وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام، فهذه كلها عرضة للزلل، ومظنة لسوء المعتقد(٢).

فهذه جملة من المحكمات الشرعية التي أمر الله بها أو نهى عنها، وهي من باب التمثيل لا الحصر، وفي القرآن كثير مما اتفقت عليه الشرائع السماوية كلها؛ لأنَّ دين الأنبياء واحد في أصوله، فكلهم على الإسلام كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران: ١٩]، وقد وصف الله تعالى الأنبياء بوصف الإسلام فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة: ٤٤].

أمَّا جزئيات أحكام الشرائع فلا يلزم منها الاتفاق؛ لأنَّ الله تعالى يشرع لكل أمَّة ما يناسبها بحسب الظروف والأحوال المحيطة بهم.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٠).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٧/ ١٣٧، ١٣٨).

أثر العناية بالمحكمات على المجتمع:

إنَّ أيَّ مجتمع يحافظ على المحكمات الشرعية وجودًا فيما يطلب إيجاده واجتنابًا وتركًا فيما يجب تركه والحذر منه سوف ينعم بما يلي:

١ ـ **حفظ الدين**: إذ إنَّ سلامة الدين وصحة الاعتقاد أعظم مقاصد الرسالات، وهو الذي ينبني عليه الفلاح في الدنيا والفوز في الآخرة، قال تعالى عن عاقبة المؤمنين: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه: ٧٥، ٧٦].

٢ ـ **حفظ النفوس**: فإنَّ حفظها مهم لسعادة الإنسان في الدنيا، فلا تتم سعادته إلا بأمنه على نفسه من الاعتداء، ولهذا رتَّب الله تعالى الإثم الكبير على من أهلكها والأجر العظيم لمن حافظ عليها وسعى في سلامتها فقال: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة: ٣٢].

٣ ـ **حفظ الأعراض**: إنَّ كفَّ الناس عن الغيبة والقذف والزنى واللواط ونحوها من الأفعال المحرمة والقبيحة كفيل بصيانة الأعراض وسلامتها، وهذا مهم في استقرار المجتمع وتكاثر الفضيلة فيه.

٤ ـ **حفظ العقول**: لقد كرَّم الله تعالى بني آدم بالعقول، وأذن لهم في كل ما يصونها وينميها من العلوم النافعة والتأملات الفكرية والعمليات العقلية المباحة، وذمَّ كل ما فيه إفساد لها أو الحد من الانتفاع بها، كالجهل، وتعاطي الخمور والمسكرات، وتعلُّم العلوم الفاسدة، وتصديق الخرافات. فمتى التزم الناس المأمور وتركوا المحظور انقطع دابر العداوات والشقاق بينهم، إذ العداوة من أبرز آثار التساهل فيها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠ ـ ٩١].

٥ ـ **حفظ الأموال**: إنَّ حفظ أموال الأمة لتقويتها ولتكون لها عدَّة في النوائب العامة أو الخاصة أمر مطلوب شرعًا، لذا لم يترك الله تعالى كسب الأموال وصرفها لهوى الإنسان؛ بل بيَّن أسباب الكسب وأوضح وجوه الصرف الواجب والمستحبة،

كل ذلك لصيانة الأموال وحفظها، قال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «ووجه النهي عن التبذير هو أنَّ المال جُعل عوضًا لاقتناء ما يحتاج إليه المرء في حياته من ضروريات وحاجيات وتحسينات. وكان نظام القصد في إنفاقه ضامنُ كفايته في غالب الأحوال بحيث إذا أنفق في وجهه على ذلك الترتيب بين الضروري والحاجي والتحسيني أمن صاحبه من الخصاصة فيما هو إليه أشد احتياجًا، فَتَجاوُز هذا الحد فيه يسمى تبذيرًا بالنسبة إلى أصحاب الأموال ذات الكفاف، وأما أهل الوَفر والثروة فلأن ذلك الوَفر آت من أبواب اتسعت لأحد فضاقت على آخر لا محالة؛ لأنَّ الأموال محدودة، فذلك الوَفر يجب أن يكون محفوظًا لإقامة أوَد المعوزين وأهل الحاجة، الذين يزداد عددهم بمقدار وَفرة الأموال التي بأيدي أهل الوَفر والجدة، فهو مرصود لإقامة مصالح العائلة والقبيلة وبالتالي مصالح الأمة.

فأحسن ما يبذل فيه وَفر المال هو اكتساب الزلفى عند الله، قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١]، واكتساب المحمدة بين قومه. وقديمًا قال المثل العربي: نعم العون على المروءة الجدة. وقال سعد بن معاذ: اللَّهُمَّ هَبْ لي حمدًا، وهَبْ لي مجدًا، فإنه لا حمد إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال.

والمقصد الشرعي أن تكون أموال الأمة عدة لها وقوة لابتناء أساس مجدها والحفاظ على مكانتها حتى تكون مرهوبة الجانب مرموقة بعين الاعتبار غير محتاجة إلى من قد يستغل حاجتها فيبتز منافعها ويدخلها تحت نير سلطانه»[(١)].

قال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقد اتفقت الأمة؛ بل سائر الملل على أنَّ الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس وهي: الدين والنفس والنسل والمال والعقل»[(٢)]. فمتى حفظت هذه الخمس فقد اكتملت للناس أسباب سعادتهم في الدنيا والآخرة.

٦ ـ **تقوية أواصر العلاقات الاجتماعية**: ويتجلى ذلك بالأمر بحسن المعاشرة والإحسان إلى القرابة والمساكين وأبناء السبيل وتفقد حاجاتهم، «وفي هذا التكوين لأواصر القرابة صلاح عظيم للأمة تظهر آثاره في مواساة بعضهم بعضًا، وفي اتحاد

(١) التحرير والتنوير (١٥/ ٧٩).

(٢) الموافقات (١/ ٣٨).

بعضهم مع بعض، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣]. وزاده الإسلام توثيقًا بما في تضاعيف الشريعة من تأكيد شد أواصر القرابة أكثر مما حاوله كل دين سلف»[1].

٧ ـ **بناء الثقة في الأمة:** بما تتحلى به من الوفاء بالعهود والحكم بالعدل بين الناس.

٨ ـ **حماية المجتمع من آثار الظنون والشكوك** التي لم تتوفر الأدلة على ثبوتها، فَيَسْلم من التقاطع والتناحر والعداوات التي تفكك علاقاته وتنهك لُحْمَته.

(١) التحرير والتنوير (١٤/ ٦٠).

المراجع الإثرائية:

ـ للمزيد طالع كتاب المحكمات في الشريعة للدكتور: عابد السفياني.

■ المصطلحات والمفاهيم الواردة في هذه الوحدة:

المجتمع هو: عدد كبير من الأفراد المستقرّين الذين تجمعهم روابط اجتماعية ومصالح مشتركة ترافقها أنظمة تهدف إلى ضبط سلوكهم، ويكونون تحت رعاية السلطة.

■ النشاط:

ـ ناقشْ مع زملائك أثر بعض المحكمات على المجتمع.

ـ يتم تكوين مجموعات طلابية كل مجموعة تتدارس محكمة من المحكمات ثم يتم عمل مسابقة بين المجموعات في المحكمات بإشراف أستاذ المقرر.

■ التقويم:

أولًا: أجب عن الأسئلة التالية:

١ ـ عرِّف المحكمات الشرعية اصطلاحًا.

٢ ـ تَحدَّث بإيجاز عن أشهر المحكمات في دين الإسلام.

٣ ـ عدِّد خمسًا من المحكمات الشرعية التي اتفقت عليها جميع الشرائع.

ثانيًا: اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:

١ ـ المحكمات في القرآن: **أ** ـ قليلة. **ب** ـ كثيرة. **ج** ـ نادرة.

٢ ـ وجوب الصلاة من المحكمات التي: **أ** ـ اختصت بها أمة الإسلام.
ب ـ اتفقت عليها جميع الشرائع. **ج** ـ فرضت في بعض الشرائع.

٣ ـ وَصَفَ الله تعالى بعض آيات القرآن الكريم بالمحكمات: **أ** ـ صواب.
ب ـ خطأ.

القسم الرابع

الأصول المنهجية عند أهل السُّنَّة والجماعة

الوحدة الأولى: المجموعة الأولى من الأصول المنهجية عند أهل السُّنَّة والجماعة.

الوحدة الثانية: المجموعة الثانية من الأصول المنهجية عند أهل السُّنَّة والجماعة.

الوحدة الثانية: المجموعة الثالثة من الأصول المنهجية عند أهل السُّنَّة والجماعة.

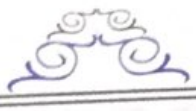

تمهيـــد

تعريف الأصول المنهجية:

الأصول المنهجية: هي المسائل الشرعية الكبرى، التي لا يتطرق لها النسخ ولا تقبل التغيير والتبديل مع تطاول الأزمان وكر السنين.

وإنَّ سبب ثبات هذه الأصول ورسوخها ثبات مصدرها ورسوخه، وهو الوحي، فهو محفوظ إلى قيام الساعة.

والأصول المنهجية عند أهل السُّنَّة والجماعة كثيرة ولكن أبرزها ما يلي:

الأصل الأول: التسليم المطلق للوحي.

الأصل الثاني: العناية بالتوحيد تأسيسًا وتوكيدًا.

الأصل الثالث: توقير الصحابة رضي الله عنهم.

الأصل الرابع: الاجتماع وعدم الافتراق.

الأصل الخامس: الاتباع وعدم الابتداع.

الأصل السادس: العمل بالعلم.

الأصل السابع: التثبت.

الأصل الثامن: التوسط والاعتدال.

الأصل التاسع: العدل والإنصاف.

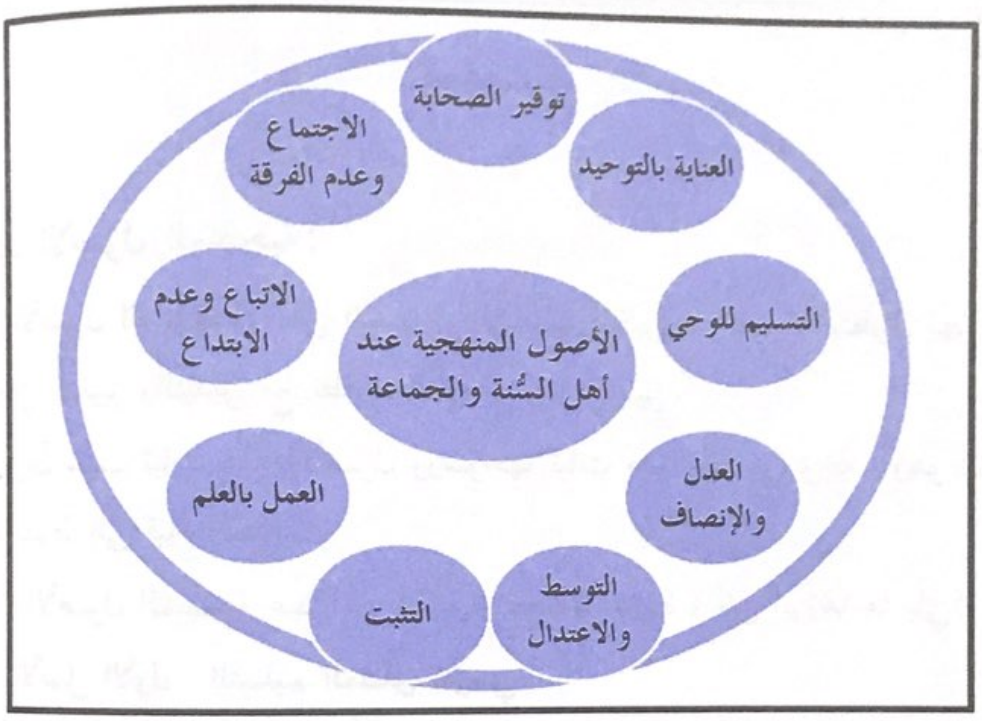

وسيتم بيان هذه الأصول في هذا القسم، وقد قسِّمت إلى ثلاث مجموعات، في كل مجموعة ثلاثة منها.

الوحدة الأولى

المجموعة الأولى من الأصول المنهجية عند أهل السُّنَّة والجماعة

الأصل الأول: التسليم المطلق للوحي.

الأصل الثاني: العناية بالتوحيد تأسيسًا وتوكيدًا.

الأصل الثالث: توقير الصحابة.

■ الأهداف التعليمية:

تهدف هذه الوحدة إلى:

١ ـ أن يُبين الطالب المراد بالتسليم المطلق للوحي.

٢ ـ أن يبدأ الطالب في تعلُّم التوحيد وتعليمه.

٣ ـ أن يُبين الطالب معنى البراءة من الشرك وأهله.

٤ ـ أن يذكر الطالب فضل الصحابة وما يجب لهم.

■ نواتج التعلم:

عزيزي الطالب: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادرًا على:

١ ـ معرفة المراد بالتسليم المطلق للوحي.

٢ ـ الرجوع إلى كتاب الله وسُنَّة ورسوله ﷺ في كل أمر.

٣ ـ تحقيق التوحيد والحرص على سلامته.

٤ ـ البراءة من الشرك وأهله.

٥ ـ الذب عن الصحابة والدفاع عنهم والاقتداء بهم والاهتداء بهديهم.

الأصل الأول

التسليم المطلق للوحي

توطئة:

الله خالق كل شيء، وهو عالم بما خلق، فالخلق خلقه، والأمر أمره، والملك ملكه، وهو المتصرف فيه بما يشاء وكيفما شاء، وهو أعلم بما يصلح عباده في دنياهم وأخراهم، قال سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤]. فلا يُعبد سبحانه إلا بما شرَّعه على ألسنة رسله، وليس لأحد كائنًا مَنْ كان لا مَلك مقرب ولا نبي مرسل أن يُشَرِّع لعباده شيئًا لم يأذن به الله.

التعريفات:

التسليم: الانقياد لأمر الله تعالى ونهية، والرضا بحكمه وترك الاعتراض عليه[(١)].

الوحي في اللغة: الإعلام في سرعة وخفاء، ويكون بالإلهام، أو الإشارة أو الكتابة، ونحوها[(٢)].

وفي الشرع: ما يوحي الله به إلى نبي من الأنبياء فيثبته في قلبه ليبينه للناس ويبلغهم إيَّاه[(٣)]. والمراد به هنا: الوحي المنزل على النبي محمد ﷺ من كتاب وسنَّة.

الأدلة على وجوب التسليم للوحي:

لقد أوجب الله تعالى تعظيم الوحي: كتابًا وسُنَّة، ومن الأدلة على ذلك:

١ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١]، قال الإمام الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) ينظر: الصحاح (٦/ ٢٣٠)، والتعريفات (ص٨٠).

(٢) ينظر: العين (٣/ ٣٢٠)، ولسان العرب (١٥/ ٣٧٩).

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٦٠).

من الله الرسالة، وعلى رسول الله ﷺ البلاغ، وعلينا التسليم»[١]. فهذا منهج أهل السُّنَّة بخلاف أهل الضلال الذين سلكوا مع الوحي مسالك عدة، فتارة يعارضونه وأخرى يُعرضون عنه، وثالثة يبدِّلونه عن مواضعه، ورابعة يحرفونه.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦]، قال ابن كثير رحمه الله: «فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنَّه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هاهنا ولا رأي ولا قول، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، وفي الحديث: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**»[٢]. ولهذا شدد في خلاف ذلك، فقال: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣]»[٣].

نماذج من التسليم للوحي:

لقد نقلت لنا كتب السُّنَّة مواقف للصحابة الكرام رضي الله عنهم في التسليم للوحي والاستجابة لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، حتى لو خالف ذلك أهواءهم، ومن ذلك:

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لَمَّا نزلت على رسول الله ﷺ ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة: ٢٨٤]، اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله، كُلفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نُطيقها، قال رسول الله ﷺ: «**أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ**

(١) أورده البخاري في ترجمة باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ﴾ [المائدة: ٦٧] (٩/ ١٥٤).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنَّة (١/ ١٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢٣).

أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»، فقالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. فلما اقترأها القوم ذلّت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا الله تَعَالى، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قَالَ: «نَعَم»، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قَالَ: «نَعَم». ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. قال: «نَعَم». ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال: «نَعَم»[١].

٢ ـ عن عائشة ﵂ قالت: لَمَّا أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى تحدث الناس بذلك، فارتدَّ ناس مِمّن كانوا آمنوا به وصدقوه، وسعوا بذلك إلى أبي بكر ﵁ فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أسرى به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق. قالوا: أو تصدقه أنَّه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟! قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدِّقه بخبر السماء في غدوة أو روحة[٢]. فهذا الموقف الفريد من أبي بكر ﵁ ينبئ عن منتهى التسليم للوحي.

٣ ـ عن أنس بن مالك ﵁ قال: «مَا كَانَ لَنَا خَمْرٌ غَيْرُ فَضِيخِكُمْ هَذَا الَّذِي تُسَمُّونَهُ الْفَضِيخَ فَإِنِّي لَقَائِمٌ أَسْقِي أَبَا طَلْحَةَ وَفُلَانًا وَفُلَانًا إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: وَهَلْ بَلَغَكُمْ الْخَبَرُ فَقَالُوا: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: حُرِّمَتْ الْخَمْرُ. قَالُوا: أَهْرِقْ هَذِهِ الْقِلَالَ يَا أَنَسُ قَالَ: فَمَا سَأَلُوا عَنْهَا وَلَا رَاجَعُوهَا بَعْدَ خَبَرِ الرَّجُلِ»[٣]. فهذا فعلهم ﵃ ما إن لَامَس أمر الله وأمر رسوله ﷺ أسماعهم إلا كانوا أسرع انقيادًا وعملًا وامتثالًا.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢٥).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٤٤٠٧)، وهو صحيح.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٦١٧).

٤ ـ لم تكن سرعة الامتثال من الرجال فقط[١]؛ بل حتى النساء، إذ لما نزلت آية الحجاب بادرن الامتثال على الفور، قالت عائشة رضي الله عنها: «يَرْحَمُ اللهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلَ، لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا»[٢]. وقالت أم سلمة رضي الله عنها: «لما نَزَلَت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، خَرَجَ نِسَاءُ الأنصَارِ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِنَّ الغِرْبَانِ مِن الأَكْسِيَة»[٣].

حكم الاعتراض على الوحي:

إنَّ الاعتراض على صريح الوحي في أمر من أمور الدين، أو الاعتراض على قضاء الله وقدره، أو على أسمائه وصفاته أو أمره ونهيه أو حدوده ضلالٌ وغواية، وهذا يؤدِّي بصاحبه إلى الجرأة على الوحي بالتحريف تارة، والتأويل تارة أخرى، وهي طريقة كثير ممن يقولون بلا علم؛ بل مجرد الاعتماد على التخمين والظن وإلقاء الكلام من غير برهان، كما قال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [الأنعام: ١١٦]، فتراهم يقدِّمون أقوال الناس على نصوص الوحي، ويُؤَوِّلون الشرع بحسب أهوائهم دون معرفة بصحيح الأدلة وضعيفها، ولا معرفة بطرائق الاستنباط وأوجه الاستدلال؛ فيحرفون الحقَّ ويبدلون الشرع.

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن هؤلاء: «أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلتت منهم أن يعوها، واستحيوا حين سُئلوا أن يقولوا لا نعلم، فعارضوا السنن برأيهم، فإيَّاكم وإيَّاهم»[٤].

فالمؤمن لا يقابل أمر الله ورسوله بكيف؟ ولماذا؟ ولِـمَ؟ بل يرضى ويُسلِّم

---

(١) ينظر للاستزادة قصة بعث النبي ﷺ لحذيفة ليلة الخندق في صحيح مسلم برقم (١٧٨٨)، واستجابة أهل قباء لتحويل القبلة وهم في الصلاة عند البخاري برقم (٤٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٥٨).

(٣) أخرجه أبو داود برقم (٤١٠١)، وصححه الألباني.

(٤) المقصود: الرأي المذموم، وهو الرأي المخالف للنص، أو الكلام في الدين بالخرص والظن مع التفريط والتقصير في معرفة النصوص وفهمها واستنباط الأحكام منها، أو المتضمن تعطيل أسماء الرب وصفاته وأفعاله بالمقاييس الباطلة، أو الرأي الذي تُحرَّف به السنن وتُظهر البدع، أو القول في أحكام شرائع الدين بالاستحسان والظنون. ينظر: إعلام الموقعين (١/ ٦٧ ـ ٦٩).

ويذعن لحكم ربه، «ولا يثبت إسلام من لم يُسلِّم لنصوص الوحيين، وينقاد إليها، ولا يعترض عليها ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه»[(١)]. فمتبع الوحي «يتبع قولًا يصدق بعضه بعضًا، ويشهد بعضه لبعض، لا اختلاف فيه ولا اضطراب، متصلًا برب العالمين، قوله ووحيه الذي نزَّله على رسوله، فمصدره منه سبحانه ومظهره على لسان رسوله، فعليه سبحانه البيان وعلى رسوله البلاغ وعلينا التسليم، وقد فعل سبحانه ما عليه وفعل رسوله ما عليه فماذا نشأ بعد ذلك إلا أن نأتي بما علينا، وبالله التوفيق»[(٢)].

قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ، والانقياد لأمره، وتلقِّي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يعارضه بخيال باطل يسميه معقولًا، أو يُحمِّله شبهة أو شكًا، أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما وحَّد المُرسِل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل. فهما توحيدان، لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسل، وتوحيد متابعة الرسول، فلا يحاكم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره، ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظِّمه «...»؛ بل إذا بلغه الحديث الصحيح يُعدُّ نفسه كأنَّه سمعه من رسول الله ﷺ، فهل يسوغ أن يؤخِّر قبوله والعمل به حتى يعرضه على رأي فلان وكلامه ومذهبه؟! بل كان الفرض المبادرة إلى امتثاله من غير التفات إلى سواه»[(٣)].

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

أُسلِّم إن أراد اللَّه أمرًا ... فأترك ما أريد لما يريد

وما لإرادتي وجهٌ إذا ما ... أراد اللَّه لي ما لا أريد

ومن دلائل التسليم للوحي:

١ - التحاكم لكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، والعمل بهما.

٢ - تقديم الوحي على قول كل أحد كائنًا من كان.

---

(١) انظر: شرح الطحاوية (ص١٦٨).

(٢) الصواعق المرسلة (٤/ ١٤٣١).

(٣) شرح الطحاوية (ص١٦٦ - ١٦٧).

٣ ـ الفزع إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ والرجوع إليهما في كل أمر أو قضية أو نازلة.

٤ ـ الرضا التام والتسليم المطلق لحكم الله وحكم رسوله ﷺ.

٥ ـ عدم معارضة قول الله وقول رسوله ﷺ أو تحريفهما وتأويلهما.

الأصل الثاني

العناية بالتوحيد تأسيسًا وتوكيدًا

تعريف التوحيد:

(وحَّد): الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد. ووحَّده: جعله واحدًا، والله الواحد الأحد: ذو الوحدانية والتوحد[١].

ومعنى التوحيد في الشرع: اعتقاد أنَّ الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في إلٰهيته وعبادته لا ند له[٢].

أهمية التوحيد:

بعث الله ﷻ الرسل لدعوة الناس لتوحيده وإفراده بالعبادة ونبذ الشرك، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]. فأعظم ما أمر الله به التوحيد وأعظم ما نهى عنه الشرك؛ لذا كانت دعوة جميع الرسل لأقوامهم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥﴾ [الأعراف: ٦٥].

التوحيد أول الواجبات:

توحيد الله تعالى أوَّل واجب على المكلف، وأول ما يبتدأ به في الدعوة إلى الله قبل الدعوة إلى الأحكام، فعن ابن عباس ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «**إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ**

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (٦/ ٩٠)، وتهذيب اللغة (٥/ ١٢٥).

(٢) ينظر: تيسير العزيز الحميد (ص١٧).

أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»[١].

قال العلامة حافظ الحكمي في منظومته:

أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الْعَبِيدِ ... مَعْرِفَةُ الرَّحْمَنِ بِالتَّوْحِيدِ[٢]

شعار التوحيد:

شعار التوحيد كلمة: لا إله إلا الله، فيجب على العبد معرفة معناها وأركانها وشروطها والعمل بها[٣]، قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩]. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة قامت بها الأرض والسموات، وخُلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله تعالى رسله وأنزل كتبه وشرع شرائعه، ولأجلها نُصبت الموازين، ووُضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار والأبرار والفجار، فهي منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب، وهي الحق الذي خلقت له الخليقة، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نصبت القبلة، وعليها أسست الملة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وهي حق الله على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وعنها يُسأل الأولون والآخرون، فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟»[٤].

حقيقة التوحيد:

حقيقة التوحيد: التجرد الخالص لله محبة وتعظيمًا وخضوعًا، قال ابن القيم: «فنذكر فيه - أي: الصراط المستقيم - قولًا وجيزًا؛ فإن الناس قد تنوعت عباراتهم فيه وترجمتهم عنه بحسب صفاته ومتعلقاته، وحقيقته شيء واحد وهو طريق الله الذي

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٣٤٧)، ومسلم برقم (١٩).
(٢) ينظر: معارج القبول (١/ ٢٩).
(٣) ينظر: المصدر السابق (٢١/ ٣٢).
(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٣٦).

نصه لعباده على ألسن رسله، وجعله موصلًا لعباده إليه، ولا طريق لهم إليه سواه؛ بل الطرق كلها مسدودة إلا هذا، وهو إفراده بالعبودية وإفراد رسوله بالطاعة؛ فلا يشرك به أحدًا في عبوديته ولا يشرك برسوله أحدًا في طاعته، فيجرد التوحيد ويجرد متابعة الرسول»[١].

دلائل العناية بالتوحيد:

١ ـ تَعَلُّم مسائل العقيدة؛ ليتحقق للإنسان سلامة عقيدته وصحة إيمانه وتوحيده.

٢ ـ تعليم العقيدة الصحيحة للناس.

٣ ـ الحذر من الأقوال والأفعال المستحدثة في جانب العقيدة إلا بعد التأكد من سلامتها من المخالفة العقدية.

٤ ـ عدم الاطلاع على عقائد وثقافات الأمم الأخرى إلا لمن رسخت معرفته بعقيدة الإسلام؛ ليأْمَن من التأثر بها ويَسْلم من الشبهات التي يثيرونها.

٥ ـ الحذر من المجالس والبرامج والمقاطع التي تشكك في العقيدة وتنال من الدين وتستهزئ بالشعائر، وعدم الخوض في شيء منها، ووجوب مفارقتها؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨]، وقوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: ١٤٠].

٦ ـ معرفة نواقض الإسلام الاعتقادية والعملية التي ذكرها العلماء، والحذر من الوقوع فيها، والتحذير منها أيضًا.

٧ ـ الدعاء الدائم بسلامة الدين وصحة المعتقد والثبات على التوحيد إلى الممات اقتداء بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥]، ليكون العبد من أهل السلامة في الدنيا

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٤٠).

والآخـــــرة: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾﴾ [الزمر: ١٧].

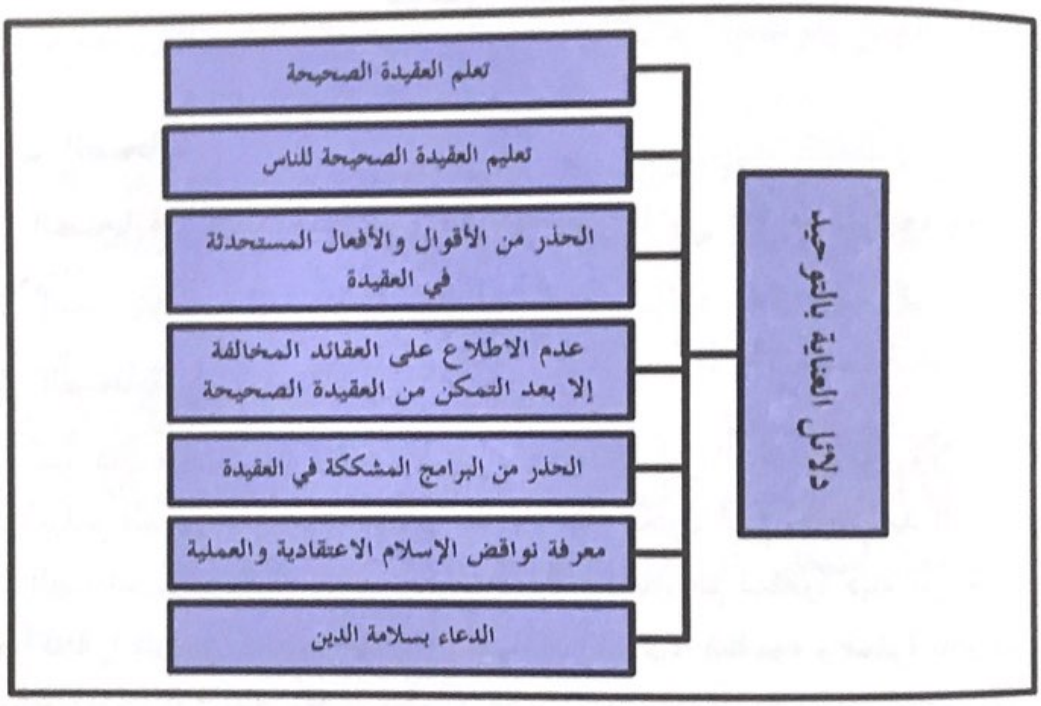

الأصل الثالث

توقير الصحابة

تعريف الصحابة:

الصحابة: جمع صحابي، هو من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات على الإسلام[١].

فضل الصحابة رضي الله عنهم ومنزلتهم:

لَمَا كان محمد ﷺ خاتم النبيين، ومرسلًا إلى الناس كافة، ولا نبي بعده، وجب تبليغ الدعوة بعد موته للناس كافة؛ لئلا يكون لهم حجة بعد الرسول ﷺ، فكان الصحابة رضي الله عنهم وزراء نبيه، اصطفاهم الله واختارهم ليبلغوا دينه من بعده للناس كافة، فتلقوا الوحي والدين منه ﷺ غضًا كما أنزل، فعلموه وعملوا به وبلغوه من غير تحريف ولا تبديل ولا زيادة ولا نقص، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إنَّ الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رَأَى المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيئ»[٢]. وقال قتادة بن دعامة السدوسي: «أحق من صدَّقتم أصحاب رسول الله ﷺ الذين اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه»[٣].

ومما ورد في فضلهم رضي الله عنهم ما يلي:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ

---

(١) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر (ص١٤٠).
(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم (٣٦٠٠).
(٣) المصدر السابق برقم (١٢٣٧٥).

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]. فقد أثنى الله عليهم ورضي عنهم لسابقتهم في الإسلام، وحملهم راية التوحيد، والدفاع عنها، وبذل المهج في سبيل إعلائها.

٢ ـ عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: «قال النبي ﷺ: **«خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»**، قال عمران: لا أدري أذكر النبي ﷺ بعده قرنين أو ثلاثة؟»[(١)].

٣ ـ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء. قال: فجلسنا، فخرج علينا فقال: **ما زلتم هاهنا؟** قلنا: يا رسول الله، صلينا معك المغرب، ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشاء. قال: **أحسنتم، أو أصبتم**. قال: فرفع رأسه إلى السماء ـ وكان كثيرًا مما يرفع رأسه إلى السماء ـ فقال: **«النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»**[(٢)].

فهذان الحديثان قد تضمنا فضيلة الصحابة رضي الله عنهم على وجه العموم، كما اشتملا على بيان منزلتهم ومكانتهم العالية، وأنَّهم خير الأمة، وهم بمنزلة النجوم من السماء يُهتدى بهم، ويُتفقه من علمهم، ويُستنار بسيَرهم.

مناقب الصحابة رضي الله عنهم:

اتصف الصحابة الكرام رضي الله عنهم بصفات ميزتهم عن سائر أمة محمد ﷺ، وأورثتهم مناقب يذكرون بها، **ومنها:**

١ ـ **كثرة عبادتهم وحرصهم على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وموالاتهم لأهل الإيمان ورحمتهم لهم، وشدتهم على الأعداء**، قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٦٥١).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥١٣).

فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩]. فذكر الله ﷻ طرفًا من صفاتهم وعبادتهم وحرصهم على الطاعة والمسابقة إلى القربات، بالإضافة إلى لينهم في أيدي إخوانهم ورحمتهم بهم، رغم شدتهم على الأعداء، فهم رهبان بالليل فرسان بالنهار؛ بل إنَّ هذه أيضًا هي أوصافهم في التوراة والإنجيل من قبل.

٢ ـ **أنَّ الله تعالى أعلى مكانتهم وشرَّف مقامهم برضاه عنهم، وإنزال السكينة عليهم حين بايعوا في بيعة الرضوان على الجهاد والتضحية فقال:** ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨].

٣ ـ **كمال إيمانهم، وصدقهم، وهجرتهم، وجهادهم، وإنفاقهم في سبيله، وإيثارهم إخوانهم على أنفسهم، وسلامة صدورهم للمؤمنين،** قال تعالى عنهم: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٨، ٩].

فلهم ﷺ المنزلة العليا والشرف الأسمى فقد «قاموا بمعالم الدين، وناصحوا الاجتهاد للمسلمين حتى تهذبت طرقه، وقويت أسبابه وظهرت آلاء الله، واستقر دينه ووضحت أعلامه، وأذل بهم الشرك، وأزال رؤوسه ومحا دعائمه، وصارت كلمة الله العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزكية، والأرواح الطاهرة العالية، فقد كانوا في الحياة لله أولياء، وكانوا بعد الموت أحياء بذكرهم، وكانوا لعباد الله نصحاء، رحلوا إلى الآخرة قبل أن يصلوا إليها، وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها»[(١)].

تفاضل الصحابة فيما بينهم:

ليس الصحابة ﷺ على درجة واحدة من الفضل، والتفاضل بينهم يكون **بأمرين:**

---

(١) ينظر: الشيعة وأهل البيت (ص٤١).

الأول: تفضيل جمع على جمع، فهم أفضل ممن جاء بعدهم، ثم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار أفضل من اللاحقين، فمن آمن وهاجر وأنفق وجاهد من قبل فتح مكة أفضل ممن آمن وأنفق وقاتل بعد الفتح، وأهل بدر أفضل من غيرهم، ومن حضر الحديبية وبايع تحت الشجرة أفضل ممن لم يحضر، وهكذا.

الثاني: تفضيل أفراد على أفراد، فالمبشرون بالجنة أفضل من غيرهم، والأربعة الخلفاء أفضل المبشرين بالجنة، وترتيب الأربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة، فأفضلهم: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي بن أبي طالب ﷺ.

عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الصحابة:

قال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الحق يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بالجميل، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»[1]. وقال الإمام أبو زرعة رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنَّه زنديق؛ لأنَّ الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسُّنَّة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة»[2].

ومن دلائل توقير الصحابة ﷺ:

١ ـ قبول روايتهم للأحاديث النبوية.

٢ ـ اعتقاد عدالتهم وصدقهم وأمانتهم في تبليغ الدين.

٣ ـ قراءة سيرهم ومعرفة أخبارهم.

٤ ـ الاهتداء بأقوالهم، والاقتداء بأفعالهم.

٥ ـ اعتماد فهمهم للدين؛ لما خصهم الله به من المزايا والفضائل التي لم تكن لغيرهم.

٦ ـ الذبُّ والدفاع عنهم، والردُّ على من يقدح فيهم ويحط من منزلتهم.

---

(١) متن الطحاوية (ص٨١).

(٢) العواصم من القواصم (ص٣٤).

٧ ـ الإمساك عمَّا شجر بينهم من الخلاف، فكلهم مجتهدون، فمنهم المصيب ومنهم المخطئ، وهم دائرون بين الأجر والأجرين.

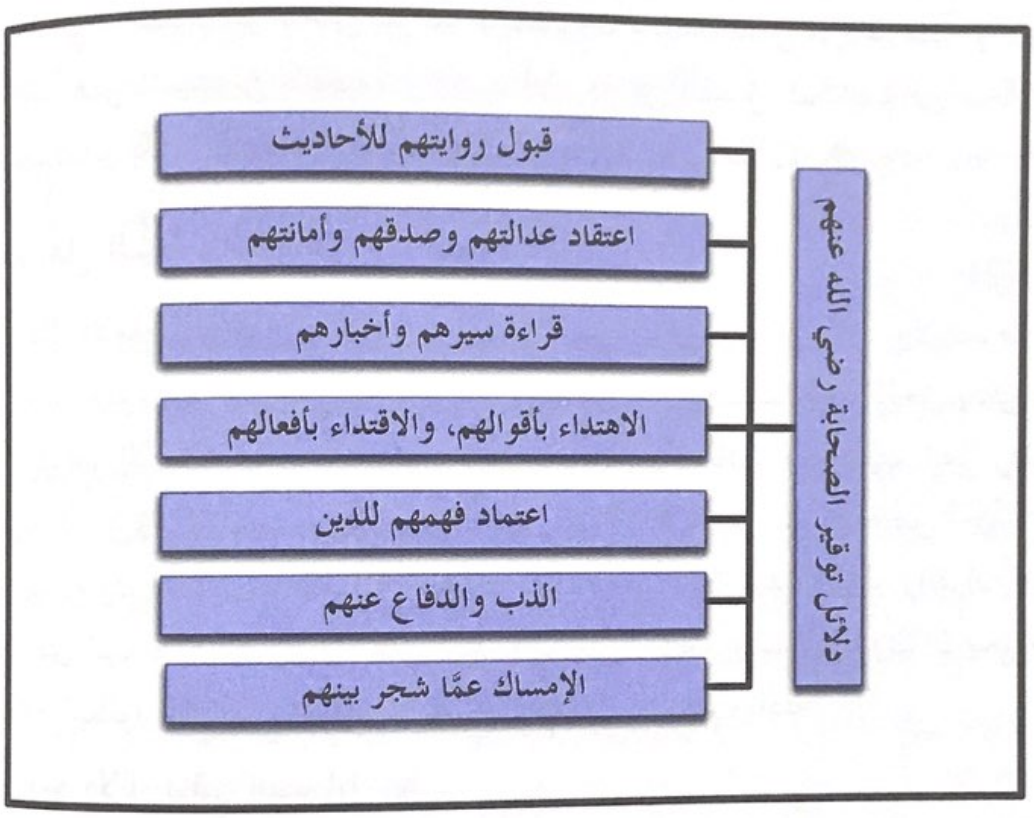

المراجع الإثرائية:

ـ فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل.

■ المصطلحات والمفاهيم الواردة في هذه الوحدة:

الأصول المنهجية: هي المسائل الشرعية الكبرى، التي لا يتطرق لها النسخ ولا تقبل التغيير والتبديل مع تطاول الأزمان ومَرِّ السِّنين.

■ النشاط:

ـ اجمع بمشاركة زملائك بعض صفات الصحابة ومناقبهم من أحد كتب تراجم الصحابة وحاول أن تعود نفسك مع زملائك على تلك الصفات الطيبة التي تخلَّقوا بها.

■ التقويم:

أولًا: أجب عن الأسئلة التالية:

١ ـ بَيِّن بالأمثلة كيف كان انقياد الصحابة للوحي.

٢ ـ بَيِّن باختصار أهمية التوحيد.

٣ ـ عدِّد ثلاثًا من دلائل التسليم للوحي.

٤ ـ يبيِّن معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في الصحابة رضي الله عنهم.

ثانيًا: اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:

١ ـ الاعتراض على الوحي طريق: **أ** ـ الضلال. **ب** ـ التنازع. **ج** ـ التنابز.

٢ ـ «أصحاب الرأي أعداء السنن» أُثر هذا القول عن: **أ** ـ عمر بن الخطاب. **ب** ـ عثمان بن عفان. **ج** ـ علي بن أبي طالب.

٣ ـ من دلائل توقير الصحابة اعتقاد عدالتهم وصدقهم وأمانتهم: **أ** ـ صواب. **ب** ـ خطأ.

الوحدة الثانية

المجموعة الثانية من الأصول المنهجية عند أهل السُّنَّة والجماعة

الأصل الرابع: **الاجتماع وعدم الافتراق.**

الأصل الخامس: **الاتباع وعدم الابتداع.**

الأصل السادس: **العمل بالعلم.**

■ الأهداف التعليمية:

تهدف هذه الوحدة إلى:

١ ـ أن يُبين الطالب أهمية الاجتماع وعدم الافتراق.

٢ ـ أن يُدلل الطالب على خطر الابتداع.

٣ ـ أن يَذْكر الطالب قيمة العمل بالعلم.

■ نواتج التعلم:

عزيزي الطالب: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادرًا على:

١ ـ معرفة أهمية لزوم جماعة المسلمين، والسمع والطاعة للإمام في غير معصية الله.

٢ ـ اجتناب البدع القولية والفعلية، والبعد عن أصحابها ومجالسهم.

٣ ـ بذل الجهد في متابعة الرسول ﷺ في جميع أقواله وأفعاله وأحواله.

٤ ـ العمل بالعلم الشرعي من عقيدة وأحكام وأخلاق.

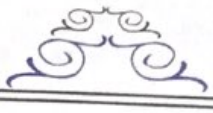

تمهيـــد

في هذه الوحدة استكمال لما سبق الحديث عنه في الوحدة السابقة من الأصول المنهجية لأهل السُّنَّة والجماعة، وسنذكر فيها ثلاثة أصول، هي: الاجتماع وعدم الافتراق، والاتباع وعدم الابتداع، والعمل بالعلم.

الأصل الرابع

الاجتماع وعدم الافتراق

التعريفات:

الاجتماع: الاتفاق، فيقال: أجمعوا على الأمر: اتفقوا عليه[١]، والمقصود: اتِّفاق الكلمة بين المسلمين.

الافتراق: ضد الاجتماع[٢]، والمقصود: اختلاف المسلمين وافتراق كلمتهم.

حكم الاجتماع، والأدلة عليه:

إنَّ الاعتصام بالجماعة ونبذ الفرقة والاختلاف من المسائل القطعية المجمع عليها عند الأئمة[٣]. ومما يدل على ذلك ما يلي:

١ ـ أمر الله تعالى بالاعتصام بالوحي الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ، فقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]. قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «قيل: حبل الله هو دين الإسلام. وقيل: القرآن. وقيل: عهده. وقيل: طاعته وأمره. وقيل: جماعة المسلمين، وكل هذا حق»[٤].

٢ ـ أمره سبحانه بإقامة الدين، ونهيه عن الافتراق. قول الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

٣ ـ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا**

---

(١) ينظر: المصباح المنير (١/ ١٠٩).
(٢) ينظر: القاموس الفقهي (٢٨٤).
(٣) ينظر: الكليات (ص١٢٢ وما بعدها).
(٤) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٠).

بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»[(١)]، قال قتادة رحمه الله: «إنَّ الله ﷻ قد كره لكم الفرقة، وقدم إليكم فيها، وحذركموها ونهاكم عنها، ورضي لكم السمع والطاعة والألفة والجماعة، فارضوا لأنفسكم ما رضى الله لكم إن استطعتم، ولا قوة إلا بالله»[(٢)].

٤ ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطًّا، ثم قال: «هَذَا سَبِيلُ اللهِ»، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣][(٣)].

ضابط الاجتماع:

كان النبي ﷺ يحذر أصحابه رضي الله عنهم من الاختلاف والافتراق في الدِّين؛ لأنَّه إنَّما جاء ليجمع كلمتهم على الحق الذي ارتضاه لهم ربهم لا أن يفرقهم، فليس المقصود الاجتماع على أي حال وتحت أي راية؛ بل المقصود أن يكون اجتماعهم على الحق من الكتاب والسُّنَّة. وهذا ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

أسباب الاجتماع:

إنَّ للاجتماع أسبابًا من أهمها أمران:

الأول: إقامة الدين كما شرعه الله تعالى، دون تحريف له ولا تبديل فيه، وهذا مضمون قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

الثاني: إزالة أسباب الفِرقة بالإصلاح بين المؤمنين، فقد كان النبي ﷺ يسعى بالإصلاح بين أصحابه ويقطع دابر النزاع والتباغض؛ لتقوم الأخوّة الإيمانية وتبقى

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧١٥).
(٢) تفسير الطبري (٧/ ٧٤).
(٣) أخرجه أحمد في المسند برقم (٤١٤٢)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (١٦٦).

وحدة الأمة واجتماعها على الحق عملًا بقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ١٠].

تنبيه:

إنَّ الاختلاف المنهي عنه هو الاختلاف المفضي للعداوة والتقاطع بين المؤمنين، قال عبد الله بن مسعود ﷺ: سمعت رجلًا قرأ آية سمعت من النبي ﷺ خلافها، فأخذت بيده، فأتيت به رسول الله ﷺ فقال: «**كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ**»، قال شعبة: أظنه قال: «**لَا تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا**»[(١)]. قال الأمير الصنعاني رحمه الله: «فهذا الخلاف الذي نهى عنه وحذَّر منه الهلاك هو: التعادي. فأمَّا الاختلاف بغير تعاد فقد أقرَّهم عليه، ألَا تراه قال لابن مسعود: «**كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ**» حين أخبره باختلافهما في القراءة، ثم حذرهم من الاختلاف بعد الحكم بإحسانهما في ذلك الاختلاف، فالاختلاف المحذر منه غير الاختلاف المحسن به منهما، فالمحذر منه التباغض والتعادي والتكاذب المؤدي إلى فساد ذات البَيْن وضعف الإسلام وظهور أعدائه على أهله. والمحسن هو عمل كل أحد بما علم مع عدم المعاداة لمخالفه والطعن عليه وعلى ذلك درج السلف الصالح»[(٢)].

وعن عبد الرحمٰن بن يزيد قال: صلى عثمان ﷺ بمنى الصلاة أربعًا، فقال عبد الله بن مسعود ﷺ: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ رَكْعَتَيْنِ، وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ رَكْعَتَيْنِ، وَمَعَ عُمَرَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ تَفَرَّقَتْ بِكُمُ الطُّرُقُ، فَلَوَدِدْتُ أَنَّ لِي مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ رَكْعَتَيْنِ مُتَقَبَّلَتَيْنِ». قال: الأعمش، فحدثني معاوية بن قرة، عن أشياخه، **أَنَّ عَبْدَ اللهِ صَلَّى أَرْبَعًا، فَقِيلَ لَهُ: عِبْتَ عَلَى عُثْمَانَ ثُمَّ صَلَّيْتَ أَرْبَعًا؟ قَالَ: «الْخِلَافُ شَرٌّ»**[(٣)].

دلائل الاجتماع وعدم الافتراق:

١ - لزوم جماعة المسلمين وعدم ومفارقتهم، فعن زيد بن ثابت ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ صَدْرُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لله، وَمُنَاصَحَةُ**

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٤١٠).
(٢) إيثار الحق على الخلق (ص٣٧٦).
(٣) أخرجه أبو داود برقم (١٩٦٠)، وصححه الألباني.

أُولِي الْأَمْرِ، وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»[١].

٢ ـ الرجوع إلى العلماء الربانيين[٢] حال الفتن، والصدور عن رأيهم، وقبول جوابهم، والثقة بهم، والالتفاف حولهم.

٣ ـ السعي في الإصلاح بين الناس.

٤ ـ الصبر على المظالم العامة التي قد تقع من بعض المسؤولين، مع النصيحة لهم، وعدم الخروج عليهم؛ لما في ذلك من المفاسد في الدين والدنيا، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ؛ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[٣].

٥ ـ إنكار المنكرات بالحكمة والأسلوب الحسن، دون إقرار الناس عليها، أو الرضا بها، فعن أمِّ سلمة رضي الله عنها: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ» قَالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لَا، مَا صَلَّوْا»[٤]. ولقوله ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[٥].

٦ ـ اعتزال الفرق كلها عند الفتن، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهليةٍ وشَرٍّ فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نَعَمْ». قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ». قلت: وما دخنه؟ قال: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا». قلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟ فقال: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا» قلت: فما تأمرني إنَّ أدركني ذلك؟ قال: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ».

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢١٥٩٠)، وصحح إسناده المحقق الأرناؤوط.

(٢) الرباني: العالم العامل، المعلم للعلم غيره، وهو منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون للدلالة على كمال الصفة، وهو الشديد التمسك بدين الله ـ تعالى ـ وطاعته. ينظر: لوامع الأنوار البهية (١/ ٦٢).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٧٠٥٤)، ومسلم برقم (١٨٤٩).

(٤) أخرجه مسلم برقم (١٨٥٤).

(٥) المصدر نفسه برقم (٥٥).

قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»[١].

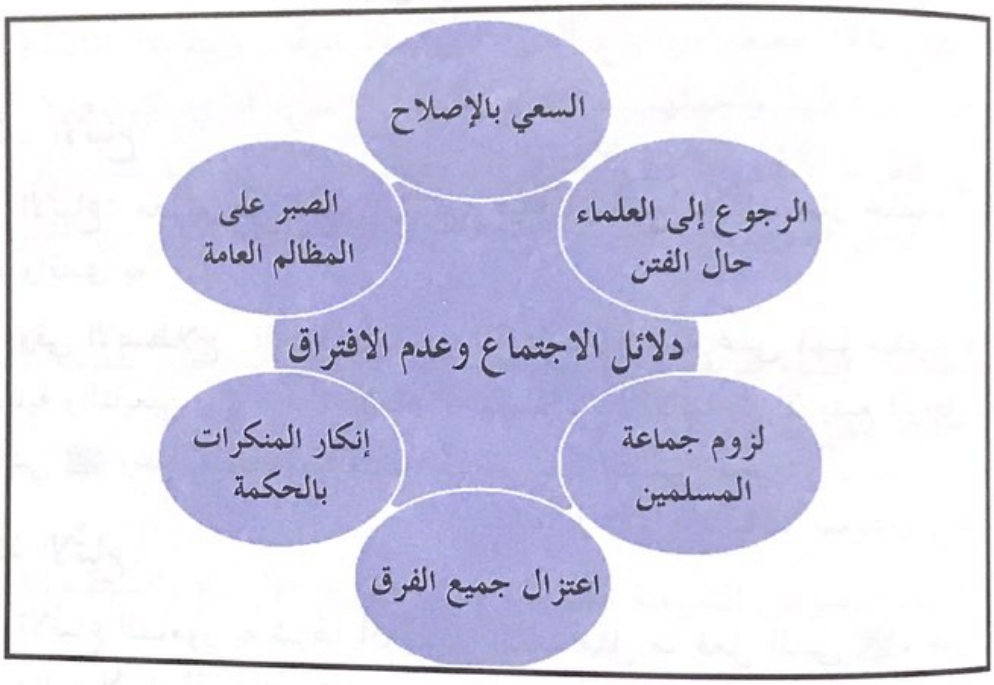

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٠٨٤)، ومسلم برقم (١٨٤٧).

الأصل الخامس

الاتباع وعدم الابتداع

تعريف الاتِّباع:

الاتِّباع: مصدر من الفعل: اتَّبع، فيقال: اتَّبع فلانًا: سار خلفه، أو حذى حذوه واقتدى به[١].

وفي الاصطلاح: العمل بما في الكتاب والسُّنَّة على فهم سلف الأمَّة من الصحابة والتابعين ﷺ. قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «الاتِّباع: أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه وتابعيهم، ثم هو بعد التابعين مخير»[٢].

حقيقة الاتِّباع:

الاتِّباع المأمور به شرعًا أن يفعل العبد مثل ما فعل النبي ﷺ، على الوجه الذي فعل، لأجل أنَّه فعل. قال ابن تيمية: «المتابعة: أن يفعل مثل ما فعل، على الوجه الذي فعل، فإذا فعل فعلًا على وجه العبادة شرع لنا أن نفعله على وجه العبادة، وإذا قصد تخصيص مكان أو زمان بالعبادة خصصناه بذلك؛ كما كان يقصد أن يطوف حول الكعبة، وأن يستلم الحجر الأسود، وأن يصلي خلف المقام، وكان يتحرى الصلاة عند أسطوانة مسجد المدينة، وقصد الصعود على الصفا والمروة والدعاء والذكر هناك، وكذلك عرفة ومزدلفة وغيرهما. وأمَّا ما فعله بحكم الاتفاق ولم يقصده ـ مثل أن ينزل بمكان ويصلي فيه لكونه نزله لا قصدًا لتخصيصه به بالصلاة والنزول فيه ـ فإذا قصدنا تخصيص ذلك المكان بالصلاة فيه أو النزول لم نكن متبعين؛ بل هذا من البدع التي كان ينهى عنها عمر بن الخطاب. ثبت بالإسناد الصحيح من حديث شعبة عن سليمان التيمي عن المعروف بن سويد قال: كان

---

(١) ينظر: المصباح المنير (١/ ٧٢)، والقاموس الفقهي (١/ ٤٨).

(٢) مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود (ص٢٧٥).

عمر بن الخطاب في سفر فصلَّى الغداة، ثم أتى على مكان فجعل الناسُ يأتونه فيقولون: صلَّى فيه النبي ﷺ. فقال عمر: «إنَّما هلك أهل الكتاب أنَّهم اتَّبعوا آثار أنبيائهم فاتخذوها كنائس وبِيعًا، فمن عرضت له الصلاة فليصلِّ وإلا فَلْيُمضِ»[(١)].

تعريف الابتداع:

الابتداع لغة: مصدر من بدع الشيء، يبدعه، بدعًا. وابتدعه: أنشأه وبدأه. وبدع البئر: استنبطها وأحدثها. والبديع والبدع: الشيء الذي يكون أولًا. وفي التنزيل: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]؛ أي: ما كنت أول من أُرسل، قد أُرسل قبلي رسل كثير. والبدعة: الحدث، وما ابتدع من الدين بعد الإكمال[(٢)].

اصطلاحًا: إنشاء طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية[(٣)].

الأدلة على وجوب الاتِّباع وترك الابتداع:

تظافرت النصوص الشرعية الموجبة للاتباع وترك الابتداع والتكلف الذي لم يأذن الله به:

١ ـ قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [الشورى: ٢١]، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: الله أوجب على جميع الخلق أن يؤمنوا بجميع كتبه ورسله، ومحمد ﷺ خاتم الرسل، فعلى جميع الخلق اتِّباعه واتِّباع ما شرعه من الدين، وهو: الشرع الذي يجب على جميع الخلق اتباعه، وليس لأحد الخروج عنه، وهو الشرع الذي يقاتل عليه المجاهدون، وهو الكتاب والسُّنَّة[(٤)].

٢ ـ قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٢٨٠، ٢٨١).
(٢) ينظر: لسان العرب (٨/ ٦).
(٣) ينظر: الاعتصام (١/ ٤٧).
(٤) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٣٦٥)، بتصرف يسير.

[النساء: ٥٩]، و«اتفق أهل الاسلام على أنَّ المراد بالردِّ إلى الله ورسوله: الردُّ إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله، ولو لم يكونا وافيين ببيان مهمات الدين ما أمرهم الله بالرجوع اليهما عند الاختلاف»[(١)].

٣ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»[(٢)]. «وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه ﷺ، فإنَّه صريح في ردِّ كل البدع والمخترعات»[(٣)].

أقسام البدع:

تنقسم البدع إلى قسمين:

الأول: البدع الاعتقادية: وهو ما يحدثه الناس مما يتعلق بالاعتقاد، كمقالات الفرق: الجهمية، والمعتزلة، والصوفية ونحوها.

الثاني: البدع العملية، وتسمى أيضًا: بدع العبادات، وهي أنواع:

١ ـ إحداث عبادة لم تكن مشروعة، كأن يحدث صلاة أو صيامًا أو عيدًا غير مشروع أصلًا.

٢ ـ الزيادة في العبادات المشروعة، كزيادة ركعة في صلاة فريضة، أو زيادة قول أو فعل غير مشروعين في الصيام أو الحج، أو زيادة تقييد للعبادة بقيد لم يقيدها به الشرع، كتقييد بعض انواع الذكر بأعداد محددة، ونحو ذلك من الزيادات.

٣ ـ تأدية العبادة المشروعة على صفة غير مشروعة، كالتشديد فيها حتى يخرجها عن السُّنَّة الثابتة عن النبي ﷺ، وكأداء الأذكار المشروعة بطريقة لم تكن من فعل النبي ﷺ.

٤ ـ تخصيص وقت للعبادة لم يخصصه الشرع، كتخصيص ليلة النصف من شعبان بالقيام أو نهاره بالصيام، ونحو ذلك[(٤)].

---

(١) إيثار الحق على الخلق (ص١٠٧).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، برقم (١٧١٨).

(٣) التعليق على صحيح مسلم (٣/ ١٣٤٣).

(٤) ينظر: التوحيد للفوزان (ص١٤٠، ١٤١).

لماذا يذم الإسلام الابتداع؟

الابتداع مذموم في الشرع للأسباب الآتية:

الأول: أنَّ المبتدع يَتْهم دين الله تعالى بالنقص: فإنَّ إحداث أمر جديد في الدين يعني ـ في الحقيقة ـ أنَّ الدين ناقص أو به خلل فيأتي المبتدع بما يكمل النقص أو يسد الخلل، وهذا إبطال لمدلول قول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

الثاني: أنَّ المبتدع يُشرِّع من دون الله: فإنَّ حقَّ التشريع لله وحده، فلا يتقرب عبد إلى الله بعبادة إلا بما شرع له وأذن فيه، فالله تعالى أكمل الفرائض وحدَّ الحدود، وبين الأوامر والنواهي والحلال والحرام؛ فلا يحتاج الخلق إلى زيادة، وقد أنكر الله تعالى على المشركين تعبدهم بما لم يشرعه فقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [الشورى: ٢١].

الثالث: أنَّ المبتدع يطعن في تبليغ الرسالة: فإنَّ من يحدث في الدين شيئًا يقدح في الرسول ﷺ بأنَّه لم يُبلغ الدين كما أمره الله ﷻ ـ وحاشاه ـ والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧].

الرابع: أنَّ الابتداع يخالف مقصود صاحبه: فإنَّ من يبتدع شيئًا من الدين إنما يقصد زيادة التعبد والقرب من الله تعالى، في حين أنها لا توصله إلى مقصوده؛ بل هي مردودة عليه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»(١)، وعنها أيضًا أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ**»(٢).

وبمقتضى العقل فلو أنَّ كل مَنْ استحسن عبادة استحدثها وعمل بها ودعا إليها لضاع الدين وتغيرت المِلة واندرست معالم الإسلام، وصارت مجرد أفعال تحكمها الأهواء، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) واللفظ له، ومسلم برقم (١٧١٨).
(٢) أخرجه مسلم برقم (١٧١٨).

﴿اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «هم أهل البدع، وأهل الشبهات، وأهل الضلالة من هذه الأمة»[١].

موقف السلف من الاتباع وذم الابتداع:

لقد تواترت الأخبار عن السلف في الأمر بالاتباع، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم»[٢]. وعن عثمان بن حاضر قال: سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن شيء فقال: «عليك بالاستقامة واتباع الأثر، وإياك والبدع»[٣].

وعن سفيان الثوري قال: «إن استطعت ألا تحك رأسك إلا بأثر فافعل»[٤]، وروى الشافعي يومًا حديثًا فقال له عبد الله بن الزبير الحميدي: «أتأخذ به؟ فقال: رأيتني خرجت من كنيسةٍ أو عليَّ زنار حتى إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا لا أقول به؟!»[٥]، وقيل لمحمد بن نصر لمَّا روى حديثًا: «أتأخذ به؟ فقال: أترى على وسطي زنارًا؟! لا تقل لخبر النبي ﷺ: أتأخذ به؟ وقل: أصحيح هو ذا؟ فإذا صح الخبر عن النبي ﷺ قلتُ به، شئتُ أو أبيتُ»[٦].

وتواتر عنهم أيضًا ذم البدع والتحذير منها، فمِن ذلك أنَّ ابن مسعود رضي الله عنه حُدِّث عن أناس بالكوفة يُسَبحون بالحصا في المسجد، فأتاهم وقد كوَّم كل رجل منهم بين يديه كومة حصا. قال: فلم يزل يحصبهم بالحصا حتى أخرجهم من المسجد، ويقول: «لقد أحدثتم بدعة ظلمًا، أَوَ قد فَضَلْتم أصحاب محمد ﷺ علمًا؟!»[٧]. وجاء رجل إلى الإمام مالك بن أنس فقال: يا أبا عبد الله! ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟ قال الراوي: فما رأينا مالكًا وجد من شيء كوَجْدِه من مقالته، وعلاه الرحضاء[٨] وأطرق، وجعلنا ننتظر ما يأمر به فيه،

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٢٧١).
(٢) البدع لابن وضاح (١/ ٣٦).
(٣) ذم الكلام وأهله (١/ ١٨٩).
(٤) الجامع لأخلاق الراوي (١/ ١٤٢).
(٥) حلية الأولياء (٩/ ١٠٦).
(٦) ذم الكلام وأهله (٢/ ١٧٨).
(٧) البدع لابن وضاح (١/ ٣٨).
(٨) الرحضاء: العرق، أو هو عرق المحموم. انظر: غريب الحديث للخطابي (٢/ ٥٨٢)، ومعجم متن اللغة (٢/ ٥٦٢).

قال: ثم سُرِّي عن مالك فقال: «الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأخاف أن تكون ضالًّا» ثم أمر به فأخرج[1].

ومن دلائل الاتباع وعدم الابتداع:

١ ـ التمسك بالقرآن الكريم والاهتداء بهَدْيِ الرسول ﷺ في كل أمر، فهذا يغلق باب الابتداع.

٢ ـ أن يُعوِّد المسلم نفسه ألَّا يفعل شيئًا إلا بدليل من الكتاب والسُّنَّة.

٣ ـ تجنب البدع كلها: الاعتقادية، والعملية.

٤ ـ اجتناب مجالس المبتدعة، ودروسهم.

٥ ـ عدم الاستماع للبرامج الداعية للبدع؛ حتى لو كان بقصد الاطلاع على ما عندهم إلا لمن يعرف الحق ويمكنه بيانه لهم.

٦ ـ الحذر من مشابهة الكفار فيما هو من خصائص دينهم، فإنَّ أكثر البدع التي وقع فيها المسلمون لها ارتباط بالديانات الأخرى.

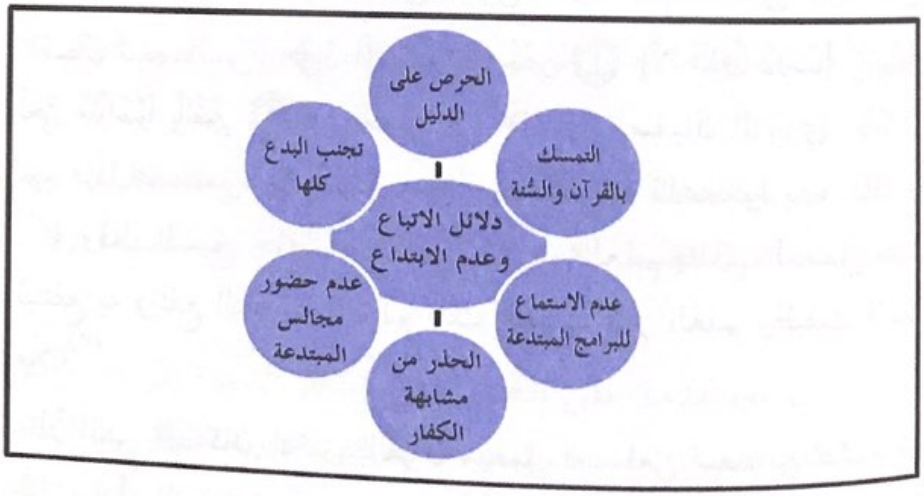

(١) الرد على الجهمية (ص٦٩).

الأصل السادس

العمل بالعلم

توطئة:

إنَّ من معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في باب الإيمان أنَّه قول وعمل، وأنَّ العمل جزء منه[١]؛ لذا صار من أبرز معالم منهجهم العمل بالعلم، ويدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، فمن استكمل الإيمان بعلم وعمل فهو موعود بالحياة الطيبة في الدنيا والجزاء الحسن في الآخرة، والعمل بالعلم من مقتضيات شهادة التوحيد.

العلم يدعو للعمل:

إنَّ مما يدلُّ على انَّ العلم يستدعي العمل به والاستقامة على سُنَّنِه ما يلي:

١ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ٢، ٣]، قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «تعلموا هذا العلم، فإذا علمتموه فتحفظوه، فإذا حفظتموه فاعملوا به، فإذا عملتموه فانشروه»[٢]، وقال الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «العلم يطلب ليعمل به المسلم، ويحصَّل لينتفع به وينفع الناس، فإن تم ذلك ظهرت آثار العلم وطُبِّقت السنن وعُمل بالدين كاملًا»[٣].

٢ ـ أنَّ النبي ﷺ كان يتخلَّق بالقرآن ويعمل به، فعن سعد بن هشام قال: قلت لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يا أم المؤمنين أنبئيني عن خُلُق رسول الله ﷺ. قالت: «**أَلَسْتَ تَقْرَأُ**

---

(١) مرَّ بيان ذلك في القسم الثاني من هذا الكتاب.
(٢) المختصر في علم الأثر (ص١٧٧).
(٣) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٤١٥).

الْقُرْآنَ»؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ»[١]. فلو كان العمل بالعلم غير مطلوب لما التزم النبي ﷺ بتطبيق ما في القرآن.

٣ ـ استعاذة النبي ﷺ من العلم الذي لا ينفع، فعن زيد بن أرقم ﷺ أنَّ النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»[٢]. والعلم الذي لا ينفع هو كل علم تقوم به الحجة على صاحبة فيؤاخذ بسببه لعدم امتثاله.

الطريق إلى العمل بالعلم:

إنَّ امتثال أوامر الله تعالى والكفِّ عن نواهيه يتطلب من المسلم مجاهدة نفسه ومخالفة هواه، وتقديم محاب الله ورسوله على محاب نفسه وهواها، فإن فعل ذلك استحق الهداية من الله ﷻ. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩]، قال بعض المفسرين: هم الذين يعملون بما يعلمون، يهديهم لِمَا لا يعلمون[٣].

ومجاهدة النفس على أربعة أنواع:

«**الأولى**: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها عِلْمه شقيت في الدارين.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد عِلمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمه مَنْ لا يَعْلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات، ولا ينفعه علمه، ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله. فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين، فإنَّ السلف مجمعون على أنَّ العالم لا يستحق أن يسمى ربانيًّا حتى يعرف الحق ويعمل

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٤٦).
(٢) المصدر السابق برقم (٢٧٢٢).
(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٢٩٦).

به ويعلمه، فمن عَلِمَ وعَمِلَ وعَلَّمَ فذاك يدعى عظيمًا في ملكوت السموات»[١].

تنبيه:

إنَّ تَرْكَ العمل بالعلم من قِبل العلماء والدعاة والآباء والأمهات والمربين والمسؤولين والكبراء والقدوات أشد منكرًا وأقبح أثرًا، إذ من المشين أن يأمر بأمر من الخير ويخالفه، قال الله تعالى عن شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود: ٨٨].

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**»[٢].

وكما قيل:

لا تَـنْـهَ عـن خـلـق وتـأتـي مـثـلـه ... عـار عـلـيـك إذا فـعـلـت عـظـيـم

وقال الحسن رحمه الله: لقد أدركت أقوامًا كانوا أَأْمَر الناس بالمعروف وأأْخَذهم به، وأنهى الناس عن منكر وأتركهم له، ولقد بقينا في أقوام أَأْمَر الناس بالمعروف وأبعْدهم منه وأنهى الناس عن المنكر وأوقعهم فيه، فكيف الحياة مع هؤلاء؟![٣].

فما أقبح من كذَّب فعلُه قولَه، وحالُه مقالَه، فتأمل الطبيب لو نهى عن شيء وقال: لا تقربوه إنَّه سمٌّ زعاف، وعلى مرأى من الناس يتناوله، فسيُتَّهم قطعًا بالجنون، أو بأنَّه يريد أن يستأثر بذاك الشيء دونهم، أو أنَّه يتخذهم هزوًا، وهذا كلُّه قبيح.

ومن دلائل العمل بالعلم:

١ ـ أداء الواجبات أولًا ثم النوافل والمستحبات.

٢ ـ ترك المحرمات أولًا، ثم المكروهات.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٧)، ومسلم برقم (٢٩٨٩).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٥٥).

٣ ـ أن يكون الهدف من طلب العلم: العمل به.

٤ ـ تعلم أحكام كل عبادة أو معاملة قبل القيام بها، فمن أراد الصلاة أو الصيام أو الحج يتعلم أحكامها، ومن أراد النكاح يتعلم أحكامه... إلخ.

٥ ـ سؤال أهل العلم عن كل ما يُشكل على الإنسان من أمور دينه ودنياه.

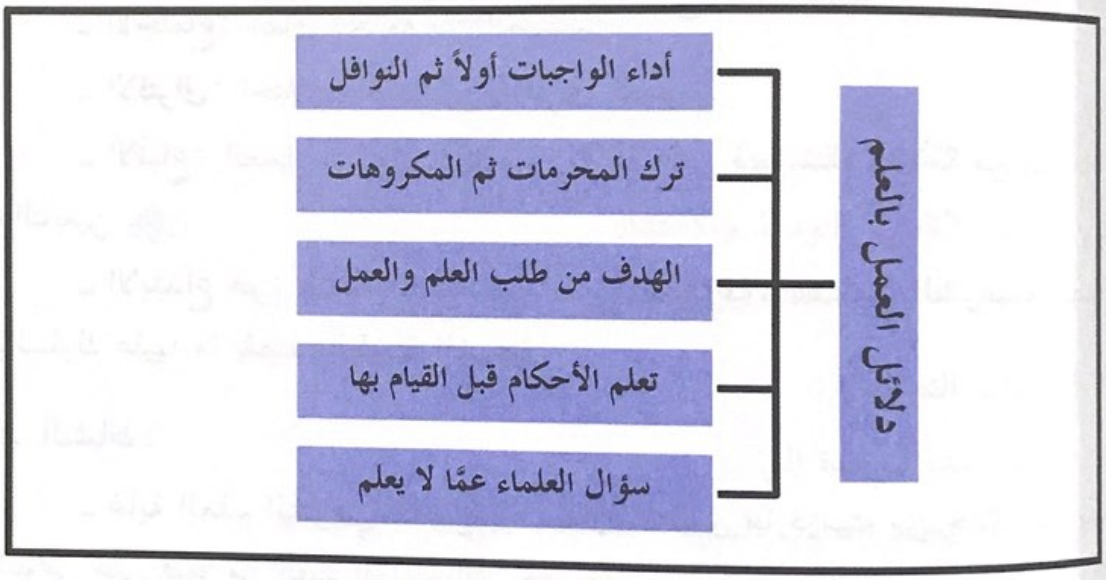

المراجع الإثرائية:

ـ للمزيد في هذه المواضيع طالع كتاب: اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي، والبدع الحولية للتويجري.

■ **المصطلحات والمفاهيم الواردة في هذه الوحدة:**

ـ **الاجتماع**: اتِّفاق الكلمة بين المسلمين.

ـ **الافتراق**: اختلاف المسلمين وافتراق كلمتهم.

ـ **الاتِّباع**: العمل بما في الكتاب والسُّنَّة على فهم سلف الأمَّة من الصحابة والتابعين ﷺ.

ـ **الابتداع** هو: إنشاء طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية.

■ **النشاط:**

ـ غاية العلم الشرعي العمل به، حاول تطبيق ما درسته من خلال التدريب اليومي على قيمة من القيم العلمية التي درستها.

■ **التقويم:**

أولًا: أجب عن الأسئلة التالية:

١ ـ تحدَّث في مقال مختصر عن الأمر بالاتفاق والنهي عن الافتراق.

٢ ـ أُذكر أنواع البدع.

٣ ـ عدِّد ثلاثًا من دلائل العمل بالعلم.

ثانيًا: اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:

١ ـ حبل الله هو: أ ـ دين الإسلام. ب ـ القرآن الكريم. ج ـ عهد الله. د ـ جميع ما سبق.

٢ ـ الطريق للعمل بالعلم هو: أ ـ الصبر. ب ـ المجاهدة. ج ـ التوكل.

٣ ـ يمكن التعبد بكل ما يراه المسلم حسنًا: أ ـ صواب. ب ـ خطأ.

الوحدة الثالثة

المجموعة الثالثة من الأصول المنهجية عند أهل السُّنَّة والجماعة

الأصل السابع: **التثبت.**

الأصل الثامن: **التوسط والاعتدال.**

الأصل التاسع: **العدل والإنصاف.**

■ **الأهداف التعليمية:**

تهدف هذه الوحدة إلى:

١ ـ أن يُحدد الطالب المنزلة الصحيحة للتوسط والاعتدال.

٢ ـ أن يَذْكر الطالب أمثلة لما ينبغي التثبت فيه.

٣ ـ أن يُمثل الطالب بموقف مما يجب فيها العدل والإنصاف.

■ **نواتج التعلم:**

عزيزي الطالب: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادرًا على:

١ ـ التثبت في نقل الأخبار والتحري في صدقها.

٢ ـ عدم التسرع في إلقاء الأحكام إلا بعد التأكد من صحتها.

٣ ـ الاعتدال في الملبس والمأكل والمشرب.

٤ ـ العدل مع الناس جميعًا.

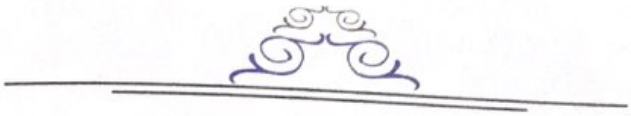

تمهيـــد

في هذه الوحدة استكمال لما سبق الحديث عنه في الوحدة السابقة من الأصول المنهجية لأهل السُّنَّة والجماعة، وسنذكر فيها ثلاثة أصول، هي: التثبت، والتوسط والاعتدال، ونختم ببيان العدل والإنصاف.

الأصل السابع

التثبت

التعريف:

التثبت: التبيُّن في الأمور والتأني فيها، فيقال: تثبَّت الأمر؛ أي: تأملته وتبيَّنته[(١)].

حكم التثبت والأدلة عليه:

وجه القرآن الكريم إلى التثبت في عدد من الآيات منها:

١ ـ قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات: ٦]، وفي قراءة متواترة (**فتثبتوا**)[(٢)]. وهذه الآية قاعدة في باب التثبت في الأخبار، وقد ورد في سبب نزولها أنَّ النبي ﷺ دعا الحارث بن ضرار إلى الإسلام فأسلم، ودعاه للزكاة فأقرَّ بها، وجعل له موعدًا لدفعها، فلمّا جمع الزكاة في الموعد المحدد ولم يأت رسول رسول الله لأخذها خرج بها إلى المدينة، وكان رسول الله ﷺ قد بعث الوليد بن عقبة إلى الحارث بن ضرار ليقبض ما عنده من الزكاة، فرجع الوليد إلى النبي ﷺ وقال: إنَّ الحارث قد منعني الزكاة وأراد قتلي. فغضب الرسول ﷺ وبعث سرية إلى الحارث، فلمّا فصلت السرية من المدينة لقيهم الحارث، فأقبل عليهم حتى غشيهم فقال: إلى مَنْ بُعثتم؟ قالوا: إليك. قال: ولِمَ؟ قالوا: إنَّ رسول الله ﷺ كان بعث إليك الوليد بن عقبة، فرجع فزعم أنَّك منعت الزكاة وأردت قتله. فقال: لا والذي بعث محمدًا ﷺ بالحق ما رأيته ولا أتاني، وما أقبلت إلا حين احتبس عليَّ رسول رسول الله ﷺ خشية أن يكون سَخْطَةً من الله ومن رسوله عليه السلام. فنزلت هذه الآيات

---

(١) ينظر: غريب الحديث (٣/ ٣٩١)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٣٥٦).

(٢) قرأ بهذه القراءة حمزة والكسائي وخلف. ينظر: النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٥١).

من سورة الحجرات[١]

٢ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾ [النساء: ٩٤]. وسبب نزولها أنَّ نفرًا من أصحاب النبي ﷺ مرُّوا على رجل من بني سليم معه غنم له ـ وكان عهدهم به كافرًا ـ فسلَّم عليهم، فقالوا: ما سلَّم عليكم إلا تعوذًا منكم. فعمدوا إليه فقتلوه وأخذوا غنمه فأتوا بها النبي ﷺ، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية[٢].

٣ ـ وعاتب الله ﷻ نقلة الإشاعات دون تثبت وتبيُّن حين ردَّد بعض المسلمين ما كان يقوله المنافقون في حقِّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك فقال: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [النور: ١٥]، قال مكي: «أي: تقولون من الخبر الذي تروونه ولا تعلمون حقيقته ولا صحته»[٣]. وقال الواحدي: «من غير أن تعلموا أن الذي قلتم حق»[٤]. فهم حين يتلقونه يبادرون بالإخبار به بلا ترو ولا تريث[٥].

ثم أرشدهم الله لِمَا يجب فعله من إحسان الظن بالمسلمين والتثبت من الأخبار حتى لا يظلموا أحدًا أو يقعوا في عرض مسلم بريء، فقال: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ [النور: ١٦، ١٧].

التثبت منهج الأنبياء وسائر المؤمنين:

إنَّ المنهج الحق هو التثبت في جميع الأمور، حتى يتبين الأمر وتتضح الحقائق، وهذا ما فعله نبي الله سليمان عليه السلام لما غاب الهدهد عن مجمَعِه؛ فتوعده بالعذاب أو الذبح إلا أن يأتيه بعذر صحيح وحجة بيِّنة، وهذا من تثبته عليه السلام حتى لا

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (١٨٤٥٩)، والطبراني في الكبير برقم (٣٣٩٥).
(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٩٨٦)، وصححه الألباني.
(٣) الهداية الى بلوغ النهاية (٨/ ٥٠٤٦).
(٤) التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٣١١).
(٥) التحرير والتنوير (١٨/ ١٧٨).

بظلم الهدهد، فقد يكون معذورًا في عدم حضوره، قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [النمل: ٢٠، ٢١]، فلما جاءه وأخبره بخبر الملكة وقومها قال متثبتًا: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [النمل: ٢٧]. وهكذا كانت عاقبة التثبت أن أدخل الله مملكة كاملة في الإسلام.

ولم يكن التثبت خاصًّا بالأنبياء؛ بل هو منهج عام لأهل الإسلام جميعًا، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنَّه جاء إلى دار عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: «السلام عليكم، هذا عبد الله بن قيس. فلم يأذن له، فقال: السلام عليكم، هذا أبو موسى. السلام عليكم، هذا الأشعري. فلم يؤذن له فانصرف. فقال عمر: ردوا عليَّ، رُدُّوا عليَّ. فجاء فقال: يا أبا موسى ما ردَّك؟ كنا في شغل. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الِاسْتِئْذَانُ ثَلَاثًا، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ، وَإِلَّا فَارْجِعْ**». قال: لتأتيني على هذا ببينة، وإلا فعلت وفعلت. فذهب أبو موسى. قال عمر: إن وجد بيِّنة تجدوه عند المنبر عشية، وإن لم يجد بينة فلن تجدوه. فلمّا أن جاء بالعشي وجدوه، قال: يا أبا موسى، ما تقول، أقد وجدت؟ قال: نعم، أبيُّ بن كعب، قال: عدل. قال: يا أبا الطفيل ما يقول هذا؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك يا ابن الخطاب فلا تكونن عذابًا على أصحاب رسول الله ﷺ. قال عمر: سبحان الله إنَّما سمعت شيئًا، فأحببت أن أتثبت»[1].

فوائد التثبت:

يتضح مما سبق أنَّ للتثبت فوائد منها:

١ - حفظ الدين وحراسته من التغيير والتبديل.

٢ - يكوِّن التصور الصحيح عن القضايا والحوادث والأخبار.

٣ - يُمكِّن من التعامل الصحيح المناسب للوقائع والحوادث.

٤ - السلامة من الجور في الأحكام أو ظلم أحد أو بخس حقه.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١٥٤). ولقد صار هذا ديدن السلف رحمهم الله ومنهجهم الذي لا يحيدون عنه عند نقل الأخبار والأقوال والأحاديث والسنن والآثار، فيتثبتون من عدالة الرواة ودقَّة ضبطهم وسلامة حفظهم وتحملهم.

٥ ـ إغلاق الباب على المرجفين والمغرضين.

٦ ـ دوام الألفة والمحبة بين الناس، وحفظ المجتمع من الفِرقة والعداوة.

ومن دلائل التثبت:

١ ـ عدم نقل الإشاعات والأخبار إلا بعد التأكد من صحتها، لقول النبي ﷺ: «**بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الْكَذِبِ أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**»(١).

٢ ـ التحري فيما يسمع أو يرى مما يتناقله الناس في وسائل التواصل الاجتماعي، وعدم نشر شيء منها إلا بعد التأكد من صحتها وسلامتها.

٣ ـ التأني في إطلاق الأحكام على الناس.

٤ ـ التأكد من صحة الخبر من مصادره الصحيحة.

٥ ـ التفطن لأقوال المرجفين وكيد الكائدين للسلامة من مكرهم.

٦ ـ الحذر من تكفير أو تبديع أو تفسيق أحد من المسلمين إلا ببينه؛ إذ إنَّ ذلك من اختصاص العلماء، وهم لا يفعلونه إلا بعد التأكد من توفر الشروط وانتفاء الموانع صيانة لأعراض المسلمين.

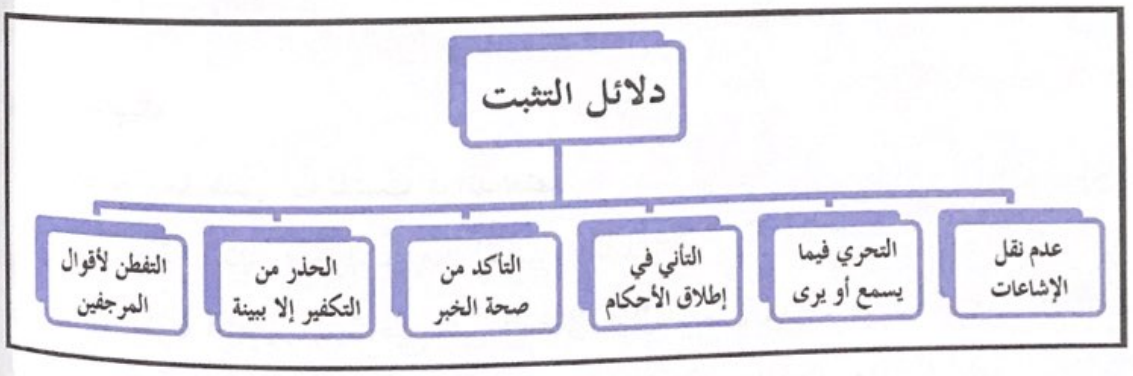

(١) المصدر السابق برقم (٥).

الأصل الثامن

التوسط والاعتدال

التعريف:

التوسط: مأخوذ من الفعل وَسَطَ، وهو بناء صحيح يدل على العدل والنصف. وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه. قال الله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. ويقولون: ضربت وسَط رأسه، ووسْط القوم. وهو أوسطهم حسبًا، إذا كان في واسطة قومه وأرفعهم محلًّا. ووسَط الشيء: ما بين طرفيه، كأوسطه[١].

والاعتدال: توسُّط حال بين حالين في كَمٍّ أو كيف، وكل ما تناسب فقد اعتدل، وكل ما أقمته فقد عَدَلْتَه وعَدَّلْته[٢].

فالتوسط والاعتدال يراد بهما: **فعل المطلوب شرعًا من غير زيادة فيه أو نقصان منه.**

الإسلام وسط بين الأديان:

لقد وصف الله ﷻ أمَّة محمد ﷺ بأنَّها أمة وَسَط، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه في معنى وسطًا: أي: عدولًا[٣].

وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وسطية دين الإسلام بين جميع الأديان، ووسطية أهل السُّنَّة والجماعة بين الفِرق، سواء في العقيدة والتوحيد، أو في العبادات والمعاملات، أو في الأخلاق فقال: دين الأنبياء والمرسلين دين واحد، وإنْ كان لكل من التوراة والإنجيل والقرآن شرعة ومنهاج...

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (٦/ ١٠٨)، والقاموس المحيط (ص٦٩٢).
(٢) ينظر: القاموس المحيط (ص١٠٣٠).
(٣) ينظر: تفسير الطبري (٣/ ١٤٣).

وقد خص الله تبارك وتعالى محمدًا ﷺ بخصائص ميَّزه بها على جميع الأنبياء والمرسلين، وجعل له شرعةً ومنهاجًا، أفضل شرعة وأكمل منهاج، كما جعل أمته خير أمة أُخرجت للناس، فهم يوفون سبعين أمة هم خيرها وأكرمها على الله من جميع الأجناس[١]، هَداهُم الله بكتابه ورسوله لِمَا اختلفوا فيه من الحق قبلهم، وجعلهم وسطًا عدلًا خيارًا، فهم وسط في توحيد الله وأسمائه وصفاته، وفي الإيمان برسله، وكتبه، وشرائع دينه من الأمر، والنهي، والحلال، والحرام.

فأمرهم بالمعروف، ونهاهم عن المنكر، وأحل لهم الطيبات، وحرم عليهم الخبائث، ولم يحرم عليهم شيئًا من الطيبات كما حرَّم على اليهود، ولم يُحل لهم شيئًا من الخبائث كما استحلتها النصارى، ولم يُضَيق عليهم باب الطهارة والنجاسة كما ضيَّق على اليهود، ولم يرفع عنهم طهارة الحدث والخبث كما رفعته النصارى، بل يعُد كثير من عبَّادهم مباشرة النجاسات من أنواع القرب والطاعات حتى يقال في فضائل الراهب: له أربعون سنة ما مس الماء. ولهذا تركوا الختان مع أنَّه شرع إبراهيم الخليل عليه السلام وأتباعه.

واليهود إذا حاضت عندهم المرأة لا يُواكلونها ولا يُشاربونها ولا يقعدون معها في بيت واحد، والنصارى لا يُحرمون وطء الحائض.

وكان اليهود لا يرون إزالة النجاسة؛ بل إذا أصاب ثوب أحدهم قرضه بالمقراض، والنصارى ليس عندهم شيء نجس، ولذلك المسلمون وسط في الشريعة؛ فلم يجحدوا شرعه الناسخ لأجل شرعه المنسوخ كما فعلت اليهود، ولا غَيّروا شيئًا من شرعه المحكم، ولا ابتدعوا شرعًا لم يأذن به الله كما فعلت النصارى، ولا غلوا في الأنبياء والصالحين كغلو النصارى، ولا بخسوهم حقوقهم كفعل اليهود، ولا جعلوا الخالق سبحانه متصفًا بخصائص المخلوق ونقائضه ومعايبه من الفقر والبخل والعجز كفعل اليهود، ولا المخلوق متصفًا بخصائص الخالق سبحانه التي ليس كمثله فيها شيء كفعل النصارى، ولم يستكبروا عن عبادته كفعل اليهود، ولا أشركوا بعبادته أحدًا كفعل النصارى[٢].

---

(١) قال النبي ﷺ: «**إِنَّكُمْ تَتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ**». أخرجه الترمذي برقم (٣٠٠١) وحسنه الألباني.

(٢) ينظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/٦٦).

أهل السُّنَّة والجماعة وسط بين الفِرَق:

أهل السُّنَّة والجماعة في الإسلام كأهل الإسلام في أهل المِلَل، فهم وسط في باب صفات الله ﷻ بين أهل الجحد والتعطيل وبين أهل التشبيه والتمثيل، يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسله من غير تعطيل ولا تمثيل؛ إثباتًا لصفات الكمال، وتنزيهًا له عن أن يكون له فيها أنداد وأمثال، إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل. كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ردًّا على الممثلة، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١] ردًّا على المعطلة[١].

شعائر الإسلام كلها على الوسط العدل:

إنَّ شعائر الإسلام كلها وسط، فليست شاقة مَشَقة يتعذر معها الامتثال، ولا هي يسيرة لا يتميز فيها العامل من الخامل؛ لأنَّ الله يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر، ولكنه في المقابل لا يُرضيه التثاقل والتكاسل عن الامتثال، فجعل العزائم في محلها ومن تعذر عليه الامتثال شرع له الترخص، كما رخَّص للمريض والعاجز والمسافر في أداء العبادات. وقد بَيَّن الله ﷻ هذا التيسير في أكثر من موضع فقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وأكد هذا المعنى الرسول ﷺ فجلى المنهج الوسط في دين الله، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا كأنَّهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟! قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فقال أحدهم: أمَّا أنا فإنِّي أصلي الليل أبدًا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا واللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ وأَتْقَاكُمْ لَه، لَكِنِّي أَصُومُ وأُفْطِرُ، وأُصَلِّي وأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتِي فَلَيسَ مِنِّي**»[٢].

سبب الوسطية:

إنَّ سبب وصف أمة محمد ﷺ بالوسط أنَّ شريعتهم التي هم عليها ليس فيها غلو ولا جفاء، فهي وسط بين طرفي الانحراف، فكل ما شرعه الله لهم من الدين

---

(١) ينظر: المصدر السابق (١/ ٧٣ ـ ٧٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٤٠١).

يضعهم في الوسط المرضي من الله تعالى، وقد بيَّن ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ هذا بقوله: «أرى أنَّ الله تعالى ذكره إنَّما وصفهم بأنَّهم وسط لتوسطهم في الدين: فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهُّب وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدَّلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه. فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها»[١].

أدلة وجوب التزام التوسط الاعتدال:

لم يزل النبي ﷺ يأمر بالتوسط والاعتدال في الأمور كلها، **ومن ذلك:**

١ ـ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو واقف على راحلته: «**هَاتِ، أَلْقِطْ لِي**»، فلقطت له حصيات هن حصى الخذف، فوضعهن في يده، فقال: «**بِأَمْثَالِ هَؤُلاءِ**»، مرتين، وقال بيده يرفعها وقال: «**إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ**»[٢].

٢ ـ عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ، عَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ، عَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا**»[٣]. والقصد هنا هو: الوسَط المعتدل الذي لا يميل إلى أحد طرفي التفريط والإفراط[٤]. وعند البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا**»[٥]. قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ في معناه: «أي: عليكم بالقَصْد من الأمور في القَول والفعل، وهو الوَسَط بين الطَّرَفَين»[٦].

ضابط الوسطية:

إنَّ الضابط في الحكم على الأقوال والأفعال والتصرفات أنَّها متمثلة الوسط أم

---

(١) المصدر نفسه (٣/ ١٤٢).
(٢) أخرجه ابن ماجه برقم (٣٠٢٩) وصححه الألباني.
(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب المداومة على العمل، برقم (٤٢٤١)، وصححه الألباني.
(٤) ينظر: التعليق على سنن ابن ماجه (٢/ ١٤١٧).
(٥) كتاب العلم، باب القصد والمداومة على العمل، برقم (٦٤٦٣).
(٦) النهاية في غريب الأثر (ص٧٥٤).

الطرف راجع إلى موافقتها للدليل من الكتاب والسُّنَّة وما اتفق عليه سلف الأمة، فالوسط العدل ما وافق الحق الذي لا مرية فيه[١].

ومن دلائل التوسط والاعتدال:

١ ـ مجانبة الغلو في الدين والتنطع في العبادة.

٢ ـ الاعتدال في الاستدلال بالعقل بين مَنْ يُقدسه ويعطيه حق الحكم المطلق في جميع الأمور وبين إلغائه تمامًا والتصديق بالأوهام والخرافة.

٣ ـ الاعتدال في نصيحة ولاة الأمر والإسرار بذلك مع عدم الإعلان بذكر عيوبهم؛ لِمَا في ذلك من إيغار الصدور وصرف القلوب عن الاجتماع على طاعتهم في الحق.

٤ ـ الاعتدال في الإنفاق بين الإسراف والتقتير؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقال في صفات عباده: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧].

٥ ـ الاعتدال بين الانشغال بالدنيا على حساب الدين أو الانقطاع للعبادة وترك السعي وطلب الرزق، قال تعالى في نصيحة قوم قارون له: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص: ٧٧]. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «احرز لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا»[٢].

٦ ـ الاعتدال في اللباس والزينة بين المفاخرة والتكبر والمبالغة في التجمل ورثاثة الحال وعدم النظافة، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ

---

(١) يدعي كل طرف أنَّه يتمثل الوسطية فيما يفعل ويذر، حتى وُجِد مَن يجعل الحق الثابت بالدليل في طرف والباطل المحض في الطرف الآخر، فيترك بعض الحق ويفعل بعض الباطل، ويزعم الوسطية، وهو في الحقيقة منحاز لطرف الباطل.

(٢) مسند الحارث برقم (١٠٩٣).

يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف: ٣١، ٣٢]، وعن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قال رجل: إنَّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة! قال: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»[١].

٧ ـ الاعتدال في المحبة والبغض، فقد كان علي بن أبي طالب ﷺ يقول: «أحبب حبيبك هونًا ما عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما»[٢].

٨ ـ الاعتدال في مخالطة الناس وزيارتهم بين القطيعة والمداومة، لقول النبي ﷺ: «زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا»[٣].

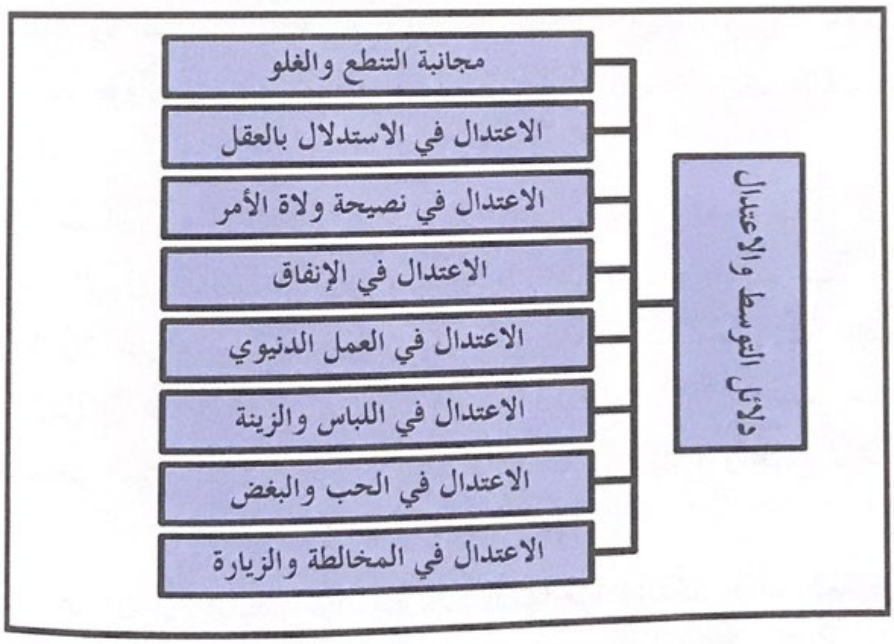

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١).
(٢) أخرجه الترمذي برقم (١٩٩٧)، وصححه الألباني.
(٣) أخرجه الطبراني في الكبير برقم (٣٥٣٥) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٥٨٣).

الأصل التاسع

العدل والانصاف

التعريف:

العَدْلُ: خلاف الجَوَر. يقال: عَدَلَ عليه في القضيّة فهو عادِلٌ. وعَدَلْتُ الشيءَ: أقمته حتى اعتدل[١].

والعدالة في اللغة: الاستقامة. وفي الشريعة: عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور دينًا[٢].

والعدل: عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط. وقيل: بذل الحقوق الواجبة وتسوية المستحقين في حقوقهم[٣].

والإنصاف: النون والصاد والفاء أصل صحيح يدلُّ على أمرين: الأول من النِّصْف: أي: شطر الشيء، فيقال: نصف الطريق؛ أي: شطره. والآخر من النَّصَف: أي: العدل[٤]، وهو هنا مرادف للعدل، وإنَّما ذكر للتوكيد.

حكم العدل والأدلة عليه:

قد ورد عدد من النصوص الشرعية الآمر بالعدل، **منها ما يلي**:

١ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

٢ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾

---

(١) ينظر: العين (٢/ ٣٩)، والصحاح (٥/ ١٧٦٠).
(٢) ينظر: التعريفات (ص١٤٧).
(٣) ينظر: الرياض الناضرة (ص٢٥٣).
(٤) ينظر: مقاييس اللغة (٥/ ٤٣١)، الفروق اللغوية (ص٢٣٤).

[النساء: ١٣٥]، والقِسْطُ من مرادفات العدل، والفعل منه: أقسط. والمعنى: قوموا بالقسط لله عند شهادتكم ولو كانت على أنفسكم، أو على وَالِدَين لكم أو أَقْرَبِيكم، فقوموا فيها بالقسط والعدل، وأقيموها على صحتها بأن تقولوا فيها الحق، ولا تميلوا فيها لغني لغناه على فقير، ولا لفقير لفقره على غني، فتجوروا. ولا تتبعوا أهواء أنفسكم في الميل في شهادتكم[١].

نماذج من العدل والإنصاف:

إنَّ هذه الأمة أمَّة عادلة لا تحابي أحدًا؛ بل تعدل مع كل أحد، ولا اعتبار للقرابات ولا للعداوات ولا للمصالح ولا لأي أمر من أمور الدنيا؛ بل تؤدي رسالة العدل التي قامت عليها السموات والأرض، بلا حيف ولا ظلم ولا جور، في العقائد، والمعاملات، والأخلاق، والأحكام. وهذا النبي الكريم ﷺ يؤصِّل هذا في نفوس أصحابه، ويُربِّي أمته عليه، حتى وإنْ كان العدل مع ابنته: فاطمة رضي الله عنها. فعن عائشة رضي الله عنها أنَّ امرأة من بني مخزوم سرقت فأهمَّ قريشًا شأنها فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله ﷺ. فكلَّمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»[٢].

كما يتجلى التطبيق العملي للعدل أيضًا في موقف عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، لَمَّا بعثه النبي ﷺ يخرص على أهل خيبر ثمارهم وزرعهم، فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى قصرهم، فغلب على الأرض والزرع والنخل، فقالوا: يا محمد، دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها - ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها - فأعطاهم خيبر على أنَّ لهم الشطر من كل زرع ونخل وشيء؛ ما بدا لرسول الله ﷺ، وكان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يأتيهم في كل عام فيخرصها عليهم، ثم يضمنهم

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/ ٣٠٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٤٧٥)، ومسلم برقم (١٦٨٨).

الشطر، فشكوا إلى رسول الله ﷺ في عام شدَّة خرصه، وأرادوا أن يرشوه، فقال: «يا أعداء الله، تطعموني السحت، ولقد جئتكم من عند أحب الناس إلي، ولأنتم أبغض إلي من عدتكم من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي إيَّاكم وحبِّي إياه على أن لا أعدل عليكم. فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض»[(١)].

دلائل العدل والإنصاف ومجالاته:

أمر الله بالعدل في أمور كثيرة **منها:**

١ - **العدل في القضاء والحكم بين الناس،** فالعدل في هذا آكد وأولى؛ لأنَّه يمنع الظلم ويرد المظالم، قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، ومثله كل من حكم في قضية أو خصومة، قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات: ٩]، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ المُقْسِطِينَ عِندَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمٰنِ** ﷻ، **وكِلتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**»[(٢)].

٢ - **العدل في الأقوال،** قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١٥٢﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم»[(٣)].

٣ - **العدل في الشهادة،** قال تعالى في آية الدين: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

٤ - **العدل بين الزوجات،** قال تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ۝٣﴾ [النساء: ٣].

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ برقم (٢٥٩٥)، وابن حبان في صحيحه برقم (٥١٩٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٨٢٧).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٧٠٥٦)، ومسلم برقم (١٧٠٩).

٥ ـ **العدل في البيع والشراء** وذلك بإيفاء الكيل والوزن دون تطفيف: قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

٦ ـ **العدل بين الأولاد في العطية**: فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: أعطاني أبي عطية، فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى يشهد رسول الله ﷺ، فأتى رسول الله ﷺ فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله. قال: «**أعطيتَ سائرَ ولَدِكَ مثلَ هذا؟**». قال: لا. قال «**فاتَّقوا الله واعدِلوا بينَ أولادِكُم**» قال: فرجع فرد عطيته[(١)].

٧ ـ **العدل مع المخالفين**: والمؤمن يعدل وينصف غيره من نفسه وإن كان بينهما عداوة، أو كان يخالفه في العقيدة والمنهج، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨]، قال ابن كثير رحمه الله: «أي: لا يحملنَّكم بُغض قوم على ترك العدل فيهم؛ بل استعملوا العدل في كل أحد، صديقًا كان أو عدوًّا، ولهذا قال: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾؛ أي: عدلكم أقرب إلى التقوى من تركه»[(٢)].

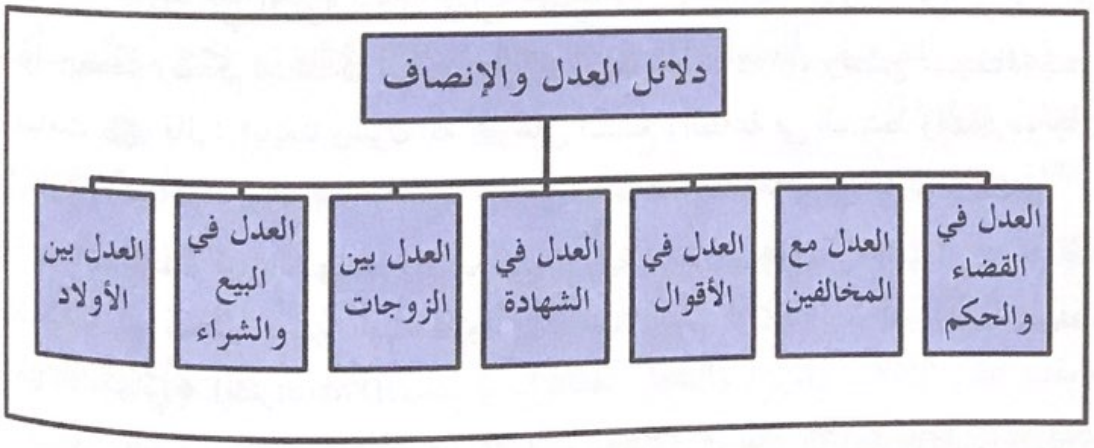

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٥٨٧)، ومسلم برقم (١٦٢٣).

(٢) تفسير ابن كثير(٣/٥٦).

المراجع الإثرائية:

ـ للمزيد في موضوع التثبت طالع كتاب: وجوب التثبت للشيخ الدكتور صالح الفوزان.

■ المصطلحات والمفاهيم الواردة في هذه الوحدة:

ـ **التثبت**: التبيُّن في الأمور والتأني فيها.

ـ **التوسط والاعتدال**: فعل المطلوب شرعًا من غير زيادة فيه أو نقصان منه.

ـ **العدل**: عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط.

■ النشاط:

ـ طبق مع زملائك عصفًا ذهنيًا في ضوء ما درست يحصر كل ما ينبغي التثبت فيه من المواقف المعاصرة.

■ التقويم:

أولًا: أجب عن الأسئلة التالية:

١ ـ تحدَّث في مقال مختصر عن التوسط.

٢ ـ مثِّل لما يجب العدل فيه.

٣ ـ عدِّد ثلاثًا من دلائل التثبت في قبول الأخبار.

ثانيًا: اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:

١ ـ مِمَّا يرادف التثبت: أ ـ التبين. ب ـ التأكد. ج ـ جميع ما سبق.

٢ ـ العَدْلُ في اللغة خلاف: أ ـ الجَوَر. ب ـ الإنصاف. ج ـ الاتفاق.

٣ ـ أمة الإسلام وسط بين تفريط اليهود وإفراط النصارى: أ ـ صواب. ب ـ خطأ.

القسم الخامس

المنهج الشرعي في التعامل مع الفتن

أولًا: **تعريف الفتن، وأقسامها، وتأثيرها على دين المسلم.**

ثانيًا: **قواعد التعامل مع الفتن.**

■ **الأهداف التعليمية:**

يهدف هذا القسم إلى:

١ ـ أن يُعرِّف الطالب الفتن.

٢ ـ أن يُبيّن الطالب آثار الفتن على الفرد والمجتمع.

٣ ـ أن يشرح الطالب سبل الوقاية من آثار الفتن.

٤ ـ أن يعدِّد الطالب قواعد التعامل مع الفتن.

■ **نواتج التعلم:**

عزيزي الطالب: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادرًا على:

١ ـ تعريف الفتن وذكر أقسامها.

٢ ـ بيان آثار الفتن على الفرد والمجتمع.

٣ ـ شرح سبل الوقاية من آثار الفتن.

٤ ـ عدّ قواعد التعامل مع الفتن.

تمهيـــد

إنَّ المسلم معرَّض للفتن، وهو بحاجة لمعرفتها، ومعرفة أنواعها، وكيفية التعامل معها، وقد بين الشرع كل ذلك، فمن التزم به وقاه الله من الفتن فسلم له دينه، وصلحت دنياه وأخراه، وإنَّ عدم عناية المسلم بمعرفة ذلك يوقعه في الفتن.

وسنبين ذلك في هذه الوحدة إن شاء الله.

أولًا: الفتن، وأقسامها، وتأثيرها على دين المسلم

التعريف:

الفتنة في اللغة: الامتحان والابتلاء والاختيار[١].

الفتنة اصطلاحًا: كل ما يعرض للعبد من الواردات التي يُبتلى ويُختبر بها؛ ليُعلم صدق إيمانه واستقامته.

أقسام الفتن:

تنقسم الفتن التي تصيب الإنسان إلى قسمين:

الأول: فتن الشبهات:

الشبهة في اللغة: الالتباس، واشتبه الأمر إذا اختلط[٢].

وفي الاصطلاح: هي وارد يرد على القلب يحول بينه وبين انكشاف الحق له[٣]. أو يقال: هي أمر يلتبس معه الحق بالباطل، والحلال مع الحرام.

وإنَّ الشبهات أخطر ما يعرض للقلوب وأشدُّها فتكًا به، بحيث يفسد ويُران عليه فيضيع دينه، فيحجب عن الله في الآخرة قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٤، ١٥].

ومن أبرز ما يقع للناس من الشبهات في هذا العصر: شبهة عدم صلاحية الإسلام للعصر الحاضر، والشك في بعض الأحكام الشرعية، كالشك في ثبوت القرآن، أو صدق الأنبياء، أو حتمية الجزاء والحساب في الآخرة... إلخ.

وإنَّ كل ما يعرض للإنسان من الشبهات يمكن الجواب عنها من قبل أهل

---

(١) ينظر: المصباح المنير (٢/ ٤٦٢)، وتاج العروس (٣٥/ ٤٩٢).

(٢) ينظر: الصحاح (٦/ ٢٢٣٦)، ولسان العرب (١٣/ ٥٠٥).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٠).

العلم، وقد أجيب عن كثير منها على مرِّ العصور[١].

الثاني: فتن الشهوات:

الشهوة: هي حبُّ الشيء والتعلق به والميل إليه والرغبة فيه.

وقد ركَّب الله تعالى الشهوات في الإنسان، فهو يسعى لتلبيتها، ولكنَّ الله تعالى جعل لكل شهوة ضابطًا وشرع طريقًا لتحقيقها، فمثلًا: شهوة تَملُّك المال تُلبَّى بالكسب الحلال الذي أباحه الله تعالى، وشهوة الطعام والشراب تُلبى بتناول الطيبات المباحة، وشهوة الفرج تُلبى بالنكاح الصحيح... وهكذا.

ومن أبرز الفتن التي تعرض للمسلم في هذا العصر ما يلي:

١ ـ **التعلق بالدنيا**، فقد روى عمرو بن عوف رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنَّه قال: **«وَاللهِ لا الفَقْرَ أَخْشَى عليْكُم، ولَكِنْ أَخشَى عليْكُم أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كما بُسِطَتْ علَى مَن كانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كما تَنَافَسُوهَا وتُهْلِكَكُمْ كما أَهْلَكَتْهُمْ»**[٢].

٢ ـ **فتنة المال، والجاه والمكانة**[٣]**، وحب الرئاسة، وحبُّ التسلط.**

٣ ـ **فتنة النساء، والصور والأفلام المحرمة، وغيرها.**

٤ ـ **فتنة الزنا والفواحش**، وكثرة الوسائل المفضية إليه، من تبرج النساء وإظهار زينتهن، وما يعرض في وسائل الإعلام ومواقع الإنترنت مما يدعو للرذيلة وينفِّر من الفضيلة؛ بل إنها تستهدف الشباب والفتيات مباشرة، وتهوِّن لهم الوقوع في المنكرات، وإطلاق النظر في المواقع المنتهكة للأخلاق وللقيم.

قال ابن القيم رحمه الله: «والمرأة ينبغي لها إذا خاطبت الأجانب أن تُغلظ كلامها

---

(١) من أوسع ما كتب في بيان محاسن الإسلام والجواب عن الشبهات حوله كتاب: موسوعة محاسن الإسلام، تأليف: أحمد بن سليمان أيوب ومجموعة من الباحثين.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣١٥٨)، ومسلم برقم (٢٩٦١).

(٣) قال ابن سعد رحمه الله: «كتب رسول الله ﷺ إلى جبلة بن الأيهم ملك غسان يدعوه إلى الإسلام، فأسلم وكتب بإسلامه إلى رسول الله ﷺ وأهدى له هدية، ولم يزل مسلمًا حتى كان في زمان عمر بن الخطاب، فبينما هو في سوق دمشق إذ وطأ رجلًا من مزينة، فوثب المزني فلطمه، فأُخذ وانطُلق به إلى أبي عبيدة بن الجراح، فقالوا: هذا لطم جبلة، قال: فليلطمه، قالوا: وما يقتل؟ قال: لا، قالوا: فما تقطع يده؟ قال: لا، إنما أمر الله، تبارك وتعالى بالقود، قال جبلة: أو ترون أني جاعل وجهي ندًا لوجه جدي جاء من عمق! بئس الدين هذا! ثم ارتد نصرانيًا وترحل بقومه حتى دخل أرض الروم». الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٦٥).

وتقويه، ولا تلينه وتكسره، فإنَّ ذلك أبعد من الريبة والطمع فيها.

وللقلب أمراض أخر من: الرياء والكبر والعجب والحسد والفخر والخيلاء وحبّ الرياسة والعلو في الأرض، وهذا مرض مركب من مرض الشبهة والشهوة؛ فإنَّه لا بد فيه من تخيل فاسد وإرادة باطلة؛ كالعجب والفخر والخيلاء والكبر المركب من تخيل عظمته وفضله وإرادة تعظيم الخلق له ومحمدتهم، فلا يخرج مرضه عن شهوة أو شبهة أو مركب منهما، وهذه الأمراض كلها متولدة عن الجهل ودواؤها العلم»[1].

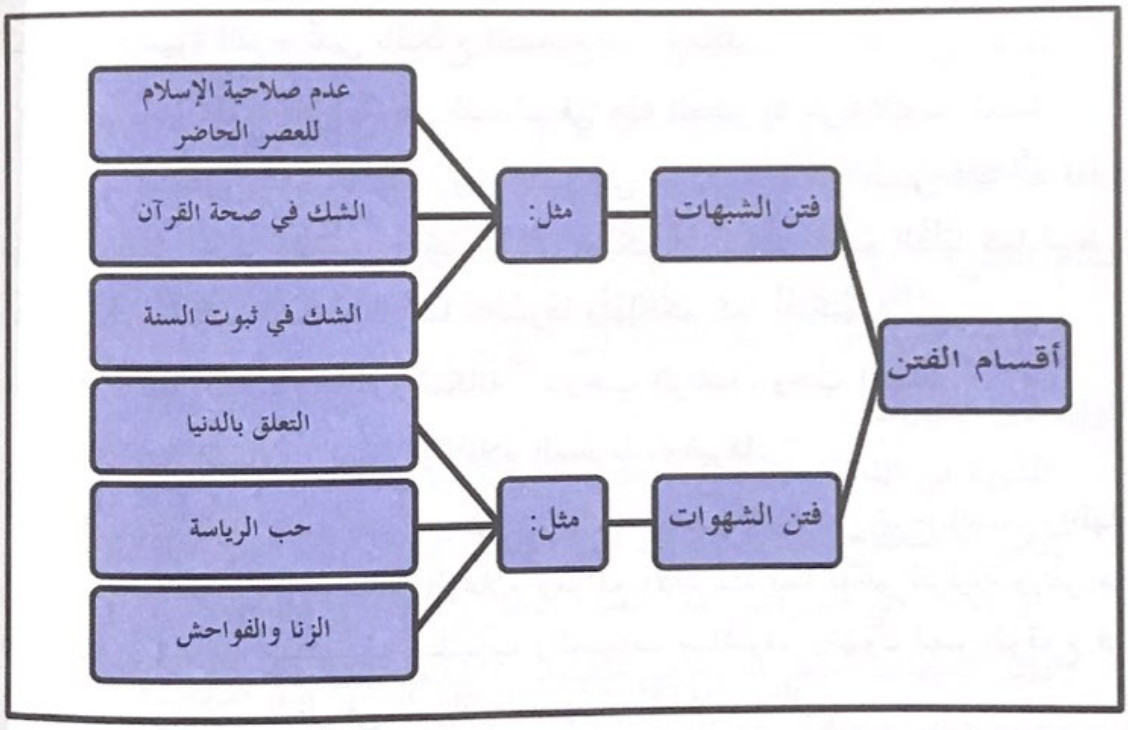

أسباب الوقوع في الفتن:

١ ـ **الجهل بالحق**، فمن يجهل الحق المشروع يقع في المعاصي والبدع، أو يجهل كيفية التعامل مع الفتن فستتمكن منه، أو يجهل وعد الله بنصر عباده المؤمنين، ووعيده للكافرين؛ فسيدخل إليه الشك.

٢ ـ **الإعراض عن الدين**، فإذا أعرض الناس عن الدين وأسرفوا على أنفسهم بالمعاصي والذنوب فتحت عليهم الفتن فكانت سببًا في هلاكهم، ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١١١).

مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤]، وضرب الله للناس مثلًا قرية آمنها ورزقها وامتنَّ عليها بالنعم ثم بدلَّ أحوالها جزاء كفر أهلها، فقال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢].

٣ ـ إهمال أعمال القلوب، وقصر العبادات على أعمال الجوارح فقط؛ فتجد الشبهات طريقها إلى قلبه. قال تعالى معنفًا من يهمل بصيرته فلا يستدل بها على الحق: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فواجبات القلوب أشد وجوبًا من واجبات الأبدان وآكد منها، وكأنَّها ليست من واجبات الدين عند كثير من الناس؛ بل هي من باب الفضائل والمستحبات»[1].

٤ ـ التعصب للآراء أو الأشخاص أو الأحزاب والجماعات والدفاع عنها وإن خالفت الكتاب والسُّنَّة. فإن لم يردوا الاختلاف لكتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ فقد زُيِّن لهم سوء أعمالهم، قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر: ٨].

٥ ـ التعلق بالدنيا والافتتان بها، وبناء العلاقات والحب والبغض على مدى تحصيلها. قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦].

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٨٠).

آثار الفتن على الفرد والمجتمع:

الأول: هجر الناس للعبادة والانشغال بالفتنة وأحداثها وأسبابها، في حين أنَّ المخرج من الفتن يكون بلزوم العبادة والانشغال بها حتى تنجلي؛ فلا يُسَلِّم المسلم من التقحم فيها إلا اللجوء إلى الله ﷻ، والاعتماد والتوكل عليه، والاستعانة به، وتفويض الأمر إليه سبحانه؛ لذا كانت العبادة في وقت الفتن لها منزلة كبيرة، وأهمية عظيمة في الدين، قال ﷺ: «**الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**»(١).

فإذا هجر الناس العبادة ضعف إيمانهم، وقلَّ الخوف من الله ومراقبته، فيتجرأ الناس على فعل المحرمات وارتكاب المعاصي، وضياع الحقوق وظلم الناس.

الثاني: ترك العلم والحط من العلماء. فإنَّ الله ﷻ أمر عباده بطلب العلم وسؤال العلماء عمَّا يشكل من أمور الدنيا والدين، فإذا التبست الأمور وخفي الحق وجب سؤال العلماء الذين هم أعلم وأفقه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣]، فإذا زهد الناس في تحصيل العلم والرجوع إلى العلماء الذين بهم ينكشف جهل الجاهلين وعوارهم، وأعرضوا عنهم استحكمت عليهم الشبهات وتمكنت منهم الشهوات؛ فأُعجب كلٌّ برأيه وهواه فانتصر له وانتقص العلماء وطعن فيهم. ويترتب على ذلك ظهور الجهلة وسفهاء الأحلام وتصدرهم للناس فيمعنون في إضلالهم، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»(٢).

الثالث: ضعف المسلمين وهوانهم، فيتسلط عليهم أعداؤهم ويحملونهم على ترك الدين وفعل المحرمات، ويسلبون الخيرات والثروات، فعن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ، كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ**

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٤٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٠٠)، ومسلم برقم (٢٦٧٣).

السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»[1].

الرابع: الضلال والبعد عن الحق: إذا وقع النَّاس في الفتن أوشك أن يضيع دينهم، فَرُبَّما يشركون بالله ويرتدون عن الدين، أو يستحسنون البدع والتعبد بغير المشروع.

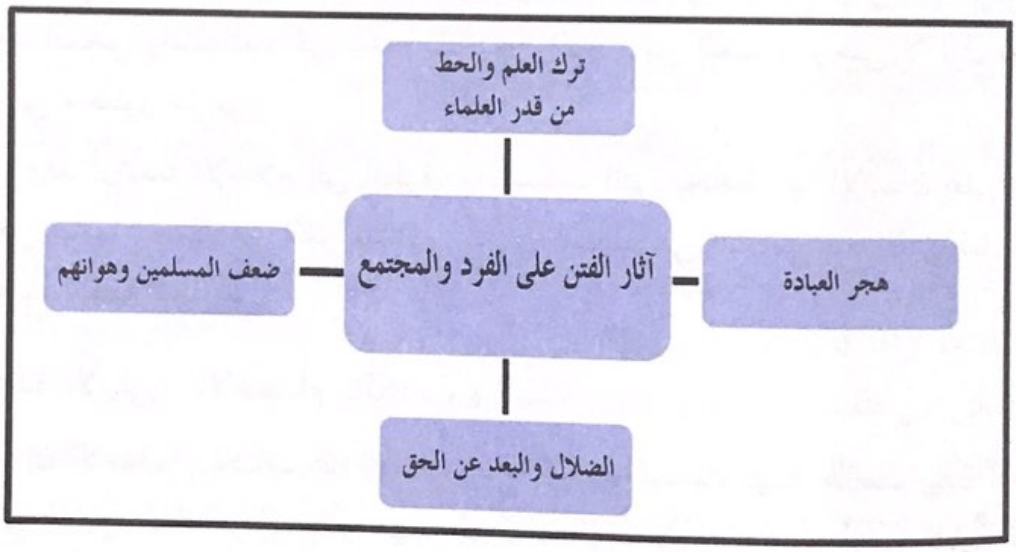

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٢٩٧)، وصححه الألباني.

ثانيًا: قواعد التعامل مع الفتن

تمهيد:

يفزع المسلم إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ في جميع أحواله، سيما في أوقات المحن والشدائد، كي يجد المخرج والنجاة من العسر، وحتى لا تزل به قدم فيقع في محظور شرعي.

وقد أرشدنا الإسلام إلى الطرق والأسباب التي يحافظ بها الإنسان على دينه، ويمكن بيانها بجملة من القواعد التي تُبصِّر المسلم في التعامل مع الفتن قبل وبعد وقوعها، **نُبيِّنها فيما يلي:**

القاعدة الأولى: الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة:

إنَّ الاعتصام بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ والتمسك بهما عاصم بإذن الله من جميع الفتن؛ لذا أمر الله باتِّباعهما فقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥]؛ لأنَّه يهدي لِلَّتي هي أقوم في كل المجالات وجميع الأحوال والظروف، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩]، وقال النبي ﷺ: **«تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»**[(١)]، ولن يدخل أحد من هذه الأمة الجنة إلا من طريق الرسول ﷺ والاهتداء بهديه، والسير على طريقته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«كُلُّ أُمَّتي يَدْخُلُونَ الجنَّةَ إلا مَنْ أَبَى»**، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: **«مَنْ أَطَاعَني دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»**[(٢)].

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣٧٨٨)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٠).

وإنَّما يتحقق الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة بأحد أمرين:

الأول: طلب العلم الشرعي، فهو يثبِّت المسلم على الحق، ويقوي إيمانه، ويجعله ينظر بعين بصيرة، فلا يلتبس عليه الحق بالباطل والهدى بالضلال، ولذا كان حذيفة ﷺ يسأل الرسول ﷺ عن الشرّ مخافة أن يقع فيه، فقال ﷺ: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني»[1].

وبطلب العلم تتحقق لطالبه أمور منها:

١ ـ تمييز الحلال من الحرام والحق من الباطل.

٢ ـ السلامة من الوقوع في المشتبهات من الأمور.

٣ ـ تتبيّن الدعوات المُضَلِّلة، فيحذر المسلم منها.

٤ ـ السلامة من الانجراف خلف شعارات باطلة ومواقع مزيفة وشهوات محرمة.

فإنَّ لم يكن المسلم طالبًا للعلم فلا أقلَّ من أن يتعلم ما تصح به عباداته ومعاملاته، وقد كان السلف يقيمون من الأسواق من لا يعرف أحكام البيع والشراء؛ ولا يُمكَّن من ذلك حتى يتعلم ما يحل وما يحرم منها.

الثاني: سؤال العلماء الربانيين: فإذا عرض للمسلم أمرٌ لا يعرف حكمه وجب عليه سؤال العلماء، والأخذ برأيهم، فقد كان الصحابة ﷺ يفعلون ذلك، إذ لـمَّا كابد شابٌ منهم الشهوة وأوشك على الوقوع في الفتنة أقبل على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنى. فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه، مه. فقال له النبي ﷺ: «**ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا**». فقال: «**أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟**» قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ**». قال: «**أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟**» قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك. قال: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ**». قال: «**أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟**» قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ**». قال: «**أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟**» قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ**». قال: «**أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟**» قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ**». قال: فوضع يده عليه وقال: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ،**

---

(١) سبق تخريجه.

وَحَصِّنْ فَرْجَهُ». فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[١].

تنبيه: إذا أراد المسلم أن يسأل عن شيء من أمور دينه وجب عليه سؤال الأعلم والأكثر ورعًا من أهل العلم، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا ترجح عند المستفتي أحد القولين؛ إمَّا لرجحان دليله بحسب تمييزه، وإمَّا لكون قائله أعلم وأورع، فله ذلك ـ أي: الأخذ بقوله ـ»[٢].

القاعدة الثانية: لزوم جماعة المسلمين وإمامهم:

أكَّد الرسول ﷺ على لزوم الجماعة في كل الأحوال وخاصة حال الفتن، ففي حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه سأل النبي ﷺ فقال: إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**»، قلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟ فقال: «**هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**» قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**»، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**»[٣]، والسمع والطاعة لولي الأمر واجتماع الكلمة على الحق وإن وجد الإنسان ما يكره؛ فهو خير من شق عصى الطاعة، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ؛ إِلا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»[٤].

والخروج على ولي الأمر المسلم كبيرة من كبائر الذنوب، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ**»[٥]. ولهذا كان السلف

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٢٢١١)، وصحح إسناده المحقق.
(٢) مجموع الفتاوى (٣٣/١٦٨).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٠٥٣)، ومسلم برقم (١٨٤٩).
(٥) أخرجه مسلم برقم (١٨٤٨).

يقول: الجماعة رحمة والفرقة عذاب؛ لأنَّ في الاجتماع يَأمَنُ الناس ويعم الرخاء ويطيب العيش، وفي الفتن وحال الافتراق يعم الخوف ويكثر القتل وينتشر الفقر، فتفسد الحياة.

القاعدة الثالثة: اعتزال مواطن الفتن وأهلها:

إنَّ مجانبة المسلم لكل ما يؤثر عليه ويوقعه في الفتن يحقق له السلامة منها بإذن الله تعالى، قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان: ٧٢]. ومجموع ما قاله السلف في معنى الزور المنهي عن شهوده: الشرك وعبادة الأصنام، والكذب، والفسق، واللغو، والباطل، واللهو والغناء، وأعياد المشركين ومجالس السوء والخنا[1]. وكل ما ذكره السلف من تفسيرات للزور تدور حول ما يوقع المسلم في الفتنة التي تضره في دينه؛ لذا وجب اجتنابها.

وكذلك إذا خاض الخائضون واستهزأ المستهزئون وجحد الجاحدون وجب على المسلم اعتزال مجالسهم وعدم القعود معهم؛ لأنَّه إنْ قعد معهم فهو مثلهم في مخالفة أمر الله، والوقوع في فتن الشرك والشك والأهواء، ومن ذلك اجتناب مواقع الإنترنت الداعية إلى الكفر والإلحاد، أو المنتهكة للقيم والأخلاق، والمزعزعة للثوابت والمبادئ، وكذلك اعتزال الصحبة التي تجر إلى اقتراف المحرمات وارتكاب الموبقات، والتهاون في الواجبات وترك الطاعات، فإنَّ في اعتزالهم صيانة للنفس عن التأثر بالفتن.

وقد صرَّح الله تعالى بالنهي عن القعود في تلك المجالس فقال: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: ١٤٠].

وإنَّ الفتن تتزين على ألسنة مَنْ يدعون إليها ويلبسونها على الناس، حتى يُظهروا الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل، وكل ذلك بدافع الهوى، ومن ذلك اجتناب مواقع الإنترنت التي تدعو إلى الشرك والتشكيك في عقيدة المسلم، وإلقاء الشبهات والشهوات أو نشر الفواحش والزنى والصور المحرمة والأخلاق المشينة والعادات السيئة المخالفة للدين.

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٣٠).

القاعدة الرابعة: الاكثار من الطاعات:

إنَّ من أعظم وسائل الثبات على الدين والحق والهداية وحصول الأجر والثواب القيام بالأعمال الصالحة، وقد نص الله تعالى على ذلك فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ [النساء: ٦٦ ـ ٦٨]، وأمر بالاستعانة بالأعمال الصالحة فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣].

والفتن: بلاء ومحنة، ولا يستطيع رفعها إلا مَنْ قدَّرها، ولا يعصم العبد مِن شرورها إلا الله تعالى، فحينئذٍ يلجأ المؤمن له ويتضرع إليه بالعبادة، ويعتصم به ويسأله السلامة منها والثبات على الدين، فلا ينفع حين الفتن الخوض في الأقوال وتتبع الأخبار، وتخطئة أشخاص والقدح في آخرين، فتزِّل القدم ويضيع الدين، ولذا عظَّم الرسول ﷺ منزلة العبادة في أزمنة الفتن بقوله: «**الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**»(١).

فإذا وقع العبد في فتنة وجب عليه اللجوء إلى الله والاستكانة بين يديه لينجيه منها، لذا عاب الله ﷻ على بني إسرائيل عدم اللجوء له فقال: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون: ٧٦].

وكان ﷺ إذا نزلت به نازلة، أو حَزبه أمر، أو ضاق صدره لحدث فزع إلى الصلاة، قال حذيفة رضي الله عنه: «رجعتُ إلى النبي ﷺ ليلة الأحزاب وهو مشتمل في شملة يصلي، وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى»(٢). وهذا امتثال لأمر الله تعالى له في قوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٧ ـ ٩٩].

القاعدة الخامسة: الاستعاذة بالله من الفتن:

كان النبي ﷺ مع حفظ الله له يكثر أن يتعوذ بالله من أنواع من الفتن، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ فيقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن فِتْنَةِ النَّارِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن فِتْنَةِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود برقم (١٣١٩)، وحسنه الألباني.

مِن فِتْنَةِ الغِنَى، وأَعُوذُ بكَ مِن فِتْنَةِ الفَقْرِ، وأَعُوذُ بكَ مِن فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ»[١]، ففتنة الغنى بأن يؤدي بصاحبه إلى الإسراف والتبذير، والبطر والكبر، وإنفاقه في معصية الله. وفتنة الفقر بأن يؤدي بصاحبة إلى السرقة والغصب والرشوة، وأكل أموال الناس بالباطل؛ لذا تعوَّذ منهما ﷺ.

فالمؤمن يستعيذ بالله من الفتن، ويسأل الله أن يجنبه أن يكون من سُعَّارها والمشاركين فيها، ويلهج بالدعاء أن يعيذه والمسلمين من آثارها وأضرارها، وأن يكشف له الحق ويهديه للتمسك به، وكان النبي ﷺ يخص صلاة الليل بدعاء يستفتحها به، وفيه سؤال الهداية للحق مما اختلف فيه الناس، فقد سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: بأي شيء كان نبي الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ فقالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته فقال: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيما كَانُوا فيه يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِما اخْتُلِفَ فيه مِنَ الحَقِّ بإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَن تَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**»[٢].

فالدعاء واللجوء إلى الله والاستعاذة به من أعظم أسباب السلامة من الفتن، وكذلك من أسباب رفعها إذا وقعت.

القاعدة السادسة: التفكر في عواقب الفتن وآثارها:

إنَّ مِمَّا يقوي عزيمة العبد على مجانبة الفتن والشهوات المحرمة والتغلب على دواعيها تفكرُه في لذة حصولها وألم تركها، والموازنة بين هذين، وسيخلص كل عاقل إلى أنَّ تركها أصلح له وأنفع لقلبه وأسلم لدينه، يقول ابن القيم رحمه الله: «الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة؛ فإنَّها إمَّا أن توجب ألمًا وعقوبة، وإمَّا أن تقطع لذة أكمل منها، وإمَّا أن تضيع وقتًا إضاعته حسرة وندامة، وإمَّا أن تثلم عرضًا توفيره أنفع للعبد من ثلمه، وإمَّا أن تذهب مالًا بقاؤه خير له من ذهابه، وإمَّا أن تضع قدرًا وجاهًا قيامه خير من وضعه، وإمَّا أن تسلب نعمة بقاؤها

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٧٦).

(٢) المصدر السابق برقم (٧٧٠).

ألذ وأطيب من قضاء الشهوة، وإمَّا أن تطرق لوضيع إليك طريقًا لم يكن يجدها قبل ذلك، وإمَّا أن تجلب همًّا وغمًّا وحزنًا وخوفًا لا يقارب لذة الشهوة، وإمَّا أن تُنسي عِلمًا ذكره ألذ من نيل الشهوة، وإمَّا أن تُشمت عدوًّا وتُحزن وليًّا، وإمَّا أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة، وإمَّا أن تحدث عيبًا يبقى صفة لا تزول، فانَّ الأعمال تورث الصفات والأخلاق»[١].

القاعدة السابعة: محاسبة النفس:

إنَّ محاسبة النفس وكبحها عن هواها وشهواتها واجب شرعي، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر: ١٨]. قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: حاسبوا أنفسَكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادَّخرتُم لأنفسِكم من الأعمالِ الصالحةِ ليومِ معادِكم وعرضِكم على ربِكم، واعلموا أنَّه عالمٌ بجميعِ أعمالِكم وأحوالِكم، لا تخفى عليهِ منكم خافيه»[٢].

وكبح جماح النفس عن هواها، ومنعها من نزواتها وأطماعها وشهواتها، وإلزامها بالفضائل والبعد عن الرذائل، وأطرها على شرع الله وطاعته، ومجاهدتها على ذلك فيه حفظ لها من فتن الشبهات والشهوات، ويتأكد ذلك في زمنٍ كثرت فيه الفتن والصوارف والصدّ عن طاعة الله تعالى، ويتجلى ذلك في اجتناب مواقع ومجالس وأماكن الشهوات، التي تشيع الفاحشة، وتنشر سيء الأخلاق، وتهدم القيم في المجتمعات، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ومحاسبة النفس على المعاصي نوعان: نوع قبل العمل، ونوع بعده، فالذي قبله أن ينظرَ في العمل، هل في فعله خيرٌ في الدنيا والآخرة فيعملَه، أو في عملِه شرٌ في الدنيا والآخرة فيتركَه. ويتذكر قول الله تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، وقال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ المؤمن والله ما تراهُ إلا يلومُ نفسه على كلِّ حالاته، يستقصرها في

(١) الفوائد (ص١٣٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٧٧).

كل ما يفعل، فيندمُ ويلومُ نفسهُ، وإنَّ الفاجرَ ليمضي قُدُمًا لا يعاتبُ نفسَه».

والذي بعده أن يحاسبَ نفسه على كل عمل كانَ تركُهُ واجبًا ففعله، أو فعله واجبًا فتركه؛ لأنَّهُ أطاعَ فيه الهوى والنفس، أو لأنهُ من المتشابه فتساهل في فعله، يقولُ ﷺ: «**إنَّ الحلالَ بيِّنٌ وإنَّ الحرامَ بيِّنٌ وبينهما أمورٌ مُشتبِهاتٌ لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس فمَنِ اتَّقى الشُّبُهاتِ استبرأ لدِينِه وعِرضِه، ومَنْ وَقَع في الشُّبهاتِ وَقَع في الحرامِ**»[(١)]. ويقولُ عليه الصلاة والسلام: «**دَعْ ما يُريبُكَ، إلى ما لا يُريبُكَ**»[(٢)].

القاعدة الثامنة: استشعار عظمة الله ومراقبته:

إنَّ الله سبحانه لا تخفى عليه خافية، ويعلم كل صغيرة وكبيرة، وقد أخبرنا أنَّه معنا ومطلع علينا وشاهد على ما نفعل، لا يغيب عنه شيء من أمرنا في سرٍّ أو علن، أو ظاهر أو باطن؛ لنعلم عظمته سبحانه ونراقبه، قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ [النساء: ١٠٨]. وقال: ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾ [التغابن: ٤]. وقال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]. وكان من دعاء النبي ﷺ: «**وأسألُكَ خَشيَتَك في الغَيْبِ والشَّهادةِ**»[(٣)]، وقد أوصى بذلك أبا ذرٍ رضي الله عنه حين قال له: «**أُوصيكَ بِتَقْوَى اللهِ في سِرِّ أَمْرِكَ وعَلانِيَتِه**»[(٤)]. وأوصى جميع المؤمنين برعاية خلواتهم وجلواتهم، فقال ﷺ: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ**»[(٥)].

قال الشاعر:

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل ... خلوت ولكن قُلْ عليَّ رقيب

ولا تحسبن اللَّه يغفل ساعة ... ولا أنَّ ما تخفيه عنه يغيب

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٩٩).
(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٨)، وصححه الألباني.
(٣) أخرجه النسائي برقم (١٣٠٥)، وصححه الألباني.
(٤) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢١٥٧٣)، وحسنه الألباني.
(٥) أخرجه الترمذي برقم (١٩٨٧)، وحسنه الألباني.

فغالب فتن الشهوات تكون في الخلوات، والعبد بعيد عن عيون البشر، فمراقبته لخالقه واستشعار عظمته وإحاطته بكل شيء وقدرته على كل شيء تمنعه من الوقوع فيها بإذن الله.

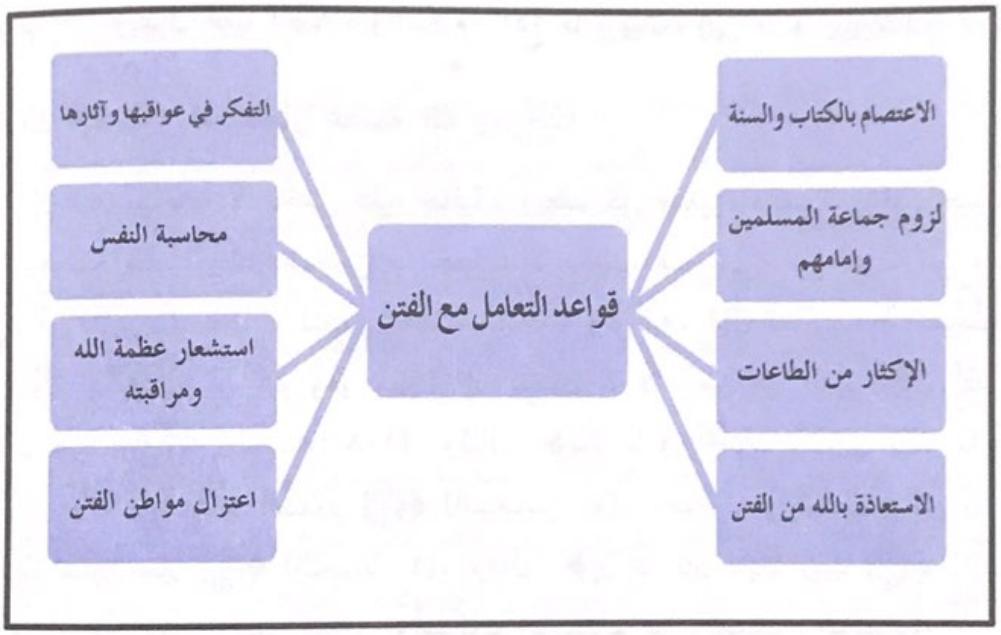

المراجع الإثرائية:

ـ للمزيد طالع كتاب: موقف المسلم من الفتن للدكتورة نوال العيد.

■ المصطلحات والمفاهيم الواردة في هذا القسم

الشُبُهات: جمع: شُبْهة وهي: الأمور التي يلتبس معها الحق بالباطل والحلال بالحرام.

■ النشاط:

بحضور المدرس شارك زملائك في عصف ذهني للوسائل المعاصرة التي يمكن أن توقع المسلم في الفتن.

■ التقويم:

أولًا: أجب عن الأسئلة التالية:

١ ـ عرف الفتنة لغةً واصطلاحًا.

٢ ـ تحدث باختصار عن أبرز الفتن التي تعرض للمسلم في هذا العصر.

٣ ـ عدِّد خمسًا من أسباب الوقوع في الفتن.

ثانيًا: اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:

١ ـ ترد الفتنة في القرآن يراد بها: أ ـ الغواية. ب ـ الزينة. ج ـ الامتحان.

٢ ـ الشبهة تعني في اللغة: أ ـ الاشتباه. ب ـ الاقتباس. ج ـ الالتباس.

٣ ـ الشهوة هي: حبُّ الشيء والتعلق به والميل إليه والرغبة فيه: أ ـ صواب. ب ـ خطأ.

الخاتمة

إنَّا نأمل أنْ نكون قد استوعبنا ذكر أبرز أصول الثقافة الإسلامية، كما نأمل أن نكون قد أحسنَّا عرضها، والاستدلال عليها، لتكون مؤسسة لثقافة إسلامية صحيحة لدى أبنائنا الطلاب، كما نأمل أن تكون محققة لأهداف السياسة العامة للتعليم في المملكة العربية السعودية.

كما نتطلَّع إلى ملاحظات واقتراحات مَنْ يقرأ هذا الكتاب أن يصوِّب الخطأ ويسدَّ الخلل، وحسبنا أنَّا قد بذلنا الجهد، والله الموفق للحق والصواب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

المؤلفون

فهرس المراجع

١ - **القرآن الكريم**.
٢ - **الإتقان في علوم القرآن**، عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ.
٣ - **الأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهورية**، شهاب الدين محمود الألوسي، مطبعة الحميدية، بغداد، ١٣٠١هـ.
٤ - **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، محمد بن حبان البُستي، ت: شعيب الأرناؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ.
٥ - **أحكام أهل الذمة**، ابن القيم، ت: طه عبد الرؤوف سعد، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ.
٦ - **الإحكام في أصول الأحكام**، علي بن محمد الآمدي، ت: د. سيد الجميلي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ.
٧ - **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، محمد ناصر الدين الألباني، ت: زهير الشاويش، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٨ - **الأساليب البديعة في فضل الصحابة وإقناع الشيعة**، يوسف بن إسماعيل النَّبْهَاني، المطبعة الميمنية، مصر.
٩ - **الأشباه والنظار**، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٠ - **أصول الفقه**، محمد أبو زهرة، دار الفكر، بيروت.
١١ - **الأصول من علم الأصول**، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ط٢، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٦هـ.
١٢ - **الأصولية في العالم العربي**، ريتشارد هرير دكمجيان، ترجمة: عبد الوارث سعيد، ط١، دار الوفاء، مصر، ١٤٠٩هـ.
١٣ - **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، المؤلف: محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.
١٤ - **الاعتصام**، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، ت: مجموعة من الباحثين، ط١، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤٢٩هـ.

١٥ ـ **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٨٨هـ.

١٦ ـ **إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان**، ابن قيم الجوزية، ت: محمد عفيفي، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨هـ.

١٧ ـ **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، ابن قيم الجوزية، ت: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض.

١٨ ـ **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ط٢، ت: محمد حامد الفقي، مطبعة السُّنَّة المحمدية، ١٣٦٩هـ.

١٩ ـ **اقتضاء العلم العمل**، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ت: محمد ناصر الدين الألباني، ط٤، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٧هـ.

٢٠ ـ **الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع**، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، ت: السيد أحمد صقر، ط١، دار التراث، ١٣٧٩هـ.

٢١ ـ **أمراض القلب وشفاؤها**، أحمد بن تيمية، ط٢، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٩٩هـ.

٢٢ ـ **إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد**، محمد بن إبراهيم ابن الوزير، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

٢٣ ـ **الإيمان**، ابن تيمية، ت: محمد ناصر الدين الألباني، ط٥، المكتب الإسلامي، عمان، ١٤١٦هـ.

٢٤ ـ **بدائع الفوائد**، ابن قيم الجوزية، ت: هشام عبد العزيز عطا وآخرون، ط١، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ.

٢٥ ـ **البدع والنهي عنها**، محمد بن وضاح القرطبي، ت: عمرو عبد المنعم، ط١، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٦هـ.

٢٦ ـ **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث**، الحارث التميمي البغدادي، ت: د.حسين الباكري، ط١، مركز خدمة السُّنَّة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ١٤١٣هـ.

٢٧ ـ **كتاب العين**، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٨ ـ **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمد بن أحمد الزبيدي، دار الهداية، ٢٠١٠م.

٢٩ ـ **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

٣٠ ـ **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، محمد عبد الرحمٰن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣١ - **العقيدة الطحاوية**، أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤هـ.

٣٢ - **التدمرية**، ابن تيمية، ت: د. محمد بن عودة السعودي، مكتبة العبيكان، ط٦، ١٤٢١هـ.

٣٣ - **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة**، محمد بن أحمد القرطبي، ط٢، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.

٣٤ - **التعريفات**، علي بن محمد الجرجاني، ت: جماعة من العلماء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٣٥ - **التعليق على سنن ابن ماجه**، محمد فؤاد عبد الباقي، ط. بدون، دار الفكر، بيروت.

٣٦ - **التعليق على صحيح مسلم**، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٧ - **تفسير القرآن العظيم**، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة، السعودية، ١٤٢٠هـ.

٣٨ - **تفسير القرآن الكريم**، ابن قيم الجوزية، ت: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف إبراهيم رمضان، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤١٠هـ.

٣٩ - **التفسير الميسر**، إعداد نخبة من العلماء، ط٣، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤٣٢هـ.

٤٠ - **التفسير من سنن سعيد بن منصور**، سعيد بن منصور الخراساني، ت: د. سعد آل حميد، ط١، دار الصميعي، ١٤١٧هـ.

٤١ - **التقريرات السُّنِّية شرح المنظومة البيقونية**، حسن بن محمد المشاط المالكي، ت: فواز أحمد زمرلي، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٧هـ.

٤٢ - **التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح**، عبد الرحيم بن الحسين العراقي، ت: عبد الرحمٰن محمد عثمان، ومحمد عبد المحسن الكتبي، ط١، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٣٨٩هـ.

٤٣ - **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، ت: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

٤٤ - **توجيه النظر إلى أصول الأثر**، الطاهر بن صالح السمعوني الجزائري، ت: عبد الفتاح أبو غدة، ط١، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤١٦هـ.

٤٥ - **الثقافة الإسلامية تحصصًا ومادةً علميًّا**، د. عبد الله الطريقي وآخرون، ط١، الرياض، ١٤١٧هـ.

٤٦ ـ **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

٤٧ ـ **جامع العلوم والحكم**، ابن رجب الحنبلي، ت: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٢هـ.

٤٨ ـ **الجامع لأحكام القرآن**، محمد بن أحمد القرطبي، أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ.

٤٩ ـ **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ت: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض.

٥٠ ـ **الجانب الأخلاق في التشريع الجنائي**، الراعي محمد أبو المكارم، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الثقافة الإسلامية، إشراف: د. أحمد أحمد غلوش.

٥١ ـ **الجواب الصحيح لِمَن بدل دين المسيح**، ابن تيمية، ت: علي بن حسن وآخرون، ط٢، دار العاصمة، السعودية، ١٤١٩هـ.

٥٢ ـ **حاشية السندي على سنن النسائي**، محمد بن عبد الهادي السندي، ت: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ.

٥٣ ـ **الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة**، زكريا بن محمد الأنصاري، ت: د. مازن المبارك، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١١هـ.

٥٤ ـ **الحكم بغير ما أنزل الله ـ أحواله واحكامه ـ**، د. عبد الرحمٰن بن صالح المحمود، ط٢، دار طيبة، الرياض، ١٤٢٠هـ.

٥٥ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، مكتبة السعادة، ، مصر، ١٣٩٤هـ.

٥٦ ـ **حول حديث الذباب**، أمين محمد سالم، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عدد ٥٣، السنة الرابعة عشرة، ١٤٠٢هـ.

٥٧ ـ **الداء والدواء في جناحي الذباب**، د. مصطفى إبراهيم حسن، منشور بموقع موسوعة الإعجاز العلمي في الكتاب والسُّنَّة، http://www.quran-m.com.

٥٨ ـ **دلائل النبوة**، أحمد بن الحسين البيهقي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٥٩ ـ **ديوان أبو ماضي**، إيليا أبو ماضي، دراسة د. سامي الدهان، دار العودة، بيروت.

٦٠ ـ **ذم الكلام وأهله**، أبو إسماعيل الهروي، ت: عبد الرحمٰن عبد العزيز الشبل، ط١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٨هـ.

٦١ ـ **الرد على الجهمية**، عثمان بن سعيد الدارمي، ت: بدر بن عبد الله البدر، ط٢، دار ابن الأثير، الكويت، ١٤١٦هـ.

٦٢ ـ **روضة الناظر وجنة المناظر**، ابن قدامة المقدسي، ط٢، مؤسسة الريان، مصر، ١٤٢٣هـ.

٦٣ ـ **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ابن قيم الجوزية، ط٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥هـ.

٦٤ ـ **سراج الملوك**، أبو بكر محمد بن محمد الطرطوشي، أوائل المطبوعات العربية، مصر، ١٢٨٩هـ.

٦٥ ـ **السُّنَّة**، أبو بكر بن أبي عاصم، ت: محمد الألباني، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٦٦ ـ **سنن ابن ماجه**، محمد بن يزيد القزويني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

٦٧ ـ **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.

٦٨ ـ **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى الترمذي، تعليق وأحكام: محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٩هـ.

٦٩ ـ **سنن الدارقطني**، علي بن عمر الدارقطني، ت: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٤هـ.

٧٠ ـ **السنن الكبرى**، أحمد بن الحسين البيهقي، ت: محمد عبد القادر عطا، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.

٧١ ـ **السنن الكبرى**، أحمد بن شعيب النسائي، ت: حسن شلبي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ.

٧٢ ـ **السيرة النبوية**، عبد الملك بن هشام المعافري، ت: مصطفى السقا وصاحبيه، ط٢، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٧٥هـ.

٧٣ ـ **شرح السُّنَّة**، الحسين بن مسعود الفراء البغوي، ت: شعيب الأرناؤوط ومحمد الشاويش، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٧٤ ـ **شرح العقيدة الطحاوية**، محمد ابن أبي العز الحنفي، ت: أحمد شاكر، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، ١٤١٨هـ.

٧٥ ـ **شعب الإيمان**، أحمد بن الحسين البيهقي، ت: عبد العلي حامد، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣هـ.

٧٦ ـ **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، ط٢، دار الفيحاء، عمان، ١٤٠٧هـ.

٧٧ ـ **الشيعة وأهل البيت**، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السُّنَّة، لاهور، باكستان.

٧٨ ـ **الصحاح**، إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٧٩ ـ **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: محمد زهير الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٨٠ ـ **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨١ ـ **الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة**، ابن قيم الجوزية، ت: علي الدخيل الله، ط١، دار العاصمة، الرياض، ١٤٠٨هـ.

٨٢ ـ **الطبقات الكبرى**، محمد بن سعد الزهري، ت: إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

٨٣ ـ **العجاب في بيان الأسباب**، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ت: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، الدمام.

٨٤ ـ **العذب النَّمير**، محمد الأمين الشنقيطي، ت: خالد السبت، ط٢، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ.

٨٥ ـ **العقيدة الميسرة**، د. أحمد بن عبد الرحمٰن القاضي، ط١، مجلة البيان، ١٤٢٧هـ.

٨٦ ـ **العقيدة الواسطية**، ابن تيمية، ط٦، دار السلام، القاهرة، ١٤٣٥هـ.

٨٧ ـ **علم أصول الفقه**، عبد الوهاب خلاف، ط٨، دار القلم، القاهرة.

٨٨ ـ **العواصم من القواصم**، محمد أبو بكر بن العربي، تعليق: محب الدين الخطيب، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، ١٤١٩هـ.

٨٩ ـ **غريب الحديث**، أبو سليمان الخطابي، ت: عبد الكريم الغرباوي، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ.

٩٠ ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ت: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٩١ ـ **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**، محمد بن عبد الرحمٰن السخاوي، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٠٣هـ.

٩٢ ـ **الفروق اللغوية**، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، ت: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة.

٩٣ ـ **فقه النوازل**، محمد بن حسين الجيزاني، ط٣، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٩هـ.

٩٤ ـ **الفوائد**، ابن قيم الجوزية، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٣هـ.

٩٥ ـ **القاموس الفقهي لغة واصطلاحًا**، سعدي أبو جيب، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٨هـ.

٩٦ ـ **القاموس المحيط**، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: مكتب تحقيق التراث بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٦هـ.

٩٧ ـ **كتاب التوحيد**، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ط٤، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ١٤٢٣هـ.

٩٨ ـ **كتاب الدين**، د. محمد عبد الله دراز، دار القلم.

٩٩ ـ **كتاب الكليات**، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، ت: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ.

١٠٠ ـ **لسان العرب**، محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

١٠١ ـ **مجموع الفتاوى**، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، ت: أنور الباز، عامر الجزار، ط٣، دار الوفاء، ١٤٢٦هـ.

١٠٢ ـ **محاضرات في الثقافة الإسلامية**، د. عابد بن عبد الله الثبيتي، ط١، طبعة خاصة، ١٤٣٦هـ.

١٠٣ ـ **المحكمات في الشريعة**، د. عابد بن محمد السفياني، ط١، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٠هـ.

١٠٤ ـ **المختصر في علم الأثر**، محمد بن سليمان بن سعد الكافِيَجي، ت: علي زوين، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٧هـ.

١٠٥ ـ **مدارج السالكين**، ابن قيم الجوزية، ت: محمد المعتصم بالله، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٦هـ.

١٠٦ ـ **مدونة جوستينيان**، ترجمة عبد العزيز فهمي، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٤٦م.

١٠٧ ـ **مسائل الإمام أحمد**، أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، ت: محمد بهجة البيطار، ط١، ١٣٥٣هـ.

١٠٨ ـ **المستدرك على الصحيحَين ومعه التلخيص للذهبي**، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.

١٠٩ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ت: أحمد شاكر، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٦هـ.

١١٠ ـ **مسند الدارمي المعروف بـ(سنن الدارمي)**، عبد الله الدارمي التميمي، ت: حسين سليم، ط١، دار المغني، السعودية، ١٤١٢هـ.

١١١ ـ **مسند الطيالسي**، سليمان بن داود الطيالسي، ت: محمد بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر، مصر، ١٤١٩هـ.
١١٢ ـ **المصباح المنير**، أحمد بن محمد المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.
١١٣ ـ **المصنف في الأحاديث والآثار**، أبو بكر بن أبي شيبة، ت: كمال يوسف الحوت، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ.
١١٤ ـ **معارج القبول**، حافظ بن أحمد الحكمي، ت: عمر بن محمود أبو عمر، ط١، دار ابن القيم، الدمام، ١٤١٠هـ.
١١٥ ـ **معالم التنزيل**، الحسين بن مسعود البغوي، ت: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
١١٦ ـ **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد الطبراني، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤هـ.
١١٧ ـ **المعجم الوسيط**، إبراهيم مصطفى وآخرون، ط٢، المكتبة الإسلامية، تركيا.
١١٨ ـ **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
١١٩ ـ **معرفة أنواع علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح)**، عثمان بن عبد الرحمٰن المعروف بابن الصلاح، ت: نور الدين عتر، دار الفكر، سوريا، ١٤٠٦هـ.
١٢٠ ـ **المغني**، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة.
١٢١ ـ **المفاتيح في شرح المصابيح**، الحسين بن محمود الكوفي الشِّيرازيُّ المشهورُ بالمُظْهِري، ت: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، ط١، دار النوادر، ١٤٣٣هـ.
١٢٢ ـ **مفتاح دار السعادة**، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٢٣ ـ **مفردات في غريب القرآن**، الراغب الأصفهاني، ت: صفوان داوودي، ط٣، دار القلم، دمشق، ١٤٢٣هـ.
١٢٤ ـ **مقال نشأة علم الثقافة الإسلامية**، وتميزها على العلوم الأخرى، د. محمد بن صالح العلي، موقع الألوكة، ٢٠/ ١١/ ١٤٢٨هـ.
١٢٥ ـ **الملخص في شرح كتاب التوحيد**، للشيخ صالح الفوزان، دار العاصمة، الرياض.
١٢٦ ـ **مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد عبد العظيم الزرقاني، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.
١٢٧ ـ **منهاج السُّنَّة النبوية**، أحمد ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، ط١، جامعة الإمام، ١٤٠٦هـ.
١٢٨ ـ **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، يحيى بن شرف النووي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

١٢٩ ـ **المنهاج في شعب الإيمان**، الحسين بن الحسن الجرجاني، ت: حلمي محمد فودة، ط١، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
١٣٠ ـ **المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي**، محمد ابن جماعة الكناني، ت: د. محيي الدين عبد الرحمٰن رمضان، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٦هـ.
١٣١ ـ **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، د.مانع بن حماد الجهني، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٤، دار الندوة، ١٤٢٠هـ.
١٣٢ ـ **الموطأ**، مالك بن أنس بن مالك الأصبحي، ت: محمد الأعظمي، ط١، مؤسسة زايد آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، الإمارات، ١٤٢٥هـ.
١٣٣ ـ **موقع صيد الفوائد** www.saaid.net
١٣٤ ـ **موقع مقالات إسلام ويب** media.wwwislamweb.net
١٣٥ ـ **نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: عبد الله الرحيلي، ط١، مطبعة سفير، الرياض، ١٤٢٢هـ.
١٣٦ ـ **النشر في القراءات العشر**، محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري، ت: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.
١٣٧ ـ **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم** ﷺ، عدد من المختصين بإشراف: د. صالح ابن حميد، ط٤، دار الوسيلة، جدة.
١٣٨ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدين ابن الأثير، ت: علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي، ط١، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤٢١هـ.
١٣٩ ـ **الهداية إلى بلوغ النهاية**، مكي بن أبي طالب القيسي، ت: مجموعة باحثين بإشراف: الشاهد البوشيخي، ط١، مجموعة بحوث الكتاب والسُّنَّة، جامعة الشارقة، ١٤٢٩هـ.
١٤٠ ـ **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، علي بن أحمد الواحدي، تحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود، ط١، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
القسم الأول: المدخل للثقافة الإسلامية	٧ ـ ٢٤
المدخل للثقافة الإسلامية	١١
تعريف الثقافة الإسلامية	١١
نشأة علم الثقافة الإسلامية	١٢
أهداف الثقافة الإسلامية	١٣
منهج الثقافة الإسلامية	١٣
مصادر الثقافة الإسلامية	١٥
علاقة الثقافة الإسلامية بالعلوم الشرعية الأخرى	١٩
موقف الثقافة الإسلامية من الثقافات الأخرى	١٩
القسم الثاني: أصول الاعتقاد وما يتعلق بها	٢٥ ـ ١٠١
الوحدة الأولى: الإسلام: الدين الحق	٢٧
• حاجة البشرية للدين	٢٩
• خصائص الإسلام	٣٣
الوحدة الثانية: الإيمان وأركانه	٤٥
الإيمان بالغيب	٤٥
الإيمان حقيقته	٤٧
أركان الإيمان	٥٠
الإيمان بالله ﷻ	٥١
الوحدة الثالثة: الإيمان بالملائكة، الإيمان بالكتب، الإيمان بالرسل	٦٧

الموضوع | الصفحة

الإيمان بالملائكة ٦٩
الإيمان بالكتب ٧٢
الإيمان بالرسل ٧٨
الوحدة الرابعة: الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بالقدر ٩١
الإيمان باليوم الآخر ٩٣
الإيمان بالقدر خيره وشره ٩٧
القسم الثالث: أصول التشريع الإسلامي ومحكماته ١٠٣ ـ ١٥٧
الوحدة الأولى: الأصل الأول: القرآن الكريم ١٠٥
الوحدة الثانية: الأصل الثاني: السُّنَّة النبوية ١١٥
الوحدة الثالثة: الأصل الثالث: الإجماع. والأصل الرابع: القياس. الاجتهاد ١٢٥
الأصل الثالث: الإجماع ١٢٧
الأصل الرابع: القياس ١٣١
الاجتهاد في الشريعة الإسلامية ١٣٦
الوحدة الرابعة: المحكمات الشرعية ١٤٣
القسم الرابع: الأصول المنهجية عند أهل السُّنَّة والجماعة ١٥٩ ـ ٢١٥
الوحدة الأولى: المجموعة الأولى من الأصول المنهجية عند أهل السنة والجماعة ١٦٣
الأصل الأول: التسليم المطلق للوحي ١٦٤
الأصل الثاني: العناية بالتوحيد تأسيسًا وتوكيدًا ١٧٠
الأصل الثالث: توقير الصحابة ١٧٤
الوحدة الثانية: المجموعة الثانية من الأصول المنهجية عند أهل السنة والجماعة ١٨١
الأصل الرابع: الاجتماع وعدم الافتراق ١٨٣
الأصل الخامس: الاتباع وعدم الابتداع ١٨٨
الأصل السادس: العمل بالعلم ١٩٤
الوحدة الثالثة: المجموعة الثالثة من الأصول المنهجية عند أهل السنة والجماعة ١٩٩
الأصل السابع: التثبت ٢٠١

الموضوع | الصفحة

الأصل الثامن: التوسط والاعتدال ٢٠٥
الأصل التاسع: العدل والانصاف ٢١١
القسم الخامس: **المنهج الشرعي في التعامل مع الفتن** ..... ٢١٧ ـ ٢٣٥
أولًا: الفتن وأقسامها وتأثيرها على دين المسلم ٢٢٠
ثانيًا: قواعد التعامل مع الفتن ٢٢٦
الخاتمة ٢٣٦
فهرس المراجع ٢٣٧
فهرس المحتويات ٢٤٦